الدكتور بسام الصباغ

المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة

دار البشائر

المنهج الدعوي
للمسلمة المعاصرة

موافقة الإعلام ١٠٢٤٢٥
تاريخ ٤/٧/٢٠٠٩

المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة / تأليف بسام الصباغ.–
دمشق : دار البشائر، ٢٠٠٩.– ٣٥٢ص؛ ٢٤سم.

١ _ ٢١٠ ص ب ا م ٢ _ العنوان ٣ _ الصباغ

مكتبة الأسد

ISBN 978 – 9933 – 406 – 11 - 0

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

خلقَ اللهُ آدم وحواء عليهما السلام وجعل منهما البشرية ، ورُكِّب الإنسانُ من عنصرين أساسيينِ ، العنصرِ الأرضي وفيه ديمومة النسل ، وهو مبنيٌّ على الشهوةِ التي تجمعُ اللذَّةَ والمنفعةَ ، وهي التي تمثل لُمَّةَ الشيطان وحب الدنيا إن لم تتبع نهجَ الله ، والعنصرِ الثاني وهو الرُّوحُ ، هذه اللطيفةُ الربَّانيةُ النُّورانيةُ التي لا يُعرَفُ كُنْهُها إلا أنَّها من عند الله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء ١٧/ ٨٥] ، وهي تمثلُ الخيرَ ولُمَّةَ الملائكةِ والربَّانيةِ في الإنسان .

وجعلَ الله للإنسانِ حريةَ الاختيارِ ، ولكي لا يتوهَ الإنسان ويحتار ، ومن أجل اختيارِ الخيرِ والربانية والحَدِّ من الغلوِّ في حُبِّ الدنيا من اللذة والمنفعة ، فقد منحَ الله البشريَةَ ثلاثَ مِنَحٍ ربَّانيةٍ ، فجعلَ العقلَ في الإنسان ، وأرسلَ له كتباً سماويةً فيها منهجٌ لسعادته في الدنيا والآخرة ، وأرسلَ رُسلَه وأنبياءه يشرحون هذا المنهج ، ويقوِّمون للبشر طغيانَهم ويصوِّبون خطأهم ، ويعيدونهم إلى فطرتهِم ، فيهذبون أخلاقَهم ، ويصححونَ مسيرتَهم ، ويزكُّون أرواحَهُم ، ويغذُّونَ عقولَهَم ، وينوِّرون بصيرتَهم وبصرَهُم ، ويعيدونَهم إلى جادةِ الحقِّ والصَّوابِ كلما ضَلُّوا ، يبشرون بالسعادةِ والجنَّةِ لمن اتبع المنهجَ الرّبانيَّ ، ويُنذرون بالشقاءِ والنار لمن اتبع المنهجَ الشيطاني .

والمنهجُ الشيطانيُّ المتمثلُ في حبِّ الدنيا وتحقيق الشهوةِ التي ترتكز على اللذةِ والمنفعةِ الدُّنيويةِ ، وهذان يتمثلان (بالمرأة والمال) ، وقد خلقَ اللهُ هذين العنصرين لديمومة الحياة ، ولتسخيرهما للخير وإعمار الأرض ، ولكنَّ النفس البشرية ، وبغواية الشيطانِ تنحرفُ عن جادةِ الصَّوابِ والحقِّ ، وتبتعد عن الفطرةِ الرَّبانيةِ التي كلّها خيرٌ ، وتسِيرُ في طريق الشهوة الشيطانية بلا حدود ، مهملة عقلها وتعاليم الله والرسل .

ولما كانت المرأةُ المحور الرئيس ، لديمومةِ الحياة وللمحافظة على النَّسل فجعل فيها الشهوةَ واللَّذَّة لذلك ، وهي النصف الآخر من البشريةِ ، وهي تتكامل مع الرجل ، فكانت

جماعَ الخيرِ والسكينةَ للرجل ، أو كانت جماعَ الشّر والفسادِ في الأرض ، فكانت حواءُ جزءاً من آدم ، ومعينةً له على الخيرِ والتَّوبةِ وإعمار الأرض ، وكانت الشهوةُ للمرأة عند قابيلَ والمنحازةُ عن التشريع الرَّباني سببَ شقائه وشقاءِ مَن سار على منهجه ، وقتلَ قابيلُ أخاه هابيلَ من أجل امرأةٍ ، وبدأت معها النزاعاتُ والحروب ، وامتدت إلى أحفادهِ وستظل إلى يوم القيامةِ .

والنَّفسُ البشريةُ الشريرةُ أو الشيطانيةُ عند الرَّجل تريد أن تحيدَ عن المنهج الرَّبانيِّ ، كما أنَّ نفسَ الرجل وشهوته الآثمة تريدُ أن تجعلَ المرأةَ عبدةً لشهواتِه ، وسلعةً يحققُ بها لَذَّتَه ، والمنهجُ الرَّبانيُّ يجعل المرأةَ الصالحةَ جنةَ الله للإنسانِ في الأرض ، وشريكةً له لإعمارِ الأرضِ ، ولا فضلَ لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصَّالح ، ورسمَ ربنا عزوجل منهجاً يُنَظِّمُ العلاقةَ بينهما من أجلِ ديمومة الحياة وإعمارها ، فأرسل الرُّسلَ وزوّدهم بكتب سماوية فيها منهجٌ للحياة .

واستمرَّ الصِّراعُ على المرأة منذ أولادِ آدمَ وإلى قيام السَّاعةِ ، والذي يدور حول السؤال الآتي : هل المرأةُ خيرٌ ومفتاحٌ للخير ، أو المَرأةُ شرٌ ومفتاحٌ لكلِّ شَرّ ، وجاءت رسلُ الله وأنبياؤه وكتبهم السَّماوية لتؤكد المعنى الأول ، معنى الخير ، ولتقفَ في وجه مَن يعتبرُ المرأةَ شراً وسبباً لكلِّ شرّ ، وتوضَّحَ هذا المنهج الرَّبانيُّ في الإسلام لحفظ الله عزوجل للقرآن الكريم ، بينما حُرِّفت الكتب السماوية السابقة .

ففي العهدين القديم والجديد الكثيرُ من النُّصوص التي تحتَقِرُ المرأةَ وتجعلها سبَبَ الشقاءِ والبلاءِ وخروجِ آدمَ من الجنَّةِ ، وأنَّ الخطيئةَ ملازمةٌ لابن آدم منذ خلقه وإلى قيام الساعة ، وإلى اليوم فالمرأة اليهودية لا ترث من زوجها ، في حين يرثها زوجها ، وبعضهم ربط حياتَها بحياة الرجل ، فلا تستحقُّ الحياة بعد وفاته ، فتُحرَق معه في أتونٍ واحد .

ولابدَّ من الإشارة بأن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الموثوق علمياً وتاريخياً لقصص القرآن ، ومن خلال هذه القصص جاء في قصص المرأة في القرآن الكريم ، وأنَّ ما جاء في التوراة والإنجيل من قصصهم لا يرتفع لمستوى الصحة التاريخية والتوثيق العلمي ، والمعقول من قَصَص الأنبياء في التوراة والإنجيل يمكن الاستئناس به ، وما ذُكر في القرآن عن آلِ عمرانَ ومريم هو أضعافُ ما ذُكِر في الإنجيل ، ولم يفصِّل القرآن في قَصَص المرأة بل جاء ذكرُهم في معرض ذكر الأنبياء والرسل ، لأن الهدفَ من ذكرهم ،

هو اتّباعُ تعاليم الله وشرعِه ثم التأسي بأخلاق رسل الله ، واستخلاص الحِكَم والعبر .

وما كانت حياةُ الرسولِ محمدٍ ﷺ إلا قرآناً ناطقاً ، عن القرآن وأحكامه ، وهي دستور بيِّن في كل أمور الدنيا والآخرة ، وخاصة فيما يخصُّ البحثَ الذي نتناوله ، وهو المرأة المسلمة بين القرآن والسنة ودورها في عصرنا الحاضر .

ويأتي هذا الكتاب في القرن الواحد والعشرين الذي جنحَ الغربُ فيه عن الحقِّ ، واعتمد على مبدأ (اللذةِ والمنفعةِ) دون اعتبارٍ لأية قيمةٍ دينيةٍ أو خلقيةٍ ، فقامت الحروبُ المدمرةُ ، واستغلَّ الأقوياءُ قوتَهم فتحكَّموا بالضعفاءِ وبقوتهم الشيطانية فقتلوا ودمَّروا واستعمروا واستحلُّوا ، وأصبحت المرأةُ سلعةً عند من يتبع هذا المنهجَ الشيطاني لتحقيقِ الشهوةِ ، فكثر الزنى والبغاء وما يتبعهما من مفاسد ، وأمراض ، وضياع الأسرة والأنساب ، وهَجرِ الزواجِ والإنجابِ ، وتأثر كثيرٌ من المسلمين بالغرب ، وتسربت إليهم نظرةُ الغرب للمرأة ، هذه النظرة الاستعلائية والذكورية التسلطية .

وباتت كثيرٌ من المجتمعات الإسلامية جاهلةً بدينها وتشريعِ ربِّها ، ومقلدةً للغرب في مفاسده ، فهي لم تحافظ على قيمها الأخلاقِيَّةِ الدِّينيةِ ، ولم تملك الدنيا كما ملكها الغرب بشهوة التسلط والمنفعة ، فأصبحت هذه المجتمعاتُ الإسلامية لا تملك الدنيا ولا تملك طريقَ الجنة والآخرة ، وكثيرٌ منها يتسمى بالإسلام ، وهو أبعدُ الناس عن تعاليم الإسلام ، فأصبحت مشكلةُ أغلب المسلمين في جهلهم بدينهم وتقليدهم للغرب ، فيعطون صورةً مشوهةً عن سماحة الإسلام وحقائِقه .

فهذا الكتاب الغاية منه :

أولاً : التأكيد والترسيخ أن المرأةَ مفتاحُ الخير ، وهي كلُّ الخيرِ ، وليست مفتاحَ الشر أو هي كلُّ الشر .

ثانياً : التأكيد أن الإسلام هو الذي أعلى من شأن المرأة ورفع من قيمتها وأعطاها حقوقها ، ولم يفرِّق بينها وبين الرجل إلا من حيث الوظيفة في إعمار الأرض وديمومة النسل البشري ، فلها وظيفةُ الأمومة والسكينة للبشرية .

ثالثاً : التأكيد أن نهضةَ المسلمين اليوم متوقفةٌ على المرأة قبل الرجل إذا أخذت مكانتَها وحقوقها .

رابعاً : إعادة ثقةِ المرأةِ المسلمة بنفسها لتقوم بالدَّور القيادي الدَّعوي والتَّربويِّ لتربي أجيال اليوم والغد .

خامساً : رسمُ خطوطٍ عريضة لقيام المسلمة من كبوتها ، واستيقاظها من غفلتها ورسم منهجٍ للدعوةِ النسائية للمستقبل .

سادساً : وضع خبرتي المتواضعة في مجال الدعوة ، فقبل نصف قرن تقريباً ومنذ حداثة سني قد نشأت على الإسلام والدعوة إليه ، فأصبحتُ خطيباً ومدرِّساً وإماماً وأستاذاً جامعياً ، وعميداً ومديراً لكليات إسلامية ، وأشرفت على الكثير من الأبحاث الجامعية والرسائل للدراسات الجامعية العليا ، ولا أزال منذ ربع قرن في العمل الأكاديمي الجامعي ، وحضرت العشرات من المؤتمرات والندوات وألَّفت الكتبَ ، وشاركتُ في تأسيس جمعياتٍ ومؤسسات إسلامية عديدة ، وأشرفت على العشرات من المخيمات والتجمعات الشبابية ، وساهمت في تخريج العشرات من الدعاة والداعيات ، واجتمع عليَّ الكثير من الرجال والنساء ، فكانت لي حلقات تربوية لكلٍ منهما .

سابعاً : وضع كتاب خاص يؤسسُ لعلم الدعوة للمسلمة المعاصرة ، ملخِّصاً فيه علمي وتجاربي في هذا الشأن ، ولما كنت مُدرِّساً لمادة فقه الدعوة منذ أكثر من عقد ونصف ، ولم أجد كتاباً يؤسسُ لعلم الدعوة عند الإناث ، حيث كانت كتبُ الدعوة وفقه الدعوة دائماً تتجه في أغلبها للرجل ، وتضرب قدوةً صالحة لهم بالرجال الذكورِ ، وقد أكرمني الله فألفتُ العديدَ من الكتب في الدعوة وفقهها ، ويُدَرَّسُ عددٌ منها في الجامعاتِ ، وقد وفقني الله لأكون في اللجنة التي وضعت المنهاج الدعوي لرابطة الجامعات الإسلامية التي عقدت في بيروت ، كلية الإمام الأوزاعي سنة ٢٠٠٣م ، والذي اقتُرِح فيه أن تكون مادة الدعوة في كل الجامعات الإسلامية .

ثامناً : ترسيخُ التفاؤل كلَّ التفاؤلِ بالحركة الدعوية النسائية المسلمة ، وبأنها ستتبوَّأ مكان الصدارة ، وستكون مفتاحاً لتحسين صورة الإسلام والمسلمين تجاه الغرب الحاقد وتجاه المسلمين الجاهليين ، فالمسلمة هي التي تؤمِّن السكينة والاستقرار في العالم في زمنٍ اضطربَتْ فيها الحياةُ واختلَّت الموازين .

تاسعاً : إن آلافاً مؤلفة من النساء المسلمات اليوم تصدَّرنَ للعمل الدَّعويِّ بعلمٍ وإخلاص ، وحفظن كتاب الله وأتقنَّ تجويدَه وقراءاتِه وحفظنَ الصِّحاحَ والكتبَ الستة في

الحديث ، وحفظنَ المتونَ المتنوعة في العلوم الشرعية ، وحصلن على الدكتوراة في اختصاصاتِ العلوم الإسلامية ، وتوزَّعن في المساجد والبيوت والمؤسسات التعليمية في الثانويات الشرعية وكليات الشريعة ، ناهيك عن عملهنَّ في مواقع متعددة ، يبلِّغن دعوة الله ، وبدأت تظهرُ عشراتُ المؤلَّفات بقلم المسلمات الداعيات .

عاشراً : إن نهضةً مباركةً نسائية دعويَّة بدأت تظهر بوادرُها في بلاد الشام من دمشق ، وانتشرت في المدن السُّورية ، ثم البلادِ المجاورة ، ثم انتقلت لغيرها ، ومثل ذلك نجده في مصرَ وبعض الدول الإسلامية ، وتحتاج منا كلَّ دعمٍ وتوجيهٍ وترشيدٍ وتأصيل ، وكان المنهجُ المتبعُ هو الوصفي والتحليلي ، فمرة تُذكر الفكرة ثم تُدعم بشواهدَ من المنقولِ والمعقولِ ، وتارة أخرى تُذكر الآيةُ أو الحديثُ ثم يُستنتج منها القواعدُ والأفكارُ ، لأن الغايةَ هي ترسيخُ الفكرة التي يدور عليها الكتابُ بأن النساءَ شقائقُ الرجال ، ولابد أن يتحمَّلنَ الدعوةَ إلى الله بعدما يتخلَّقنَ بأخلاق الإسلام عقيدةً وسلوكاً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٥] .

وكانت خطةُ البحث مؤلَّفةً من : مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث وخاتمة وفهارس .

١ـ المقدمة وذكر فيها الباحث الغاية من البحث والهدف منه وأهميته ومباحثه . . .

٢ـ التمهيد وذُكر فيه تعريفات العنوان (المنهج الدعوي ، للمسلمة المعاصرة) .

٣ـ ثم كان هناك ثمانية مباحث كما يلي :

المبحث الأول : المرأة قبل الإسلام في القصص القرآني .

المبحث الثاني : المرأة بعد الإسلام في القصص القرآني .

المبحث الثالث : المرأة والقرآن .

المبحث الرابع : مكانة المرأة في الإسلام .

المبحث الخامس : المرأة في بيت النبوة .

المبحث السادس : أحاديث مؤوَّلة أو باطلة وشبهات الأعداء عن المرأة .

المبحث السابع : صور من دور المرأة في التاريخ الإسلامي .

المبحث الثامن : المنهج الدعوي للمسلمة الداعية المعاصرة .

الخاتمة .

الفهارس العامة ، وتتضمن :

فهرس الآيات القرآنية .

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

فهرس الأعلام .

فهرس الأحكام الفقهية التي تخص المرأة .

فهرس المصادر والمراجع .

الفهرس العام .

فأما موضوع الكتاب ، وهو موضوع المرأة فقد كتب فيه الكثير ، ولكن كان هدف الكاتب أن يؤسس لعلم الدعوة النسائية في هذا العصر ، ويستنهض همتها ويبوِّئَها مكانتها ، ولقد اختصرت العديد من الكتب في هذا الكتاب ، والاختصار أصعب وأشقُّ من الإطناب ، وسيجد القارئ أن كلَّ عنوان يمكن أن يؤلف فيه مجلدات ، فالمبحث الأول كان عن المرأة قبل الإسلام في القصص القرآني ، والمبحث الثاني كان عن المرأة بعد الإسلام في القصص القرآني ، والمبحث الثالث كان عن المرأة والقرآن ، وما ورد في حق المرأة من قصص وأحكام وتوصيات وذكر في القرآن ، والمبحث الرابع كان عن مكانة المرأة في الإسلام ، وفيه قد جُمع ما تفرق في المباحث السابقة ، من قصص تتعلق بالمرأة أو أحكامها ونظِّمت كعقد اللؤلؤ ، وفي المبحث الخامس كان عن المرأة في بيت النبوة أي زوجات الرسول ﷺ ، والمبحث السادس ناقش أحاديث مؤوَّلة أو باطلة وشبهات الأعداء حول المرأة ، والمبحث السابع تحدث عن صور من دور المرأة في التاريخ الإسلامي ، وهذا البحث كتبت فيه مجلدات وموسوعات ، ولكن حاولت أن أعطي بعض الصور لتكون قدوة للمرأة في العصر الحديث ، والمبحث الثامن يتحدث عن المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة ، وهذا هو بيت القصيد من الكتاب .

ولقد كانت المباحث متفاوتة الحجم حسب موضوعها ، وحاولت ألا تزيد صفحات

الكتاب عن (٣٥٠) صفحة ، لأن العديد من كتبي قررت في بعض الجامعات أو اعتمدت مرجعاً ، فأردت أن يكون مرجعاً في علم الدعوة النسائية المعاصرة ، وبكل تواضع لم أجد كتاباً أو مرجعاً في هذا الموضوع يمكن اعتماده مرجعاً للطالبات الجامعيات ، فإن ثلاثةً من كتبي قُرِّرت في ثلاث كليات لجامعات مختلفة ، وهي بالأصل كان الخطاب بها موجهاً للذكور ، فأردت في هذا الكتاب أن أخص المرأة ، فإن وُفِّقت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وإنما الأعمال بالنيات .

وأما من حيث الشكل فقد حُرِصَ على نقل الآيات القرآنية برسمها العثماني وتخريجها بذكر اسم السورة ، ورقمها ، ورقم الآية ، تعظيماً لكتاب الله وتلافياً للأخطاء .

كما حُرِصَ على تخريج الأحاديث النبوية ، وذكر راويها من الصحابة ، ومخرِّج الحديث والحكم عليه ، فإذا كان في الصحيحين اكتُفي بهما ، وإن كان في أحد الصحيحين أضيف مرجعاً آخر ، وإذا كان في غير الصحيحين ، ذكر الحديث من مرجعين أو أكثر مع الحكم على الحديث عند السابقين أو المعاصرين ، وغالباً عند الشيخ ناصر الدين الألباني ، أو الشيخ شعيب الأرنؤوط .

كما عُرِّف الكثير من الأعلام الواردة . . .

ورتبت الحواشي كالتالي : اسم الكتاب ، فاسم المؤلف ، ثم المحقق إن وجد ، ثم (دار النشر ومكانها ، ورقم الطبعة ، وتاريخ الطبع) ، ثم الجزء والصفحة ، وإذا ورد المرجعُ للمرة الثانية اكتُفي باسم الكتاب مختصراً ، وكنية المؤلف ، والجزء والصفحة .

وأخيراً : النساء شقائق الرجال ، وأوصى الرسولُ بالنساء ، فقال : استوصوا بالنساء خيراً ، والمرأة هي المحور الرئيس لديمومة الحياة والمحافظة على النسل ، وهي النصفُ الآخر من البشرية ، وهي جماعُ الخير والسكينة للرجل ، وتحتاج من الجميع الدعم لتكون مصنعاً للأبطال والأجيال ، وكما قال شوقي :

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعدَدْتَها أعدَدْتَ شعباً طيِّبَ الأعراقِ

وكما قيل وراء كلِّ عظيم امرأةٌ ، فحتى تكون المرأة داعيةً صادقةً ، تنفضُ عن كاهلها الجهلَ والتخلفَ والاستعباد ، وتكون مريمَ عصرها ، وخديجةَ وعائشةَ زمانها ، ومثالاً للصلاح والإصلاح .

وختاماً : إن الكمال لله وحده ، وأرجو من الله أن أكون قد وفّيتُ الموضوع حقه ، وأن يكون لَبِنةً في بناء نهضةِ الأمة المرتكزة على أحد جناحيها وهم النساء ، وأن يكون خطوة لتأسيس علم الدعوة والتبليغ النسائية ، قال تعالى : ﴿ . . . رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة ٢/ ٢٨٦] .

* * *

تمهيد

تعريفات لمفردات العنوان

١ـ المنهج :

لغةً : المنهجُ من النهجِ وهو الطريقُ الواضحُ ، والخطَّةُ المرسومةُ ، ومنه نقول : منهاجُ الدراسةِ ، ومناهج التعليم ونحوها ، ومَنهج بفتح الميم (مَنهج) وكسرها (مِنهج) ، وجمعها مَناهجٌ ، قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة ٥/٤٨] .

اصطلاحاً : المنهج هو : (طائفةٌ من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم ، أو هو : البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة)[١] .

وعند القول : **المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة** ، فالمنهج هو وضعُ القواعدِ العامَّةِ والهامّة لموضوع الدعوة للمرأةِ المسلمةِ في هذا العصر للترسيخ لعلم الدَّعوةِ النسائيَّة ، وجعلِ قواعدَ وأصولٍ ومنهجٍ وخطةٍ ، والمسلمة والمسلم يشتركان في أمور وأصول ، ومن ثم يختصُّ كلٌّ منهما بقواعدَ وأصولٍ ، ويخضعُ ذلك لخلقة الله (الفيزيولوجية) والفَرقِ العضويِّ بين الرَّجلِ والمرأةِ ، والتي خصَّ كلاً منهما بخصائصَ ، يكملان بعضهما البعض ، ولا يستَغني فيها طرفٌ عن الآخر .

٢ـ الدَّعوي[٢] :

نسبة للدّعوة ؛ والدعوة لغةً : من دعا دعاء ودَعوة ، بمعنى المناداة ، فدعوت فلاناً ناديته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا

---

(١) مناهج البحث العلمي ، عبد الرحمن البدوي ، (دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٨م) ، ص (٣) وما بعدها .

(٢) يُراجع تفصيل الدعوة في كتابنا الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف ومجمعات عربية معاصرة ، (نشر مكتبة الإيمان ، دمشق ، ط٢ ، ٢٠٠٢م) ؛ وكتابنا دعوة الأنبياء الرسل في القرآن الكريم ، (نشر دار الإيمان ، دمشق ، ٢٠٠٢م) .

قَلِيلًا﴾ [الإسراء ١٧/ ٥٢] ، وقد تكون للمرة كقوله تعالى : ﴿ . . . ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم ٣٠/ ٢٥] ، ومنه الدُّعاء والدَّعوة كما في قول الله تعالى : ﴿ . . . أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ٢/ ١٨٦] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ . . . وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس ١٠/ ١٠] ، أي آخرُ دعائهم ، ومنه قولُه تَعالى : ﴿ . . . لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد ١٣/ ١٤] ، ومنه ما يدعى إليه ، من دين أو مذهب أو طعام أو نسب ، حقاً أو باطلاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥] ؛ والمنسوب لغير أبيه يقال له : الدَّعيُّ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ . . . وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤] ، ومنه الدَّعوة الأذانُ والإقامةُ ، وفي الحديث : « الخلافةُ في قريشٍ ، والحكمُ في الأنصارِ ، والدَّعوة في الحبشة »[1] ، جعل الأذان في الحبشة تفضيلاً لمؤذِّنه بلال ، وإنَّما قيل للأذان ذلك لأنَّه دعوةٌ إلى الصَّلاةِ ، ولذلك يقول المجيبُ : « اللهم ربَّ هذه الدَّعوة التَّامَّةِ والصَّلاةِ القائمة »[2] ؛ والمؤذِّن هو داعي الله[3] .

فكلمةُ دعوة تفيدُ لغويّاً : المحاولاتُ القوليّةُ والفعليّةُ من أجلِ تحقيقِ هدفٍ أو عملٍ ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ، (مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط ، د . ت) ، كتاب مسند الشاميين ، باب حديث عتبة بن عبد السلمي ، رقم (١٧٦٩٠) ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ؛ **مجمع الزوائد** ، **نور الدين الهيثمي** ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ) ، كتاب الصلاة ، باب فيمن يؤذن ، رقم (١٩٠٠) ، وقال : رواه أحمد ورجاله موثقون .

(٢) انظر **صحيح البخاري** ، **محمد بن إسماعيل البخاري** ، **تدقيق وترقيم : د . مصطفى البغا** ، (دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٩٣م) ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، رقم (٥٨٩) ؛ **سنن أبي داود** ، **سليمان بن الأشعث** ، **تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد** ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، مع تعليقات كَمَال يوسُف الحُوت ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها) ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الدعاء ، رقم (٥٢٩) ، وكلاهما عن جابر بن عبد الله .

(٣) انظر مادة (دعا) في **معجم مقاييس اللغة** ، **أحمد بن فارس بن زكريا** ، **تحقيق : عبد السلام هارون** ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩م) ، (٢/ ٢٨٠) ؛ **ولسان العرب** ، **ابن منظور** ، (دار صادر ، بيروت ، د . ت) ، (١٣/ ٢٥٧) ؛ **ومختار الصحاح** ، **محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي** ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧م) ، ص (٢٠٥) ؛ **وأساس البلاغة** ، **محمود بن عمر الزمخشري** ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م) ، ص (١٨٩) ؛ **والموسوعة الفقهية الكويتيّة** ، (نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٨م) ، (٢٠/ ٣٢٠) .

عن طريقِ المُناداةِ والطَّلبِ والإلحاح بجهدٍ وعملٍ[1] ، فهي طلبُ الاستجَابةِ والإقبالِ على المنادي .

الدَّعوة في اصطلاحِ الفقهاء :

يأتي هذا اللَّفظ بعدَّةِ معانٍ منها :

١ـ الدَّعوة بمعنى الدِّينِ « أو المذهبِ » أو بمعنى الدُّخولِ فيهما : فهي تُطلقُ على الدِّين نفسِه ، أو المذهبِ ، لأنَّ صاحبَهُ يدعو إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد ١٣/١٤] ، وفي كتاب النَّبيِّ ﷺ إلى هرقل : « إني أدعوك بدِعَايةِ الإسلام » ، وفي رواية : « بداعيةِ الإسلام »[2] . وقالَ ابنُ منظور في اللِّسان : أي بدعوته ، وقال تعالى مخبراً عن الجنِّ الَّذين استمعوا الدَّعوة : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف ٤٦/ ٣١] .

٢ـ ويُطْلَقُ على الأديانِ والمذاهبِ الباطلةِ أنَّها دَعَوات ، كدعواتِ المتنبِّين ، وأربابِ المذاهبِ المُبْتَدِعَة ، كالدَّعواتِ الباطنيَّةِ الَّتي أكثرت من استعمال هذا المصطلح ومشتقَّاته .

وإذا أُطلقت في كلام الفقهاءِ فالمَعْنِيُّ بها دعوةُ الحقِّ وهي الدَّعوة الإسلاميَّة[3] ، كقولهم في أبواب الجهاد : (لا يحِلُّ لنا أن نقاتلَ مَن لم تبلُغْه الدَّعوةُ إلى الإسلام)[4] ، وقد ورد هذا المصطلحُ في حديث النَّبيِّ ﷺ كما جاء : « أنّ النَّبيَّ ﷺ أمَرَ عليّاً حين أعطاهُ

---

(١) انظر كتاب الدَّعوة الإسلاميَّة ، أحمد أحمد غلّوش ، (دار الكتاب اللبناني ، ودار الكتاب المصريّ ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧م) ، ص (٩) .

(٢) رواه البخاري برقم (٧، ٢٧٨٢ ، ٤٢٧٨) ؛ ومسلم ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، تدقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م) ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ، رقم (١٧٧٣) ، وكلاهما عن أبي سفيان .

(٣) راجع الموسوعة الفقهية الكويتية ، (٢٠/ ٣٢٢) .

(٤) المغني ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٣م) ، (١٠/ ٣٨٦) ؛ البحر الرائق ، زين الدين بن نجيم ، (دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٠م) ، (٥/ ٨١) ؛ روضة الطالبين ، يحيى بن شرف الدين النووي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م) ، (١٠/ ٢٣٩) ؛ مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، محمد الشربيني الخطيب ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م) ، (٤/ ٢٢٣) ؛ رد المحتار على الدرِّ المختار ، ابن عابدين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، (٣/ ٢٢٣) .

الرَّايةَ يوم خيبر وبعثَه إلى قتالهم أنْ يدعوَهم ، وهم ممَّن بلغَتْهم الدَّعوةُ »[1] ، وفي شرح الحديث : (إنَّ الدَّعوةَ شرطٌ في جَوازِ القتالِ . . . وهو عن مالك ، سواءٌ مَن بلغتهم الدَّعوةُ أو لم تبلغْهم الدَّعوة)[2] .

فالدعوة إلى الله هي الدعوةُ إلى الإيمانِ باللهِ وبما جاءت به رسله وأن يَعبُد العبدُ ربَّه كأنَّه يراه .

والدَّعوة إلى الإسلام ، بمعنى تبليغِهِ ونشرِهِ ، (صَارتْ عِلْمَاً مستقلاً له موضوعُه وخصائصُهُ وأهدافهُ ، وهو بذلك يواكبُ سائرَ العلوم الإسلاميَّةِ ، يفيدُها ويستفيدُ منها ، ويشاركُها في إفادةِ الإسلام ، برسمِ طريقٍ منهجيٍّ يَكْفُلُ له الانتشارَ والذُّيوعَ . . .) ـ وهي ـ (العلمُ الَّذي به تُعْـرَفُ كافَّةُ المحاولاتِ الفنِّـيَّةِ المتعدِّدةِ الرَّاميةِ إلى تبليغ النَّاسِ الإسلام ، بما حوى من عقيدةٍ وشريعةٍ وأخلاقٍ)[3] .

وممَّا يتَّصلُ بالدَّعوةِ إلى اللهِ الدَّعوةُ إلى الخيرِ والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ ، والتَّبليغُ ، والنَّصيحةُ ، والتَّواصي ، والوَصيَّةُ ، والتَّرغيبُ والتَّرهيبُ . . . والدَّعوة إلى اللهِ أشملُ من باقي الألفاظِ ، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ أخصُّ من الدَّعوة وأحدُ أجزائها ، فالدَّعوة إلى اللهِ تشملُ :

ـ الدَّعوة الإسلاميَّةَ : وهي الدِّين الَّذي ارتضاه الله للعالمينَ ، وأنزلَ تعاليمَهُ وحياً على رسولِ اللهِ ﷺ وحفِظَها في القرآن الكريم ، وبيَّنها في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ .

ـ الدَّعوة الإسلاميَّةَ : (هي النِّظامُ العامُّ والقانونُ الشَّاملُ لأمور الحياةِ ومناهجِ السُّلوكِ الإنسانيِّ الَّتي جاء بها مُحمَّد ﷺ من ربِّه ، وأمرَهُ بتبليغِها إلى النَّاس ، وما يترتَّبُ على ذلك من ثوابٍ أو عقابٍ في الآخرة)[4] .

ـ الدَّعوةُ إلى اللهِ ، هي الدَّعوة إلى دينِ اللهِ ، و« الدَّعوة » : (تهدفُ إلى الإقناعِ

---

(١) رواه البخاري بروايات مشابهة : برقم (٢٧٨٣ ، ٢٨٤٧ ، ٣٤٩٨ ، ٣٩٧٣) ، وصحيح مسلم ، برقم (٢٤٠٦) عن سلمة بن الأكوع .

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، (دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، د .ت) ، (٧/ ٣٦٦) .

(٣) الدَّعوة الإسلاميَّة ، أحمد أحمد غلّوش ، ص(١٠) .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص (١٢) .

والوصولِ إلى قلوبِ المدعُوِّينَ للتَّأثيرِ فيها حتَّى تتحوَّلَ عمَّا هي عليه من الإعراضِ أوالعنادِ ، إلى الإقبالِ والمتابعة)[1] .

وقد عرِّفَت الدَّعوة أنَّها : (تبليغُ النَّاسِ جميعاً دعوةَ الإسلام وهدايتُهم إليها قولاً وعملاً في كلِّ زمان ومكان ، بأساليبَ ووسائلَ خاصَّةٍ تتناسبُ مع المدعوِّين على مختلف أصنافهم وعصورهم)[2] .

والخلاصة : **الدَّعوة إلى اللهِ ، هي أن يتمثَّلَ الدَّاعيةُ خصائصَ الإسلام ، ويتخلَّقَ بها ، عقيدةً وإيماناً وفكراً وعملاً ، ثمَّ يقومَ بعرضها على النَّاسِ والدَّعوة إليها بحكمةٍ بالغةٍ ودرايةٍ تامَّةٍ بأسلوبٍ يناسب حالَ المدعُوِّين ، بالحكمة والموعظة الحسنة. . .** ، وقد أشارت سورةُ العصر إلى هذه المعاني ، وإلى ما يُنقذ الإنسانيَّةَ من الهلاك والخسران وهو أوّلاً : الإيمانُ ، وثانياً : العملُ الصَّالح ، وثالثاً : الدَّعوة والتَّبليغ ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر ١٠٣/ ١ـ٣] .

٣ـ المسلمة :

وهي المرأةُ المسلمةُ المكلَّفةُ التي ارتضت الإسلامَ ديناً والقرآن دستوراً ، ومحمداً نبياً ، فالتزمت بأحكامه ، وتخلّقت بأخلاقه ، فكان معتقدها وسلوكها ، كما أراد الله ، وأن لكلِّ من المسلم والمسلمة دوراً في بناء مستقبل الأجيال ، وكما قال شوقي[3] :

الأمُّ مـــدرســـةٌ إذا أعـــددتهـــا أعـــددتَ شعبـــاً طيِّـــبَ الأعـــراقِ

ولا فرق في التكاليف الشرعية بين المسلم والمسلمة ، إلا بحالاتٍ خاصةٍ والتي ترتبط بعضوية جسد المرأة من أجل إنجاب الأولاد ورعايتِهم (كالحيض والنفاس والرضاعة) ، وما يترتب عليها من التخفيف عن المرأة في عباداتِها في الصلاة والصيام ، وهذه هي

---

(١) **الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة** ، (٢٠/ ٣٢٢) .

(٢) **خصائص الدّعوة الإسلاميّة** ، **محمّد أمين حسن** ، (مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٣م) ، ص(١٧) .

(٣) شاعر مصري من مواليد القاهرة ١٨٦٨م لأب كردي وأم تركية ، أنهى دراسته الثانوية بإتمامه الخامسة عشرة من عمره ، والتحق بمدرسة الحقوق ، ثم مدرسة الترجمة ، ثم سافر إلى فرنسة لدراسة الحقوق على نفقة الخديوي توفيق بن إسماعيل ، لقّب بأمير الشعراء سنة ١٩٢٧م ، وتوفي في ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٢م ، وهو أول شاعر عربي صنّف مسرحيات شعرية ، ومن أشهر أعماله ، ديوان الشوقيات ، مصرع كليوبترة ، مجنون ليلى وغيرها .

حالاتٌ تكميليةٌ بين الرجل والمرأة فيكمِّل أحدُهما الآخرَ ، قال تعالى : ﴿ . . . هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ . . . ﴾ [البقرة ٢/ ١٨٧] ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم ٣٠/ ٢١] .

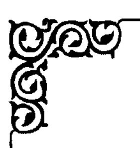
ولا فرقَ في الدعوة والتبليغ بين المسلم والمسلمة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة ٩/ ٧١] ، وكلُّ الآيات التي فيها عمومٌ وليس فيها تخصيصٌ تشملُ الذكرَ والأنثى ، قال تعالى : ﴿ . . . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ . . . ﴾ [الحجرات ٤٩/ ١٣] ، كما وصف القرآن الكريم المنافقين والمنافقات بقوله : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة ٩/ ٦٧] .

٤ـ المعاصرة :

ويُقصد بذلك في زماننا الحاضر ، الذي نعيش فيه لنتعرف على واقعنا ونستشرف مستقبلنا مستفيدين من وسائلِ الاتصال والاختراعات (التكنولوجية) التي وصل إليها العلمُ في هذا الزمان .

وهذا يتطلب وضْعَ خطةٍ وطريقة واضحة وسهلة ، وقابلةٍ للفَهم والوعي ، والتطبيق والاستمرار للدعوة الإسلامية ، لتكونَ دستوراً للمرأة المسلمة في زماننا الذي تعاني فيه الدعوةُ الإسلامية من مفاهيم مغلوطة في المجتمعات الإسلامية أولاً ، ثم في المجتمعات الغربية ثانياً ، مما أدَّى إلى الهجومِ على الإسلام ومبادئهِ وقيَمهِ بسبب جهل أبنائه وحِقْد أعدائه ، وأدى بالتالي إلى اتخاذ واقعِ المرأة المسلمة من جهلٍ وتخلفٍ إلى جعلها غرضاً وهدفاً للنيل من الإسلام ، وتوجيهِ الافتراءاتِ على الإسلام ، فاتّخذ أعداءُ الإسلام من استشراقٍ وتبشيرٍ واستعمارٍ وصهيونيةٍ وغيرِهم من موضوع المرأة وتحريرِها هدفاً للنيل من الإسلام ، لإحكام سيطرتهم على المسلمين وبلادِهم ، فكان لزاماً على المسلمين أن يردُّوا على افتراءاتِ أعدائهم ، وأن يعلِّموا المسلمات المنهجَ الدَّعويَّ الإسلاميَّ للمرأةِ المسلمة في هذا العصر ، لتأخذَ دورها كما أمر اللهُ ولتؤديَ الوظيفةَ التي خلقها اللهُ من أجلها .

* * *




المبحث الأول
المرأة قبل الإسلام
في القصص القرآني

المطلب الأول : حواء في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : امرأة نوح عليه السلام في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : سارة وهاجر في القرآن الكريم .

المطلب الرابع : امرأة لوط عليه السلام وابنتاه .

المطلب الخامس : امرأة العزيز ويوسف عليه السلام .

المطلب السادس : المرأة في قصة أيوب عليه السلام .

المطلب السابع : المرأة في قصة موسى عليه السلام .

المطلب الثامن : المرأة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام .

المطلب التاسع : مريم عليها السلام .



المبحث الأول

المرأة قبل الإسلام في القصص القرآني[1]

المطلب الأول : حواء في القرآن الكريم[2]

إن آدمَ هو أصلُ البشر ، خلقه الله من تراب ثم خَلَطَه بالماء فأصبح طيناً ثم حمأً مسنوناً ثم صلصالاً : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص ٣٨/ ٧١] ، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾ [الصافات ٣٧/ ١١] ، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر ١٥/ ٢٦] ، ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن ٥٥/ ١٤] ، أما حواءُ ، فهي من آدمَ وتبعٌ له ، وقصتها جزء من قصته ، ولقد جاء الحديثُ عنها في القرآن الكريم بصورة ضمنية تبعية ، ورد الحديث عن خلقها في آيات متعددة من خلال عدد من النقاط :

النقطة الأولى : خَلْقُ حواءَ :

حيث قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء ٤/ ١] ، (من) في قوله تعالى : ﴿ . . . مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا . . . ﴾ تفيد التبعيض ؛ لأن حواءَ خُلِقت من بعضِ آدمَ عليه السلام ، ويجوز أن تكونَ (من) بيانيةً لأن حواءَ خُلِقت من جنسِ آدم ، وخلقها الله من جنسِه لتتحققَ الألفةُ والوئامُ والمودةُ والانسجامُ بين الطَّرفين .

وقد ورد في الحديث الشريف ما يدل على أن حواءَ خُلقت من ضِلع آدم عليه السلام ، فقد قال ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً فإنهنَّ خُلِقْنَ من ضلعٍ ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلع أعلاه، فإن ذهبْتَ تقيمه كسرْتَه، وإن تركْتَه لم يزلْ أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»[3] ،

---

(١) اعتمدتُ في هذا الفصل على عدة مراجع وأهمها : كتاب (المرأة في القصص القرآني) ، تأليف د . أحمد محمد الشرقاوي ، (دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١ م) ، وهو كتاب جيد ومفيد لكل امرأة مسلمة .

(٢) انظر كتابنا دعوة الأنبياء ، ص (٢٣) وما بعدها في ذكر آدم وحواء .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصية بالنساء ، رقم (٤٨٩٠) ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند=

وقال ﷺ : « إن المرأةَ خُلِقت من ضلعٍ لن تستقيمَ لك على طريقة ، فإن استمتعتَ بها استمتعت بها وبها عِوَجٌ ، وإن ذهبت تقيمُها كسرْتَها ، وكسرُها طلاقُها »[1] [2] ، فحواءُ خُلِقتْ من ضلعٍ من أضلاع آدمَ عليه السلام ، بكيفية لا نعلمها وإنما نفوِّض علمها إلى الله ، أما ما يُقال : أنها خلقت من ضلع آدم اليسرى فلم يثبتْ في السنة الصحيحة[3] .

النقطة الثانية : سكنى[4] حواء مع آدمَ في الجنة[5] :

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة ٢/٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف ٧/١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[6] [طه ٢٠/١١٧] .

= المكثرين ، باب مسند أبي هريرة ، رقم (١٠٤٥٢) ، وكلاهما عن أبي هريرة ، وهذا الحديث مدحٌ للمرأة وسنفصل فيما بعد في شرحه في المبحث السادس .

(١) **صحيح مسلم** ، كتاب النكاح ، باب الوصية بالنساء ، رقم (١٤٦٨) ؛ **صحيح ابن حبان** ، **معمر بن حبان البستي** (ت : ٣٥٤هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ) ، كتاب النكاح ، باب معاشرة الزوجين ، رقم (٤١٧٩) ، وكلاهما عن أبي هريرة .

(٢) سيُفرد لهذا الحديث والذي قبله ، وبعض الأحاديث التي يشتبه معناها على البعض فصل خاص هو المبحث السادس .

(٣) في الفصل الثاني من سفر التكوين ، **الإصحاح الثاني** ، فقرة (٢٢ـ٢٣) : (فأوقع الرب سباتاً على آدم فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً ، ومنح الرب الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم ، فقال آدم : هذه هي المرأة عظم من عظامي ، ولحم من لحمي ، ولهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً) ، والصحيح أن عدد أضلاع الرجل مساوٍ لعدد أضلاع المرأة .

(٤) والسكن في اللغة : (سكنت الدار ، وفي الدار سكناً من باب طلب ، والاسم السكنى ، فأنا ساكن ، والجمع سكان ، ويتعدى بالألف فيقال : أسكنته الدار ، والمسكن بفتح الكاف وكسرها : البيت ، والجمع مساكن ، والسكن ما يسكن إليه من أهل ومال وغير ذلك ، وهو مصدر سكنت إلى الشيء من باب طلب أيضاً ، والسكينة أيضاً الرزانة والوقار) ، ويقول الإمام القرطبي : (في قوله تعالى ﴿ٱسْكُنْ﴾ تنبيه على الخروج لأن السكنى لا تكون ملكاً ، ولهذا قال بعض العارفين : السكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع فدخولهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة) . انظر : **المصباح المنير** ، **الفيومي أحمد بن محمد علي** ، (المكتبة العلمية ، بيروت ، د .ت) ، مادة سكن ، (٢/ ١٢٩) .

(٥) الجنة : الجمهور على أنها هي التي في السماء ، وهي جنة المأوى ، والبعض قال : ليست جنة المأوى ، انظر : **قصص الأنبياء** ، **ابن كثير** ، (دار الأرقم ، بيروت ، د .ت) ، (١٧ـ١٨) ؛ ولغةً : الجنة من الجن وهو ستر الشيء عن الحاسة ، ومنه الجنان والمجن ، والجن والجنة .

(٦) يُنظر : **تفسير القرطبي** ، **الجامع لأحكام القرآن** ، **القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري** ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧م) ، (١/ ١١٩) .

وتخصيصُ الخطابِ لآدم في قوله : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ . . . ﴾ هو (للإيذان بأصالته في تلقّي الوحي وتعاطي المأمورِ به وتجنب المنهي عنه ، وحواء مساوية له فيما ذُكر بخلاف السُّكنى فإنها تابعة له فيها)[1] ففي قوله تعالى : ﴿ . . . وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وقوله : (جاء الخطاب بـ ﴿اسْكُنْ﴾ لآدم والخطاب بـ ﴿فَكُلاَ﴾ ، ﴿وَكُلاَ﴾ لآدم وحواء معاً ، لأن حواء عليها السلام وآدم عليه السلام في الأكل والنهي سواء ، بخلاف السُّكنى فإنها تابعةٌ له فيها ، وجاء الخطابُ بالأكل إليهما معاً تعميماً للتشريفِ والتكريمِ والإنعام وإيذاناً بتساويهما في مباشرة المأمور به تمهيداً للإيذان بتساويهما في اجتناب الأكل من الشجرة المحظورة ، وفي قوله تعالى : ﴿ . . . فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ، واكْتُفِي بنسبة الشقاء لآدم لأنه هو الأصل وحواء تبع له ، فلزم من نسبته الشقاءَ لآدم نسبته إلى حواء ، لأن المرأةَ تشقى بشقاء زوجِها ، وقيل : لأن التعبَ في طلب المعاش وظيفةُ الرجل ومهمتُه في الحياة ، فهو القيِّم على أهله)[2] .

وجاء في تفسير ذلك : (وإنما خصَّه بذكر الشقاءِ ولم يقلْ فتشقيا ، علَّمنا أنَّ نفقةَ الزوجة على الزوج ، فمن يومئذ جرت نفقةُ النساء على الأزواج ، فلما كانت نفقةُ حواءَ على آدمَ كانت كذلك نفقاتُ بناتها على بني آدم بحق الزوجية ، وأعلَمَنا في هذه الآية أن النفقةَ التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعةُ : الطعامُ والشرابُ والكسوةُ والمسكنُ ، فإذا أعطاها هذه الأربعةَ فقد خرج إليها من نفقتها ، فإن تفضَّلَ بعد ذلك فهو مأجورٌ ، فأما هذه الأربعةُ فلابد لها منها لأن بها إقامةَ المُهْجَة[3])[4] .

النقطة الثالثة : وسوسة الشيطان لآدم وحواء :

لقد تمكَّن الشيطان من إغواء آدم عليه السلام وحواء ، فارتكبا خطيئة مشتركة حيث نهاهما الله عن الأكل من الشجرة فأكلا منها ، وقد سجَّل لنا القرآن الكريم ذلك في ثلاثة مواضع من سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة طه ، قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ

---

(١) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم** ، **الإمام أبو السعود** ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) ، (١/ ١١١) بتصرف .

(٢) **المرأة في القصص القرآني** ، **د . الشرقاوي** ، (١/ ٨١ـ ٨٤) .

(٣) المُهْجَةُ : الدَّمُ أو دَمُ القَلْبِ والرُّوحُ . والأُمْهُجُ والأُمُهُجانُ بضمِّهما والماهِجُ : الرَّقيقُ من اللَّبَنِ ، وقيل : المُهْجَةُ خالِصُ النَّفْسِ ، بَذَلْتُ له مُهْجَتي أي نَفْسي وخالِصَ ما أَقْدِر عليه . ومُهْجَةُ كلِّ شَيْءٍ خالِصُه . ينظر : **القاموس المحيط** ، **الفيروزأبادي** ، (مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧١هـ) ، (١/ ٢٦٣).

(٤) **تفسير القرطبي** ، (١١/ ٢٥٣) بتصرف .

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف ٧/ ٢٠] ، وفي سورة طه تقع مسؤولية خروج آدم من الجنة عليه ، قال تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه ٢٠/ ١٢٠-١٢١] ، قال تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة ٢/ ٣٦] ، وأزلَّهما الشيطان أوقعهما في الزَّلَّة ، وهي الخطيئةُ التي خرجا بسببها من الجنة ، بسبب ما وسوس[1] الشيطان لآدم أو لكليهما ، وفي قوله تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ، صدرت الوسوسة لهما معاً (آدم وحواء) ، وفي قوله تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ، صدرت الوسوسةُ إلى آدم ولم يأت ذكرٌ لحواء ، فكانت آياتُ الوسوسة متكررةً فمرة لآدم وحده ، ومرة يوسوس إلى آدم وحواء معاً .

النقطة الرابعة : أكل آدم وحواء من الشجرة :

لقد استجاب آدمُ عليه السلام وحواءُ لغوايةِ إبليس ، واغترّا بهذا الوسواس ، واقتربا من تلك الشجرة المحظورة ، وتناولا منها قدراً يسيراً ، فبدت لهما سوءاتهما ، قال تعالى : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف ٧/ ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه ٢٠/ ١٢١] ، وفي هاتين الآيتين إشارة إلى أنهما أكلا من الشجرة شيئاً يسيراً بمقدار ما يتذوق الإنسان .

---

(١) الوسوسة هي الصوت الخفي ، وهي الخطرة الرديئة ، وأصلها من الوسواس وهو الصوت الخفي ، (الوَسواس بالفتح اسم من وسوست إليه نفسه إذا حدّثته ، وبالكسر : الوِسواس المصدر ، ووسوس متعدٍّ بإلى ، وقوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ بمعنى إلى ، ويقال لما يخطر بالقلب من خطرة رديئة ولما لا خير فيه : وسواس) . انظر : **مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد** ، (ت : ٥٠٠هـ) تحقيق : صفوان داوودي ، (دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ) ، ص (٥٢٢) ؛ و(الوسوسة الدعاء إلى أمر بصوت خفي ، والفرق بين وسوس إليه ووسوس له : أن معنى وسوس إليه أنه ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي ، ومعنى وسوس له : أنه أوهمه النصيحة له في ذلك) . انظر : **مجمع البيان ، الفضل بن الحسن الطبرسي** ، (دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ) ، (٤/ ٦٢٦) .

النقطة الخامسة : توبة آدم وحواء :

تحدَّث القرآنُ الكريم عن توبةِ آدمَ وحواءَ في أكثر من موضع ، قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة ٢/ ٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف ٧/ ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه ٢٠/ ١٢٢] ، فيها إشارةٌ إلى اشتراكِ آدمَ وحواءَ في المعصية ، واعترافِهما بالذنب ، وطلبهما المغفرةَ والرحمةَ من الله تعالى ، وفيها توبةُ آدم وحواء .

النقطة السادسة : هبوط آدم وحواء إلى الأرض :

تاب اللهُ تعالى على آدم وحواء وأهبطَهما إلى الأرض ، قال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة ٢/ ٣٦-٣٨] ، ونلاحظ في هذه الآيات أن الأمر بالهبوط قد تكرر ، وقيل : (كرر الهبوط للتأكيد ، أو لاختلافِ المقصود ، فإن الأولَ دلَّ على أن هبوطَهم إلى دار البليّةِ ، يتعادَون فيها ولا يخلدون ، والثاني أشعر بأنهم أُهبطوا للتكليف فمن اهتدى نجا ، ومن ضلَّ هلك ، وقيل : الأول من الجنة إلى السماء الدنيا ، والثاني منها إلى الأرض)[1] ، وقد جاء الأمرُ بالهبوط مرة بصيغة التثنية (اهبطا) ، حيث قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ [طه ٢٠/ ١٢٣] ، وثلاث مرات بصيغة الجمع ، وقد اختلفَ العلماء في تفسير هذا الأمر .

إن المسؤوليةَ عن الأكل من الشجرة مسؤوليةٌ مشتركةٌ بين آدمَ وحواءَ ، كما بيَّنت الآياتُ القرآنية ، وقد وسوس الشيطانُ إليهما ، واغترَّا معاً وأكلا من الشجرة معاً ، وبدت سوءاتهما وعاتبهما المولى عزوجل على ذنبهما ، وتابا معاً إلى الله وتاب الله عليهما ، وأُهبطا سوياً إلى الأرض ، فالمسؤوليةُ مشتركة بينهما كما صرحت بذلك الآيات الكريمة ، والهبوطُ الحسي والمعنوي كان بالمعصية ، والعروجُ الروحي يكون بالتَّوبة .

---

(١) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الإمام البيضاوي عبد الله بن عمر** ، (دار الجيل ، بيروت ، د .ت) ، ص(٥) .

النقطة السابعة : الزواج وأهميته :

ومن الفوائد الهامة التي أشارت إليها قصة آدم وحواء في القرآن : أن الزواجَ سنّةٌ من سنن الفطرة وهو آيةٌ كونية وإنسانية وسنة نبوية ، وله مكانةٌ هامة جداً في الإسلام ، وأن الشيطانَ هو عدوُّ الإنسان الأول ، وقد أعلن عداوتَه للإنسان ، وأنه مسلَّطٌ على العباد من ساعة الميلاد وحتى مفارقة الأرواح ، وأن المعصيةَ خطرٌ على الإنسان وأن عاقبتها وخيمةٌ ، فعلينا اجتناب المعاصي والآثام وأنْ لا نستهينَ بها مهما كانت ، وأن لا ننظر إلى صغرها ولكن ننظر إلى عَظَمة من نعصيه .

ولم تُذْكرْ حواءُ بالاسم في القرآن ، بل ذُكرت بكلمة (زوج) ، وكأنه إشارةٌ إلى أن العلاقةَ بين الرجل والمرأة هي الزواجُ ، وإن الزوجةَ هي سكنٌ للرجل ليستمتعَ بها ، وليَحْدثَ بينهما ما يؤدي إلى التناسل والتكاثر وهما يكمِّلان بعضَهما ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما .

النقطة الثامنة : المرأة في قصة هابيل وقابيل :

(بعد تَوبة سيدنا آدم وهبوطه للأرض مع حواء رزقهما الله بتوأمين : قابيل وأخته ، وهابيل وأخته ، ولما كبروا أوحى الله تعالى إلى سيدنا آدم بأن يزوج كلَّ فتى من توأم أخيه ، فرفض قابيلُ وأصرَّ على الزواج من توأمه ، وطلب آدم من ابنيه أن يقرِّب كلاهما قرباناً إلى الله ، فأيهما تُقبِّل قربانه كان أحق بما اشتهى وأراد ، فتقبل الله قربان هابيل ، فامتلأ قلب قابيل بالحقد والحسد ، ونصح هابيلُ أخاه فلم ينتصح ، حتى قتل قابيلُ هابيل ، وما عرف كيف يواري جثة أخيه حتى بعث الله غراباً يواري غراباً. . . لقد ذكر الله هذه القصة بقوله : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة ٥/ ٢٧-٣١])[1] ، فالشهوة والطمع يؤديان إلى الهلاك إن لم يكبح الإنسان جماح شهوته ، ويكسر من حدتها ، ويجعل لعقله

---

(١) دعوة الأنبياء الرسل ، المؤلف ، ص (٣٤) وما بعدها .

سلطاناً على هواه ، ويتبع أوامر الله ، فقتل قابيلُ هابيلَ من أجل شهوةِ امرأة ، من أجل جمالها ، والأصل أن يكون الجمال الخُلقي مقدَّماً على الجمال الخلقي ، « . . . فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1] .

النقطة التاسعة : صورة آدم وحواء في العهد القديم :

في نصوص العهد القديم والجديد[2] تضارُبٌ وتناقضاتٌ وتحريفٌ ، ففي العهد القديم ، يتحدثُ سفر التكوين بأن الله َنهى آدمَ وحواءَ عن أكل ثمر الجنة وقال لهما : (لا تمسَّا لئلا تموتا)[3] ، ولكن لم يموتا ، وفي سفر التكوين[4] : أن الحية هي التي أغوَتْهما : (وكانت الحيةُ أحيلَ جميعِ حيواناتِ البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل ؛ وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة : لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر) ، وكذلك في العهد الجديد ورسائل بولس الثانية إلى أهل كورنثوس[5] : (كما خدعت الحية حواء بمكرها) ، والحية هي إبليس (لكن الشيطان كان في هذه الحية) ، وقد سبق إلى هذه الأساطير الهندية القديمة ، وأن الحية كانت تناصب آدم وحواء العداء ، وكذلك عند الفراعنة حيث إله الشر مثّل الشيطان والحية في الوقت نفسه .

وفي سفر التكوين[6] : (يمشي الرَّبُّ في الجنةِ فيسمع آدمُ وحواءُ صوتَ الرب فيختبئان منه ويسأله الرب : أين أنت هل أكلت من الشجرة) ، وفي سفر التكوين[7] : (وقال الرب الإله : هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر ، والآن لعله

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، رقم (٤٨٠٢) ، صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح ذات الدين ، رقم (١٤٦٦) ، عن جابر بن عبد الله .

(٢) يراجع **الكتاب المقدس ويضم العهدين القديم والجديد** ، طبع دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ١٩٨٧م .

(٣) سفر التكوين الإصحاح الثالث ، فقرة ٣ـ٤ .

(٤) في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، فقرة (١ـ٦) .

(٥) في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، فقرة (٣) .

(٦) في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، فقرة (١٨) .

(٧) في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، فقرة (٢٢) .

يمدُّ يدَه ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ، ويأكل فيحيا إلى الأبد فأخرجه من الجنة وطرده إلى الأرض) ، فالربُّ عندهم يكذبُ وجاهلٌ ويمشي ويخاف. . . وكل اللوم في العهد القديم والجديد على حواء ، وليس فيهما أية إشارة لتوبة آدم وحواء. . . والبنتُ شؤم على أهلها ، وللرجل الحقُّ في بيع ابنتِه كرقيق (وإن باعَ الرجل ابنتَه أمةً لا تخرج كما يخرج العبيد)[1] ، والمرأة اليهودية لا ترث من زوجها في حين يرثُها زوجُها[2] ، وفي رسائل بولس إلى ثيموثاوس : (على المرأة أن تتلقّى التعليمَ بسكوت وخضوع ، ولستُ أسمح للمرأة أن تتعلم ولا أن تتسلَّط على الرجل ، بل عليها أن تلزمَ الصمتَ ، ذلك لأن آدم كوِّن أولاً ، ثم حواء ، ولم يكن آدمُ هو الذي انخدع بمكر الشيطان ، بل المرأة التي انخدعت فوقعت في المعصية)[3] .

وسألت المرأةُ الأنباغريغوريوس قائلة : (لماذا تبقى النفساءُ بعيدةً عن الأماكن المقدسة أربعين يوماً إذا ولدت ذكراً ، وثمانين يوماً إذا ولدت أنثى ، فأجاب الأنبا : الحكمةُ من هذا الاختلافِ في الأم التي ولدت أنثى فهي على ما نعتقد بسبب أن حواءَ أخطأت أولاً ، وهي التي مدَّت يدها وأكلت من ثمرة الشجرة وسقطت ، وهذه للأسف حقيقةٌ لا مفرَّ من الاعترافِ بها ولا سبيلَ لنا إلى إنكارها ، أو تبريرها)[4] .

فالمرأة في اليهودية والنصرانية شيطانٌ ، وهي حيةٌ ، وهي سبب البلايا والخطايا[5] .

المطلب الثاني : امرأة نوح[6] في القرآن الكريم

قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم ٦٦/ ١٠] ، ففي هذه الآية حديثٌ صريح عن موقف امرأة نوح التي ظلت على

---

(١) في سفر الخروج ، الإصحاح الثاني ، فقرة (٢١) .

(٢) تراجع المادة : ٤١٩ من الأحكام الشرعية الإسرائيلية .

(٣) الرسالة الأولى إلى ثيموثاس ، الإصحاح الثاني ، فقرات (١٢ـ١٤) .

(٤) يراجع **المرأة بين البيت والمجتمع للبهي الخولي** ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د .ت) ص (٨) .

(٥) يراجع : **المرأة في القصص القرآني للشرقاوي** ، (١/ ١٢٣ـ١٢٥) ؛ **المرأة بين البيت والمجتمع ، البهي الخولي** ، ص (٨) ؛ **الأسرة تحت رعاية الإسلام ، الشيخ عطية صقر** ، (مؤسسة الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص (٣٢٥) .

(٦) انظر : كتابنا **دعوة الأنبياء الرسل** ، قصة نوح ص (٤٤) وما بعدها .

كفرها ، فلم ينفعْها زواجُها من نبي الله نوح عليه السلام ، فالخيانةُ هنا : بمعنى الكفر ، وليس المقصود بها الخيانة بمعنى الزنا ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ما بغت امرأة نبي قط ، إنما كانت خيانتها في الدين)[1] ؛ قال ابن كثير : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أي في الإيمان ، لم توافقْهما على الإيمان ولا صدّقتاهما في الرسالة فلم يُجْدِ ذلك كله شيئاً ، ولا دفع عنهما محذوراً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ أي لكفرهما ، وليس المراد بقوله : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ في فاحشة ، بل في الدين ، فإن نساءَ الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء)[2] .

(لقد كذَّبت امرأةُ نوحٍ بزوجها عليه السلام ، وكان الأولى بها أن تكونَ أولَ المؤمنين به ، ولاسيما وهي زوجتُه وأعلمُ النَّاسِ بأحواله وأقربُ النَّاس منه ، ولكنَّها آثرَت ما عليه قومُها من الكفر والضلال ، فكان عاقبتُها الخسرانَ والنكالَ ، كفرت امرأةُ نوحٍ مع الكافرين وسِخرَت مع الساخرين ، فلم يغنِ عنها نوحٌ عليه السلام من الله شيئاً ودخلت النار مع الداخلين)[3] ؛ (فلا قَرابةَ إلا بالتقوى والإيمان ، فزوجةُ نوح وولدُه استحقَّا النار لكفرِهما ، فلا رابطةَ إلا رابطةُ العقيدة ، ولا نسبَ إلا نسبُ الإيمان ، وآلُ الأنبياء هم أتباعهم المؤمنون ، ومن أبلغ الانحراف : أن يتمسكَ الأتباعُ بالنسب دون العقيدةِ والسلوك ، وهذا من أخطر ما أصيب به المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ)[4] ، والكافرُ يُعاقَبُ على كفره ، ولا تنفعُه قرابتُه من أهل الإيمان ، نسباً أو صهراً ، كما أن المؤمن يثاب على إيمانه ولا يضرُّه قرابتُه من الكافرين في النسبِ أو المصاهرة ، فامرأةُ نوح لم تُفِدْها قرابتُها من زوجها ، وإن اللهَ لم يهدِها ، لأن الهدايةَ بيد الله ، وإنها هلكت بالطوفان[5] .

---

(١) فتح القدير ، الشوكاني ، محمد بن علي ، (مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، د .ت) ، (٥/ ٢٥٥) .

(٢) تفسير ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د .ت) ، (٤/ ٣٩٣) .

(٣) المرأة في القصص القرآني ، د . الشرقاوي ، (١/ ١٤٣)

(٤) دعوة الأنبياء الرسل في القرآن الكريم ، للمؤلف ، ص (٤٥) .

(٥) في سفر التكوين في العهد القديم ، الإصحاح السادس ، فقرة (١٨) : (أنَّ امراة نوح نجت معه في السفينة) وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : سارة وهاجر في القرآن الكريم

لقد كانت سارة زوجة سيدنا إبراهيم الأولى ، وكانت رفيقة هجرته ودعوته ، فقد ولد سيدنا إبراهيم في بابل في العراق وهاجر سيدنا إبراهيم من بلاد بابل إلى حرّان ، وهناك تزوج من سارة ، وهناك آمن به لوطٌ ونفر قليل ، ثم توجه إلى بلاد الشام ، ثم هاجر منها إلى مصر وفي صحبته زوجه سارة ، وقد ذكر الحديث الشريف خبر سارة زوجة سيدنا إبراهيم : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : ثنتين منهن في ذات الله عز وجل ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات ٣٧/٨٩] ، وقوله : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء ٢١/٦٣] ، وقال : بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن النَّاسِ ، فأرسل إليه ، فسأله عنها ، فقال : من هذه ؟ قال أختي ، فأتى سارة ، فقال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإنَّ هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني ، فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ، ذهب يتناولها بيده فَأُخذ ، فقال : ادعي الله ولا أضرك ، فدعت الله ، فأُطلق ، ثم تناولها الثانية فأُخذ مثلَها أو أشد ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت ، فأُطلق ، فدعا بعض حجبته ، فقال : إنكم لم تأتوني بإنسان ، إنما أتيتموني بشيطان فَأَخْدمها هاجر ، فأتته ـ إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ وهو يصلي فأومأ بيده ، قالت : رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره ، وأَخدم هاجرَ ؛ قال أبو هريرة : تلك أمكم يا بني ماء السماء »[1] .

لقد حفظ الله عزوجل سارة وصانها ، وحال بين الملك وبينها ، فلم يمسها بسوء ، بل هابها وعرف قدرها فوهب لها هاجر ، ثم عاد إبراهيم عليه السلام ، وكانت سارة لا تنجب ، وقد رأت أن تهب هاجرَ لزوجها إبراهيم رغبة وطمعاً في أن تنجب ولداً لإبراهيم عليه السلام ، ليكون امتداداً له من بعده في النبوة والصلاح ، فأكرم الله إبراهيم عليه السلام ووهبه إسماعيل من هاجر ، ووهبه إسحاق من سارة .

وقد ذكرها القرآن الكريم من خلال بشارة الله تعالى لنبيه بولادة سيدنا إسحاق ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قوله واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، رقم (٣١٧٩) ؛ صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل إبراهيم الخليل ، رقم (٢٣٧١) ، كلاهما عن أبي هريرة .

لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود ١١/ ٦٩ـ٧٣] ، وقال تعالى : ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[1] [الذاريات ٥١/ ٢٩] .

وقد اختلف المفسرون في تفسير ﴿فَضَحِكَتْ﴾ وهو الضحك المعروف ولكن اختلفوا في سببه ، فقالوا : استبشاراً بهلاكهم لكثرة فسادهم وكفرهم وعنادهم ، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس ، وقد قيل : ضحكت تعجباً من قوم لوط ، وإنكاراً عليهم لغفلتهم ، وقد أظلَّهم العذاب ، وقيل : ضحكت لما علمت أنهم ملائكة ، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، فضحكت تعجباً من هذا الموقف[2] ، وقيل : ضحكت بسبب زوال الخوف عن إبراهيم[3] ، وقيل ضحكت بمعنى (حاضت)[4] ، وهذا المعنى شاذ وغير مألوف عند العرب .

وقد كانت كبيرة في السن عقيماً ، عندما بلغتها البشارة ، قال تعالى : ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود١١ / ٧٢ـ٧٣] .

وأما قوله تعالى : ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات ٥١/ ٢٩] ، ففيها مزيد بيان لموقف سارة من البشارة (فصكت وجهها) أي ضربته بيدها على عادة النساء حين يتعجَّبنَ من أمر عجيب غريب ، في هذا شارة لطيفة إلى طبيعة المرأة العاطفية .

وأما هاجر : فقد أمر المولى عزوجل سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يخرج بهاجر وإسماعيل إلى البلد الحرام ، فخرج بهما وتركهما هناك ، « ولما أراد أن ينصرف قالت له هاجر عليها السلام : إلى من تتركنا يا إبراهيم ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن

---

(١) راجع الآيات في سورة الحجر من (٥١ـ٥٦) ، وفي الذاريات من (٢٤ـ٣٠) ، وفي سورة هود (٦٩ـ٧٢) .

(٢) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد ، (دار الصفوة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ) ، (٢/ ٢٥٥) .

(٣) الكشّاف ، الزمخشري ، محمود بن عمر ، (دار الريان للتراث ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ) ، (٢/ ٤١٠) .

(٤) تفسير القرطبي ، (٩/ ٦٦) .

لا يضيعنا ، ثم رجعت فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حتى لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم ١٤/ ٣٧] »[١] .

لقد استجاب الله دعاءَ إبراهيم عليه السلام فجعل البيت حرماً آمناً ، و(كانت سارة نموذجاً طيباً ومثلاً رائعاً للمرأة المؤمنة بربها ، الواثقة بوعده والراضية بحكمه ، كانت نموذجاً طيباً للمرأة العفيفة الطاهرة الكريمة الخيرة المطيعة لزوجها والبارّة به ، والتي تعرف له قدْره وهيبته ، وتبذل ما في وسعها في سبيل سعادته ورضاه ، وكانت نموذجاً للمرأة المؤمنة التي توالي أولياء الله وتعادي أعداءه ، تفرح وتستبشر بنجاة أهل الإيمان ، وبهلاك أهل الكفر والطغيان . . . .

ولقد تجلى هذا واضحاً في ذهابها مع إبراهيم عليه السلام وولدهما إسماعيل إلى البلد الحرام ، وعودة إبراهيم عليه السلام إلى الشام ، وتركه هاجر وإسماعيل عليه السلام في مكة ، وهي يومئذ مكان مجدب مقفر ، وقالت تلك الكلمات المضيئة الطيبة المباركة : (إلى من تتركنا يا إبراهيم ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا الله أبداً) وكما كانت عليها السلام ، مثلاً طيباً للزوجة الصالحة فلقد كانت نموذجاً رائعاً للأم الحنون العطوف ، ولقد تجلى هذا واضحاً حين تركها إبراهيم عليه السلام مع طفلها الرضيع في مكان قفر مجدب ، ونفد ما معهما من ماء ، وسعيها الحثيث في البحث عن الماء ، فكانت تسعى بين الصفا والمروة ، حتى أدركتها العناية الإلهية)[٢] .

(بقيت هاجر ترضع ولدها إسماعيل حتى نفد منها السقاء ، فعطشت وعطش ابنها وجعل ولدها يبكي ويتلوى من شدة العطش ، فانطلقت تفتش له عن ماء فوجدت الصفا وهو أقرب جبل يليها فصعدت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم ترَ أحداً فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي ، وسعت سعي المجهود حتى وصلت إلى جبل المروة فصعدت عليه ونظرت فلم تجد أحداً ، فأخذت تذهب وتجيء بين الصفا والمروة

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفون (يسرعون في المشي) ، رقم (٣١٨٤) ؛ سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، (مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٩٩٤م) ، كتاب الحج ، باب بدء السعي ، رقم (٩١٥٣) ، عن ابن عباس .

(٢) المرأة في القصص القرآني ، د . الشرقاوي ، (١/ ١٨٧ـ١٨٨)

سبع مرات ، فرأت ملكاً يضرب الأرض بجناحيه حتى ظهر الماء فنبعت زمزم ، فجعلت هاجر تحوط الماء وتغرف منه ، وتزمزم الماء حتى لا يضيع)[1] .

(رأى إبراهيم عليه السلام في منامه رؤيا ، ورؤيا الأنبياء حق ، رأى اللهَ سبحانه وتعالى يأمره بذبح ولده البكر إسماعيل عليه السلام ، وقد رزقه له على كِبَر وشيخوخة ، فما كان إلا أن سارع لتنفيذ أمر الله دون تردد ، ولكنه أراد أن يختبر ولده ، ويرى مقدار استجابته وطاعته فقال له : ﴿ . . . قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ . . . ﴾ [الصافات ٣٧/ ١٠٢] ، عرض عليه الأمر ليكون أطيب لقلبه ، وأهون عليه من الأخذ بالقوة ، فبادر الغلام الحليم ، سرّ والده الخليل إلى الطاعة ، وأسرع إلى الإجابة فقال : ﴿ . . . قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات ٣٧/ ١٠٢] ، ولكن السكين لم تقطع فقد انقلبت في يده وكأنها قطعة من الخشب ، وحاول مرة أخرى ولكن الشفرة لم تمض لأن الله تعالى قد سلبها خاصية القطع ، وعند ذلك جاء النداء الإلهي : ﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴾ [الصافات ٣٧/ ١٠٥ـ ١٠٧] ، وقد اشتهر أن النبي ﷺ يدعى ابن الذبيحين ، والمراد بهما إسماعيل عليه السلام ، وعبد الله[2] والد نبينا ﷺ)[3] .

المطلب الرابع : امرأة لوط عليه السلام وابنتاه

سيدنا لوط عليه السلام ابن أخي إبراهيم عليه السلام عند كثير من المفسرين ، آمن بإبراهيم عليه السلام وسار معه إلى فلسطين ، واستقر به المقام في قرية سدوم بالأردن ، وكان قومه يأتون الفاحشة ، قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ [النمل٢٧/ ٥٤ـ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ

---

(١) **النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني** ، (مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥م) ، ص (١٧١) .

(٢) عبد الله والد نبينا محمد ﷺ ، سمي بالذبيح لأن عبد المطلب قد نذر لئن ولد له عشرة نفرٍ ، ثم بلغوا حتى يمنعوه لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة ، ووقعت القرعة من بين أولاده العشرة على عبد الله والد نبينا محمد ، ثم فداه بمئة من الإبل ، ولهذا سمي بالذبيح . **السيرة النبوية ، ابن هشام** ، (نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٥ م) ، ص (١٥١) .

(٣) النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني ، ص (١٧٣) .

أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/ ١٦٥-١٦٦] ، ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف ٧/ ٨٠-٨١] .

لقد أسرف قوم لوط وتجاوزوا منهج الله المتمثل في الفطرة السوية ، لأداء دورهم في استمرار البشرية والنسل ، فشذُّوا وانحرفوا عن الفطرة ، وفي هذا الجو المنحرف عاشت زوجة لوط ، قال تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم ٦٦/ ١٠] ، والخيانة هنا خيانة الكفر ، فلم تؤمن برسالة لوط عليه السلام التي أرسلها الله ، فهي خيانة في الدين لا في العِرض ، فكان الأولى بها أن تصدق زوجها ، وتكون له سنداً ومعيناً ، وتشاركه أفراحه وأتراحه وتعبه ونصبه ، ولكنها كفرت برسالة الله ، وكانت تطلع قوم لوط الكفار على سر لوط ، وإن أتاه أحد من الضيفان وهو موضع شهوة هؤلاء الكفار أخبرتهم بذلك ، وكأن الإشارة هنا أن الهداية بيد الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص ٢٨/ ٥٦] ، فمع جميع المحاولات لم يستطع هدايتها وصبر عليها ولم يفارقها ، ونزل العذاب بقومه حتى امرأته ، قال تعالى : ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود ١١/ ٨١] ، ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝١٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/ ١٧٠- ١٧١] ، ولم يشفع لزوجة لوط زواجها من لوط ، فشملها العذاب ، واستحقت أن يُضرب بها المثل للزوجة الكافرة في القرآن الكريم إلى يوم القيامة لتكون عبرة لكل معتبر ، وليصبر الداعي على دعوته لأهل بيته كما صبر لوط ونوح عليهما السلام .

وقد تنحرف الشهوة عن مهمتها في الزواج أو السكينة والمحافظة على النسل ، فتجنح إلى أساليب لإشباع الغريزة والشهوة ، منها اللواط والسحاق ، وفي العصر الحديث انتشر مرض اللواط انتشاراً واسعاً في الغرب ، (ولقد شَرّعتْ قوانين المدنية الزائفة في ثلاث دول بالزواج من الجنس الآخر المماثل ، في انكلترة ، وفرنسة ، والولايات المتحدة ، فأصبح الإنسان أحطَّ من الحيوان في هذا الزمان بهذه الفعلة ، واعتبرت هذه الدول أنَّ الشاذَّ جنسياً إنسان سويٌّ ، فسمحت لهم بالالتحاق بالسلك العسكري ، وإقامة جمعيات ومنتديات يمارسون بها انحطاطهم ، فاضطربت الأسرُ عندهم ، واختلَّت المجتمعاتُ ،

وانتشرت الأمراض كالإيدز وغيره ، بسبب ذلك. . . والأديان الثلاثةُ وخاصة الإسلامُ شدَّد على هذه الجريمة ، وأوجب الحدَّ بالقتل. . .)[1] ، ويلحق باللواط ماكان بين المرأة والمرأة وهو السحاق ، ويسمى السحق والتدالك ، وهو حرام شرعاً ، ويلحق بالموضوع أيضاً إتيان المرأة في حيضها ، وقد نبّه القرآن على تحريم ذلك : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢٢] ، ولا يجوز للرجل أن يأتي زوجه إلا بعد أن تنقطع عادتها وتغتسل عند الجمهور ، وعند بعضهم[2] يجوز عندما تنقطع عادتها ولو لم تغتسل[3] .

كما أنه محرم إتيان الزوجة في دبرها ، قال تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢٣] ، لأن ذلك يخالف الفطرة الإنسانية ، كما أنه ليس الدبر محلاً لإنجاب الأولاد والحفاظ على النسل البشري ، والحرث هو موضع الغرس والزرع وهنا محل الولد ، فالأمر بإتيان الحرث أمر بالإتيان في الفرج خاصة ، كما أنه هو استمتاع للرجل على حساب إضرار المرأة[4] .

---

(١) **دعوة الأنبياء الرسل في القرآن الكريم** ، للمؤلف ، ص (٦٤) .

(٢) ذهب أبو حنيفة إلى أن المراد بالطهر انقطاع الدم ، فإذا انقطع دم الحيض جاز للرجل أن يطأها قبل الغسل وذهب طاووس ومجاهد إلى أنه يكفي في حلها أن تغسل فرجها وتتوضأ للصلاة ؛ راجع كتاب **روائع البيان ، تفسير آيات الأحكام** ، د . **محمد علي صابوني** ، (مكتبة الغزالي ، دمشق ، ط٣ ، ١٩٨٠م) ، ص (٣٠٠) وما بعدها .

(٣) جاء في كتاب **هذا حلال وهذا حرام** ، **عبد القادر أحمد عطا** ، (دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٥م) ، ص (٢٤٢) : (هناك خلاف بين الأئمة ، فمنهم من قال : يحرم إتيانها قبل الغسل ، ومنهم من أباحه) ، وجاء في **الفقه الإسلامي وأدلته** ، د . **وهبة الزحيلي** ، (دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٤م) : (أن الحنفية أجازوا الوطء في حالة الحيض ومثله النفاس قبل الغسل في حالتين. . . ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ بتخفيف الطاء ، فإنه جعل الطهر غاية للحرمة. . .) ، ص (٤٧٤) ، ويجب اعتزال المرأة في حالة الحيض ، واحتج الشافعي : « عندما سألت عائشة الرسول ﷺ ما يحل للرجل من امرأته إذا حاضت ؟ قال : كل شيء إلا النكاح » .

(٤) حكم اللواط والسحاق وإتيان المرأة في دبرها وإتيان البهائم : حكم اللواط : أ ـ القتل كان فاعلاً أو مفعولاً طبعاً بإرادة المفعول ، وهو رأي الجمهور (مالك وأحمد وقول للشافعي) . ب ـ يرجم المحصن ويجلد غير المحصن فاعلاً كان أو مفعولاً (رأي الشافعية) . ج ـ التعزير (وهو رأي الأحناف) ، والذي أرجّحه ما يراه الحاكم ، لأنه هو صاحب تنفيذ الحدود . حكم السحاق : معصية تستوجب التعزير من الحاكم . حكم إتيان المرأة في حيضها : محرَّم ومَن فعله فعليه التوبة والاستغفار وعليه الصدقة بدينار أو نصفه عند=

وقفة مع العهد القديم في قصة لوط :

تختلف قصة لوط عليه السلام عن القرآن الكريم اختلافاً كثيراً

أـ في القرآن سيدنا لوط عليه السلام ذهب إلى الأردن (سدوم) بأمر إلهي ، بينما في سفر التكوين ، ذهب لاختلاف راعي لوط وإبراهيم عليهما السلام[1] .

ب ـ في القرآن الكريم صرح على فاحشة قومه وهي اللواطة ، العهد القديم لم يصرح .

ج ـ في العهد القديم لم يكن يعلم الله فسق قوم لوط وفجورهم ، فاحتاج إلى أن ينزل إلى الأرض ليتأكد : (وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً أنزل وأرى ، هل فعلوا بالتمام حسب صراخهم الآتي إلي ؟)[2] .

د ـ المجادلة لم تحدث بين سيدنا إبراهيم والله ، كما يزعم العهد القديم ، ولكنها حدثت بين إبراهيم عليه السلام وبين الملائكة قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت ٢٩/ ٣١ـ ٣٢] .

هـ ـ هناك افتراءات كثيرة على أكل الملائكة من طعام لوط عليه السلام ، وعرض بناته على قومه ليفتعلوا بهما ما يشاؤون ، بل القرآن صرَّح ليتزوجوهما حسب الشرع ، ويذكر العهد القديم تفاصيل وفرعيات ، وأفسدُها في قصة لوط التي ذكرها العهد القديم ، أن لوطاً عليه السلام فعل الفاحشة بابنتيه ، بعد أن سقته إحداهما خمراً ، في ليلة حتى سكر ووقع عليها ، ثم فعلت الثانية مثل أختها في اليوم الثاني طلباً للإنجاب .

جاء في العهد القديم : (وصعد لوطٌ من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد

= أحمد . حكم إتيان المرأة بعد انقطاع الدم في حيضها وقبل أن تغتسل : يجوز ذلك عند الأحناف . حكم إتيان المرأة في دبرها من زوجها : محرّم ويسمى اللواطية الصغرى ، (فإن كان برضى الزوجة عزِّرا جميعاً ، وإن كان بغير رضى الزوجة يحق للزوجة طلب التفريق كما يفرق بين الفاجر ومن يفجر به) . انظر : فقه السنة ، سيد سابق ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، دت) ، (٢/ ٢٤٥) .

(١) سفر التكوين ، الإصحاح (١٣) فقرة ٧ـ٩ .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح (١٨) فقرة ٢٠ـ٢٢ .

شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كلِّ الأرض ، هلم نسقِ أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمراً الليلة أيضاً ، فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً ، تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب ، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه عميٍّ وهو أبو بني عمون إلى اليوم)[١] .

إنها لتشويه لعصمة الأنبياء وصورتهم وتشويه (لبني عمو ومؤاب) اللذين كانا على عداوة مع بني إسرائيل ، ومن مؤاب كان سيدنا داود عليه السلام ، ومن داود عليه السلام كان عيسى عليه السلام ، أي أنهما داود وعيسى أولاد زنى وحاشا ثم حاشا ما يفترون على الأنبياء والرسل[٢] .

المطلب الخامس : قصة امرأة العزيز ويوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام هو ابن يعقُوبَ عليه السلام ، كان له إخوة وحسدوه ، ثم ألقَوه في بئر ، ثم نجّاه الله فأُخرج وبيعَ رقيقاً ، ثم صار إلى بيت العزيز ، ثم راودته امرأة العزيز فأبى ، فسُجن لذلك ، وعلّمه الله تأويل الرؤيا ، ففسَّر للملك رؤياه ، فوقعت كما فسَّر ، ويخرج من السجن وتعترف امرأة العزيز ونساؤها بكيدهِن ومكرهِن ، فيملّكه الملك ، ويجعله على خزائن الأرض ، ويأتي إخوته إليه وأبوه وأَمه ، ويجمعُ الله شملَ الأسرة بعد توبة إخوته .

وقصته في القرآن متكاملة وهي أكبر قصص القرآن ، وما يهمُّنا في بحثنا هو موضوع المرأة في قصة يوسف ، فبعد حسدِ إخوته وكيدهم له ورميه في البئر ، ومجيء قافلة ، فيدلون دلوهم للماء ، فيخرج يوسف عليه السلام ، ويبيعونه عبداً ، بثمن بخس ، ويشتريه عزيز مصر ، والظاهر أنه كان عقيماً ، وأوصى زوجته به : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن

(١) سفر التكوين ، الإصحاح (١٩) فقرة ٣٠ـ٣٧ .

(٢) ينظر : المرأة في القصص القرآني ، الشرقاوي ، (١/ ٢٤٧) وما بعدها بتصرف .

مِصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف ١٢/ ٢١] ، ويكبر ويشب يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر ، وعندما بلغ أشده راودته امرأة العزيز ، ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ١٤] ، ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف ١٢/ ٢٣] .

لقد تربَّى يوسف عليه السلام في بيت العزيز ، ولما بلغ أشده ، وكمال قوته وشدته وبلوغه مبلغ الرجال ، آتاه الله النبوة والحكمة والعلم ، وافتتنت امرأة العزيز بجمال يوسف عليه السلام ، وحاولت بكل طرق الإغراء غوايته وفتنته ومراودته ، وهو في بيتها ، وغلَّقت الأبواب وتبذَّلت وتهيَّأت ليقع عليها ، وانتقلت من الإغواء والإغراء إلى الفعل ، وإلى غلق الأبواب والتصريح بالفاحشة ، ولكن يوسف استعصم بالله واستجار به وردّ : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف ١٢/ ٢٣] ، ولقد همَّت به لفعل الفاحشة وهمَّ بها ليقتلها ويدفعها عنه .

وهناك إسرائيليات تنفي عصمة الأنبياء ومنهم يوسف عليه السلام ، ولو قتلها لأهلكه أهلها ، فألهمه الله الفرار ، واستبقا باب الدار ، وقدّت قميصه من دبر ، ووجد العزيزَ عند الباب ، فبادرت امرأة العزيز واتهمت يوسف عليه السلام ، ودافع يوسف عليه السلام عن نفسه ، وقال : هي راودتني عن نفسي ، وتأتي براهين على تبرئة يوسف ، وشهدَ شاهد من أهلها بأن قميصه قُدَّ من دبر ، وإنه كيد النساء ولأن كيدهن عظيم ، ويشاع خبر المراودة في المدينة ، وأصبحت حديث النسوة فيها ، وأنه ﴿ . . . قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [يوسف ١٢/ ٣٠] ، فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٢٢) وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٣) وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ (٢٤) وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٢٥) قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ

وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف ١٢/ ٢٢ـ٣٤] .

وبعد أن دبَّرت امرأة العزيز المؤامرة ، ودعت النسوة ليخرج عليهن وهو لا يعلم ، وتعترف امرأة العزيز أمام النسوة بأنها هي التي راودت يوسف ، وهدّدته إما بالمعصية والفاحشة أو السجن والهوان ، فاختار يوسف السجن وما فيه من أهوال ونكال ، واستجاب الله دعاء يوسف وصرف عنه كيدهن ، ويساق يوسف إلى السجن ، ويرى الملك رؤيا ويفسرها له يوسف ، وتقع كما فسّر يوسف ، ويأمر بخروجه ، ويأبى يوسف وردَّ : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف ١٢/ ٥٠] ، وتعترف النسوة ، وتعترف امرأة العزيز أنها راودت يوسف عليه السلام عن نفسه وأنه صادق بما يقول ، ويستخلصه الملك لنفسه ، ويجعله على خزائن الأرض ، ويجمع الله شمل إخوته مع والديه .

هذا بإيجاز شديد حول قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، ويمكن تدوين بعض الفوائد والملاحظات حول هذه القصة ، فهذه القصة فيها صراع بين الخير والشر ، بين الشهوة والعفة ، فإذا كان قد قتلَ قابيلُ هابيلَ من أجل شهوة ، ليتزوج أخته ، فهنا العكس ، تصوّر هذه القصة جموح شهوة المرأة ، فإذا أحجمت فستستعمل كل ما تملك لتحقيق شهوتها ، وهنا تصوير دقيق لهذه الشهوة ولهذه العواطف .

١ـ حرمة الاختلاط والخلوة بالمرأة الأجنبية ، وحرمة الزنى ودواعيه ومقدماته ، من فكرة محرمة ، أو نظرة محرمة ، أو اختلاط أو خلوة أو تبرّج ، أو لين في القول[1] .

---

(١) في إحصائية نشرتها مجلة الجيل في عدد آب/ ١٩٩٨م أشارت أن عدد المواليد غير الشرعيين في الولايات=

٢ـ الإشارة إلى هيجان الشهوة عند المرأة فقد تفقد عقلها وتصبح أسيرة الشهوة ، متبعة لهواها ، والهوى يُعمي ويُصمّ ، ويهلك صاحبه ويُضلّه ، وتستعمل كيدها ، ﴿ . . . إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [يوسف ١٢/٢٨] ، فالمرأة حباها الله بالرقة والحنان وجعلها سكناً للرجل ومكملاً له ، فإذا استغلّت المرأة ذلك بما يحقق أمر الله ، حققت الشهوة واستمرار النسل ، وإن كان في الحرام فسدَ نظام الحياة والكون ، فتستعمل المرأة كيدها ، بتدبير باطل وحيلة خفية ، وتظهر غير ما تبطن ، فتصبح فتنة .

وتصويب جموح الشهوة التي خلقها الله في الرجل والمرأة تكون بالعفة والطهارة وتزكية النفس والاعتصام بالله .

امرأة العزيز المرأة الجميلة الغنية العظيمة الحاكمة الآمرة ، وصُحَيْباتها ، يمثّلنَ نزعة الشر والشهوة الغير محدودة ، وهنَّ يملكن كلَّ أدواتها ثم تبوء بالخسران والفشل ، ويوسف عليه السلام ، الشاب ، الجميل ، الغريب ، العبد ، الذي تفتح له أبواب الشهوة ، فيمثل العفة والطهارة والقدوة الصالحة لكلِّ الأجيال ، وإن العفة أقوى من الشهوة ، والصبر ثوابه الجنة ، والصبر على ترك المعاصي والمحرمات يورث نوراً في القلب وطمأنينة في النفس ، فيشعر صاحبها بلذة وراحة ، تفوق ملايين المرات لذة المعصية ، (وإذا كان للمرأة مكان بارز في قصة يوسف ، وإذا كان دورها في هذه القصة هو الدور الذي يشتهيه الرجل منها ، ويشوقه الحديث الذي يعرض لوسائل كيدها ، وأساليب إغرائها ، فإن دورها في القصة لم يكن مستجلباً ليملأ فراغاً فيها ، أو ليلطف من جو المأساة التي تتحدث عنها ، أو ليجدد نشاطها المتلقي لها ، وإنما كان حدثاً جارياً من أحداثها في الصراع بين الخير والشر ، وصِدقُ القرآن في نقله للأحداث وبلاغته في العرض هو الذي يعطي القصة القرآنية هذا الجلال وتلك الروعة التي يستشعر المرء معها ما يستشعر العابد في محراب صلاته من ضراعة وخشوع ، إن جلال الحق يرتفع بمشاعر الإنسان ويسمو بإدراكه ، فالمرأة في القصص القرآني لا تستجلب لغاية غير العبرة والعظة ، ولا تأخذ مكاناً في القصة إلا حيث تكون درساً مستفاداً في الدعوة إلى الخير والعدل والإحسان ، وفي التنفير من الشر والبغي والعدوان)[١] .

= المتحدة يبلغ ٢٤ ٪ ، وفي فرنسة ٣٣ ٪ ، وفي ألمانية ٣٤ ٪ ، وفي أمريكة اللاتينية : (هندرواس ٦٤ ٪ ، وبنما ٧١ ٪) .

(١) قصتا آدم ويوسف عليهما السلام ، عبد الكريم الخطيب ، (دار الفكر العربي ومطبعة المدني في القاهرة ، ١٩٧٤م) ، ص ٤٧ـ٤٨ .

(وإن دقة الألفاظ ورقَّتها ، وقوة بلاغة دلالتها ، وروعة النظم ورفعته ، وجمال الأسلوب وجلاله وهيبته : كلُّ ذلك نجده في القصص القرآني عامة ، ونلمسه في قصة يوسف عليه السلام ، ونستشهده في مشاهد المراودة التي عرضها القرآن الكريم عرضاً وافياً شافياً وغطَّى أحداثها تغطية كافية ونقلها لنا نقلاً دقيقاً عميقاً ، يكشف لنا عن طبائع النفوس وخلجات الصدور ، ولحظات الضعف والقصور البشري ، كما يقدم لنا العفة والطهارة ومراقبة الله عزوجل في أبهى صورة واقعية ، كما يلقي الأضواء على شيء مما يقع في القصور في أحيان كثيرة وهو من نتاج الحياة المترفة الناعمة ، والخواء الروحي والفكري ، كلُّ ذلك في عباراتٍ موجزةٍ لكنها معبرة ، وكلماتٍ قلائل لكنها كثيرة الدلائل في آيات معدودات يحتاج تفسيرها وبيانها إلى موسوعات .

أما عن جمال يوسف الفائق وحسنه الرائق فإننا نشهده ونلمسه بصورة واضحة ناصعة من خلال تعلق امرأة العزيز وشغفها وهيامها ، ومراودتها التي كشفت عن حبها الدفين .

كما نشهد ونلمس جمال يوسف البارع وحسنه الرائع بصورة أوضح من خلال ما حدث للنسوة حين أقبل عليهن بطلعته البهية : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ [يوسف ١٢/ ٣١ـ ٣٢] .

فأي وصف لجمال يوسف أجمل وأبلغ وأصدق وأدق وأرق من هذا الوصف ؟ وأي وجه للمقارنة بين القصص التي يؤلفها البشر ، والتي يتخللها القصور والتقصير وبين كلام الحكيم الخبير ، العليم بذات الصدور ؟ لا وجه للمقارنة)[1] .

(والواقعية الصادقة الأمينة النظيفة السليمة في الوقت نفسه ، لا تقف عند واقعية الشخصيات الإنسانية التي تحفل بها القصة في هذا المجال الواسع على هذا المستوى الرائع ، ولكنها تتجلى كذلك في واقعية الأحداث والسرد والعرض وصدقها وطبيعتها في مكانها وزمانها ، وفي بيئتها وملابساتها ، فكل حركة وكل خالجة ، وكل كلمة تجيء في أوانها ، وتجيء في الصورة المتوقعة لها. . . حتى لحظات الجنس في القصة ومواقفها

---

(١) المرأة في القصص القرآني ، د . الشرقاوي ، (١/ ٣٥١) ؛ وينظر : كتابنا دعوة الأنبياء الرسل ، ص (٩٠) وما بعدها .

أخذت مساحتها كاملة في حدود المنهج النظيف اللائق بالإنسان من غير تزوير ولا نقص ولا تحريف للواقعية البشرية في شمولها وصدقها وتكاملها ، ولكن استيفاء تلك اللحظات لمساحتها المتناسقة مع بقية الأحداث والمواقف لم يكن معناه الوقوف أمامها كما لو كانت هي كل واقعية الكائن البشري ، وكما لو كانت هي محور حياته كلها ، وهي كل أهداف حياته التي تستغرقها ! كما تحاول الجاهلية أن تفهمنا أن هذا وحده هو الفن الصادق ، إن الجاهلية إنما تمسخ الكائن البشري باسم الصدق الفني . . .

وهي لا تفعل هذا ، لأن هذا هو الواقع ، ولا لأنها هي مخلصة في تصوير هذا الواقع ، إنما تفعله لأن برتوكولات حكماء صهيون[1] تريد هذا ، تريد تجريد الإنسان ، من كل القيم السامية والمعاني الفاضلة ، حتى لا يوصم اليهود وحدهم بأنهم هم الذين يتجردون من كل القيم غير المادية ، وتريد أن تغرق البشرية كلها في وحل المستنقع لتضليلها واستفراغ طاقتها والهيمنة عليها ، والفن وسيلة إلى هذا الشر كله ، إلى جانب الأفكار والمذاهب الهدامة التي تؤدي إلى ذلك الهدف الخبيث ، تارة باسم الداروينية[2] ، وتارة باسم الفرويدية[3] ، وتارة باسم الماركسية . . .[4] وكلها

---

(١) هي مجموعة من التقارير والتوصيات والمخططات السرية الصادرة عن مؤتمر حكماء صهيون الذي عقد في مدينة بال بسويسرا بتاريخ ١٨٩٧م ، ولقد اشتملت على مخططات خبيثة خسيسة لتدمير الكيان الأسري وإشاعة الفوضى الجنسية والإطاحة بالقيم والأخلاق الفاضلة . يراجع **بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة عجاج نويهض** ، دار طلاس ، ١٩٨٩م) ، كما يراجع **العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري ، تأليف فتحي يكن** ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ) .

(٢) الداروينية : نسبة إلى دارون وهو عالم غربي ، زعم أنه توصّل عن طريق أبحاثه إلى أن الإنسان أصله قرد وأنه تطور حتى صار إنساناً ، وكان لهذه النظرية صداها في بعض الأوساط العلمية إلى أن اضمحلّت ، وأثبت العلم بطلانها . يراجع : **الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب** ، (مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، د .ت) .

(٣) الفرويدية : نسبة إلى سيجمون فرويد ، وهو يهودي ، حاول تفسير جميع مظاهر السلوك الإنساني من الطفولة وحتى الكهولة على أساس الغريزة الجنسية ، وبناء على هذه النظرية فإن محور الحياة البشرية هي إشباع الشهوات والانغماس في الملذات والتحرر من القيم والأخلاق والأديان . يراجع : **الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، سعد الدين صالح** ، (دار الأرقم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ) .

(٤) الماركسية : نسبة إلى اليهودي كارل ماركس ، الذي أقام فلسفته على أساس المادية الجدلية ، والتفسير المادي للتاريخ ، وأن أساليب الإنتاج هي العامل الحاسم والمؤثّر والفعال في سيَر التاريخ وليس للعوامل الروحية والثقافية وغيرها أي تأثير يذكر . يراجع : **مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب** ، (دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، د .ت) .

سواء في تحقيق المخططات الصهيونية)[1] .

٣- الإشارة إلى وجوب تحصين الشباب وتقوية العفة في نفوسهم وتقوية الإيمان ، واستطاع يوسف عليه السلام أن يجتاز كلَّ الصعوبات بعفته وتربيته ، فهو شاب والشاب مركب على الشهوة الجامحة ، وهو أعزبُ ، وغريبٌ عن وطنه ، وآية في الجمال ، والنساء طلبنه للفاحشة ولكنه عفَّ .

٤- يجب أن يحذر الإنسان من نفسه قبلَ كلِّ شيءٍ ، فإن النَّفس أمارةٌ بالسوء إلا من رحم الله ، وأمَّارة مبالغة ، أي مرة تلو مرة ، والنفس ألهمها الله فجورها وتقواها : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس٩١/ ٧- ٨] فتحتاج هذه النفس إلى تزكية وتطهير لتميز الخير عن الشر ، والتقوى عن الفجور ، فلا عصمة إلا للأنبياء ، فإذا تزكت النفس وصار صاحبها كثير المحاسبة واللوم ، سميت بالنفس اللوامة : ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة٧٥/ ٢] ، وإذا اطمأنت بذكر الله سميت بالنفس المطمئنة : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر ٨٩/ ٢٧-٢٨] .

٥- (قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم ، قصة متكاملة فيها عصمة يوسف وعظم أخلاقه ، بينما في التوراة فيها تحريف وتغيير واتهام يوسف بأبشع التُّهم ، وقد تسرَّب لبعض كتب التفسير إسرائيليات تتهم يوسف بعفته ، بينما القرآن الكريم برّأه وعصمه وأثنى عليه ومدح عفته وأخلاقه ، فهمَّت به تطلب الفاحشة حتى بالضرب ، وهمَّ بها بضربها دفاعاً عن نفسه ، فهي التي راودته : ﴿ . . . وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ . . . ﴾ [يوسف ١٢/ ٢٣] ، وقد وصفه الله بالإخلاص : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف ١٢/ ٢٤] ، وأن عباد الله ليس للشيطان سلطان عليهم : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر ١٥/ ٤٢] ، واعترف إبليس : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص ٣٨/ ٨٢-٨٣] ، ووصف الله تعالى سيدنا يوسف : ﴿ . . . كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ . . . ﴾ [يوسف ١٢/ ٢٤] ، وسياق الآيات تدل على عصمة سيدنا يوسف)[2] .

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ١٩٦٧م) ، (٤/ ٦٧٦) ، بتصرف يسير .

(٢) دعوة الأنبياء الرسل في القرآن الكريم ، المؤلف ، ص (٩٢) .

المطلب السادس : المرأة في قصة أيوب عليه السلام

أيوب عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام ، ويقال أنه سكن في أطراف دمشق (البثينة ويُقال : البسيمة ، وهي بوادي بردى ، وهي بجانب عين الخضرة في الغوطة الغربية) ، وقد امتحنه الله ، فابتلاه في المرض ، وفقد الأولاد فصبر ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء ٢١/ ٨٣ـ ٨٤] ، ورافقته زوجته في مرضه ومحنته ، وفي بعض الأحاديث النبوية أنه ظل ثماني عشرة سنة في بلائه ، ثم دعا الله ففرّج عنه ، وكان قد حلف أن يضرب زوجته مئة ضربة إن شفاه الله ، ويقال لأنها أبطأت عليه مرة ، فرخص الله له أن يضربها بضغث وهي حزمة من العيدان الرهيفة ، فيها مائة عود ، يضربها بها ضربة واحدة ليبرَّ بقسمه ، لأن زوجته كانت صالحة ، قال تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص ٣٨/ ٤٤] .

ما يستفاد من القصة :

جواز ضرب المرأة الناشز ، (والناشز هي الخارجة عن إطاعة زوجها ، العاصية له) ، بعد استنفاد كل وسائل الوعظ والهجر ، ﴿ . . . وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء ٤/ ٣٤] .

ولا يكون الضرب إلا بعد عدة مراحل :

أولاً : الموعظة والنصح والوعظ بالحكمة والموعظة الحسنة ، فمرة بالعبوس ، وأخرى بالإشارة ، ومرة بالعتاب ، وأخرى بالكلام الحسن .

ثانياً : الهجر من الزوج في المضجع .

ثالثاً : يكون الضرب بشروط وضعت ابتغاء أقل الضررين .

رابعاً : بعد ذلك وعند استنفاد كل الوسائل يلجأ إلى التحكيم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء ٤/ ٣٥] .

خامساً : الطلاق ، وفي المرتين الأوليتين يكون طلاقاً رجعياً ، وللرجل مراجعة زوجته خلال عدَّتها ، وجُعل الطلاق الثالث طلاقاً غير رجعي .

ومن شروط هذا الضرب :

١ـ أن يكون الضرب غير مبرِّح للتخويف ، جاء في الحديث : « اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . . . »[(١)] .

٢ـ وأن يكون الضرب للتخويف ، فيضربها بشيء خفيف كالسواك ونحوه ، ويتجنب الوجه والبطن والمواضع المخوفة ، ويكون الضرب كما أبان الحنفية عشرة أسواط فأقل لقوله ﷺ : « لايجلد أحدكم فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله »[(٢)] ، وجاء في الحديث : « أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضربُ العبد يضربها أول النهار ، ثم يجامعها آخره »[(٣)] ، وفي رواية قال ﷺ : « إلام يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ولعله أن يضاجعها من آخر يومه »[(٤)] .

٣ـ ولا يكون أمام أحدٍ كي يحفظ كرامتها . . .[(٥)] .

٤ـ وفي الحدود يمكن استعمال الحيلة الشرعية في الضرب ، جاء في الحديث عن

---

(١) **صحيح مسلم** ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ، رقم (١٢١٨) ؛ **سنن ابن ماجة** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار الفكر ، بيروت ، د .ت) ، كتاب المناسك ، باب حجة النبي ﷺ ، رقم (٣٠٧٤) ، وكلاهما عن جعفر بن محمد عن أبيه .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب المحاربين ، باب حكم التعزير والأدب ، رقم (٦٨٥٠) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الحدود ، باب قدر أسواط التعزير ، رقم (٤٥٥٧) ، وكلاهما عن أبي بردة الأنصاري .

(٣) **مصنف عبد الرزاق** ، **أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني** ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ) ، كتاب العقول ، باب ضرب النساء والخدم ، رقم (١٧٩٤٣) ؛ **كنز العمال** ، **المتقي الهندي** ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩م) ، كتاب المواعظ والرقائق ، باب تربية أهل البيت ، رقم (٤٤٩٨٣) ، وقال رواه عبد الرزاق عن عائشة وهو صحيح .

(٤) **صحيح مسلم** ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، رقم (٤٩) ؛ **سنن الترمذي** ، **محمد بن عيسى الترمذي** ، تحقيق : أحمد شاكر وآخرون ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د .ت) ، كتاب تفسير القرآن ، باب سورة الشمس ، رقم (٣٣٤٣) ، وكلاهما عن عبد الله بن زمعة .

(٥) **المرأة في القصص القرآني** ، د . الشرقاوي ، ص (٣٦١) وبعدها بتصرف ، **الفقه الإسلامي وأدلته** ، د . **وهبة الزحيلي** ، (٧/ ٣٤٠) .

أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : « أخبرني بعض أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنه اشتكى رجل منهم حتى أَضْنِيَ فعاد جِلداً على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها ، فوقع عليها فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه أخبرهم بذلك ، وقال : استفتوا لي رسول الله ﷺ فإني قد وقعت على جارية دخلت علي ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، وقالوا ما رأينا بأحد من الناس من الضر مثل الذي هو به ، لو حملناه إليك لتفسخت عظامه ، ما هو إلا جلد على عظم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة »[١] ، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له قط ، ولا خادماً له قط ، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً ، وإن كان إثماً كان أبعد الناس ، ووالله ما انتقم لنفسه من شيء قط يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمات الله فينتقم لله »[٢] .

٥ـ وقال بعض الفقهاء : من ضرب زوجته فآلمها دون وعظ أو هجر في المضجع فيحق لها أن تطلب الطلاق من القاضي للإضرار الذي وقع بها[٣] .

وهناك اجتهاد من أحدهم : أن كلمة الضرب يقصد منها المفارقة والترك والاعتزال ، فيقول : (تتراوح الفتاوى فيه بين الضرب بالسواك وما شابهه كفرشاة الأسنان وقلم الرصاص ، وذلك فيما روي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه حين سأله عن الضرب غير المبرح ، فيكون الضرب هنا أقرب إلى التأنيب والتعبير عن عدم الرضا والغضب بين الأزواج أكثر منه تعبيراً عن معاني المهانة والأذى . . .

وقد أحصيت وجوه المعاني التي فيها لفظ (الضرب) ومشتقاته في القرآن الكريم فوجدتها على سبعة عشر وجهاً . . . فإذا أمعنَّا النظر في كافة الآيات السابقة ، نجد جملة

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب في إقامة الحد على المريض ، رقم (٤٤٧٢) ؛ المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، (مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ١٩٨٣م) ، باب السين ، سعيد بن قيس ، رقم (٥٥٦٨) ، عن سهل بن حنيف ، وقال الألباني : صحيح .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته للآثام ، رقم (٦١٩٥) ؛ ومسند أحمد ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٤٠٨٠) ، وكلاهما عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، محمد بن عبد الرحمن الحطاب ، (دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م) ، (٤/ ١٥) ؛ بدائع الصنائع ، علاء الدين الكاساني ، (طبعة الجمالية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٠م) ، (٢/ ٣٣٤) .

معاني فعل (ضرب) بصيغه المتعدية المباشرة وغير المتعدية هي استخدامات مجازية ، فيها معنى العزل والمفارقة والإبعاد والترك . . . وهكذا ، فإن عامة معاني كلمة (الضرب) في السياق القرآني هي بمعنى العزل والمفارقة والإبعاد والدفع)[1] .

وهذا الفهم لمعنى (الضرب) بمعنى المفارقة والترك والاعتزال ، تؤكده السنة النبوية الفعلية حين فارق رسول الله ﷺ بيوت زوجاته حين نشب بينه وبينهن الخلاف ، ولم يتَّعظنَ ، وأصرَرْن على عصيانهن وتمرُّدهنَّ رغبة في شيء من رغد العيش ، فلجأ رسول الله ﷺ إلى المشربة[2] شهراً كاملاً ومفارقاً لزوجاته ومنازلهن ، مخيراً إياهن بعدها بين طاعته والرضا بالعيش معه على ما يرتضيه من العيش ، وإلا انصرف عنهن وطلقهن في إحسان ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم ٦٦/٥]. . . ولو كان الضرب بمعنى الأذى الجسدي والنفسي أمراً إلهياً ودواءً ناجعاً ، لكان عليه الصلاة والسلام ، أول من يبادر إليه ويفعل ويطيع ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يضرب ولم يؤمر بالضرب ، ولم يأذن ولم يسمح بالضرب ، والترك والاعتزال ، وهو ما يتسق وطبيعة الأمر النفسية من ناحية ومع الروح العامة لاستعمال اللفظ (ضرب) ومشتقاته مجازاً في القرآن الكريم .

المطلب السابع : المرأة في قصة موسى عليه السلام

للمرأة مكانة عظيمة في هذه القصة ، وتكاد تكون هي العنصر الهام في القصة ، وا لعنصر الرئيسي في القصة المرأة الصالحة ، أم ، وأخت ، زوجة ، وزوجة فرعون . . . .

جاء الحديث عن موسى عليه السلام في سور كثيرة . . . وورد الحديث عن المرأة في قصة موسى عليه السلام في أربع سور هي : سورة طه والنحل والقصص وفي سورة التحريم التي ورد فيها ذكر آية امرأة فرعون المؤمنة آسية بنت مزاحم .

أولاً : الحديث عن أم موسى قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص ٢٨/٧] ، ويقال أن فرعون القبطي رأى مناماً وفُسِّر له بأن غلاماً يولد من بني إسرائيل ، الذين كانوا

---

(١) انظر : كتاب ضرب المرأة ، د . عبد الحميد أحمد أبو سلمان ، (دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٢ م) ، (٣٤_٣٥) .

(٢) المشربة : الغرفة .

مضطهدين عنده ، يكون سبب هلاك أهل مصر ، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النساء ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٧] ، وفي سورة طه : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾[1] [طه ٢٠/ ٣٧ـ٣٨] .

كما أنه أمرها وحياً ، بإرضاعه ، فإن خافت عليه القتل ، فإلقائه في اليم مع تطمينها بأن لا تخاف ولا تحزن وبشارتها أنه سيعود لها ، وأنه سيكون من المرسلين ، فهي أم يوحى إليها ، والأغلب عن طريق الإلهام أو المنام ، وأنه تعرف معنى المرسلين ، وتعرف معنى وعد الله ، وقبل ذلك ورد في القرآن عن أم إسحاق وعن مريم : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران ٣/ ٤٢] ، وهذا تعظيم لمكانة المرأة .

الوحي عند غير الرسل والأنبياء : (يشمل الإلهام والشعور الباطني وما يسمى بالفراسة والحدس ، وإن كانت كلمة الوحي تطلق على كل ذلك في مخاطبات الناس واصطلاحاتهم)[2] .

وفي سورة طه ، ذكر تفصيل رميه في اليم ، بأن تضعيه في التابوت وتلقي به في اليم ، حيث بقدرة الله سيوصله بأمان إلى الساحل الذي بجانب قصر فرعون ، فيأخذه فرعون ، كما قال تعالى : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٨] وألقى الله محبة موسى في قلب آسية بنت مزاحم وقالت : ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٩] .

ويفصِّل القرآن ويتحدث عن شعور الأم عندما يصاب وليدها الرضيع بمكروه ، قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ١٠] .

---

(١) وتشير هذه الآية إلى نوع من أنواع الوحي وهو الإلهام أو المنام ، أو بواسطة ملك ، إشارة إلى صلاح هذه الأم .

(٢) كبرى اليقينيات الكونية ، د . محمد سعيد رمضان البوطي ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٢) ، ص ١٨٤ .

ثانياً : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، صارت مضرب المثل في الإيمان في القرآن الكريم للأجيال إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم ٦٦/١١] ، لقد آمنت وصدقت بموسى عليه السلام عندما جاءته الرسالة ، وقد جاء اسمها صراحة في العديد من الأحاديث النبوية مثل : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[1] .

ثالثاً : المرأة الصالحة الثالثة في قصة موسى هي أخته ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص ٢٨/١١] ، ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص ٢٨/١٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه ٢٠/٤٠] .

رابعاً : الفتاتين الصالحتين ابنتا شعيب النبي أو الرجل الصالح من مدين ، ويكبر ويشيب موسى عليه السلام في بيت فرعون وتأتيه الرِّسالة ، ويذهب إلى أرض مدين[2] ، ويذكر القرآن سبب ذهابه بأنه قتل قبطياً ، ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه ٢٠/ ٤٠-٤١] ، وفصّل القرآن القصة في سورة الشعراء [١٨-٢١] ، وفي سورة القصص [١٤-٢٢] .

وجاء لموسى عليه السلام الخبر أن القوم يأتمرون به ليقتلوه : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٢٠] ، فذهب إلى مدين ووصل إلى ماء مدين ووجد الناس يسقون ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص ٢٨/٢٣] ، فسقى لهما ، فذهبت

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يقول الله تعالى : ضرب الله مثلاً ، رقم (٣٢٣٠) ؛ صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ، رقم (٢٤٣١) ، وكلاهما عن أبي سعيد الخدري .

(٢) مدين : مدينة بين المدينة المنورة والشام على خليج العقبة .

الفتاتان إلى أبيهما فأخبرتاه خبره وصلاحه وحياءه وتفرّستا بصلاحه وتقواه ، فأرسل له : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٢٥] ، ويصل إليه موسى وتطلب إحدى الفتاتين استئجاره لأنه قوي أمين : ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص ٢٨/ ٢٦] ، وهذا دليل على عقل تلك الفتاة وعلمها ، واستأجره وزوّجه إحدى بناته ، قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٢٧] .

وأقام موسى عليه السلام عشر سنوات في مدين عند الرجل الصالح ، ثم عزم على الرحيل إلى موطنه وأهله لرؤيته للنار في سورة [طهـ النمل ـ القصص] فأوحى الله إليه بالرسالة وبالمعجزات .

فوائد تربوية وفقهية :

١ـ الأمر الإلهي للأم بالرضاعة .

٢ـ عمل المرأة جائز بشرط موافقة وليها أو زوجها مع عفتها وأمن الفتنة[١] .

٣ـ جواز عرض الولي الصالح ابنته على الرجل الصالح .

٤ـ الكفاءة في الزواج والدين والأخلاق أفضل الكفاءة .

٥ـ الأب يكون ولياً على بناته وأخذ بذلك الجمهور عند علماء الإسلام وهو المعمول به ، إلا أبا حنيفة وتلميذه أبا يوسف ، فقالا : إن المرأة العاقلة البالغة لها الحق في مباشرة العقد بنفسها بكراً كانت أو ثيباً ، فإذا زوّجت نفسها بزوج كفء لها وكان المهر المتفق عليه مهر المثل أو زيادة صحَّ الزواج ونفذ ولزم ، وإن كان بغير ذلك يحق للولي الفسخ أو رفع الأمر إلى القضاء. . . وقاس الأحناف عقد الزواج على عقد البيع وغيره ، فلها أن تستقل بعقد الزواج .

٦ـ الضمانة للمرأة حرية اختيار الزوج ، جاء في الحديث : « لا تنكح الأيم حتى تُستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تُستأذن ، قالوا يا رسول الله : وكيف إذنها ؟ قال : أن

---

(١) سيفصل في عمل المرأة في المبحث الرابع ، المطلب السادس .

تسكت »[1] ، وعن خنساء بنت خذام الأنصارية « أن أباها زوَّجها وهي ثيب ، فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فردَّ نكاحها »[2] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما « أن جارية أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوَّجها وهي كارهة فخيرها رسول الله ﷺ »[3] .

٧- ومن شروط صحة العقد مهر المثيلات ، ومن الصَّداق الشرعي جواز تعليم الزوج لزوجته القرآن الكريم ، عند فَقْدِ الصداق من الزوج .

المطلب الثامن : المرأة بلقيس[4] ملكة سبأ[5] مع سليمان عليه السلام

سليمان بن داود عليهما السلام نبي ورسول جمع بين الرسالة والملك ، وسخَّر الله له الجن والحيوانات ، وذكر القرآن قصته مع النمل ثم تفقده للطير الهدهد ، ومعه تبدأ قصة بلقيس : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل ٢٧/ ٢٢- ٢٣] ، ويتحقق سليمان عليه السلام من خبر الهدهد ، ويرسل رسالة إلى بلقيس : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٣٠- ٣١] ، وتصلها الرسالة ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٣٢- ٣٥] ، فتجمع الملكة قومها وتستشيرهم ثم ترسل كتاباً وهدايا لسليمان عليه السلام ، فلما جاءت هدايا بلقيس إلى سليمان قال : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٣٦] ، ويرد عليها برسالة : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا يُنكح الأب وغيره الثيب ، رقم (٤٨٤٣) ؛ صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب استئذان الثيب ، رقم (١٤١٩) ، وكلاهما عن أبي هريرة .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب إذا زوّج ابنته وهي كارهة ، رقم (٤٨٤٥) ؛ سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في الثيب ، رقم (٢١٠١) ، وكلاهما عن خنساء بنت خذام .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في البكر يزوجها أبوها ولا يستأمرها ، رقم (٢٠٩٦) ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند بني هاشم ، باب ، مسند عبد الله بن عباس ، رقم (٢٤٦٩) ، وقال شعيب : إسناده صحيح على شرط البخاري .

(٤) بلقيس يقال أنها من نسل عربي ، من يعرب بن قحطان ، أو من تبع الحميري .

(٥) سبأ منطقة باليمن ، وهناك مدينة سد مأرب ، وسميت بسبأ لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل ٢٧/ ٣٧] ، وتوافق بلقيس على مجيئها إلى سليمان مع وفد من أشراف مملكتها ، وهنا يسأل سليمان عليه السلام من يأتيه بعرش بلقيس ، قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل ٢٧/ ٤٠] ، قال جنيٌّ : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل ٢٧/ ٣٩] ، قال تعالى : ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل ٢٧/ ٤١] ، وعندما نظرت إلى العرش الذي عند سليمان قالت : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل ٢٧/ ٤٢] ، ويتحدث القرآن عن القصر من الزجاج ، فقال : ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل ٢٧/ ٤٤] ، وكان الماء مغطى بالزجاج ويريد سليمان عليه السلام أن يريها عظمة ملكه وسلطانه اللذين أعطاهما الله له ، وتُسلم بلقيس وقومها ، ويقال أن سليمان عليه السلام تزوج من بلقيس والله أعلم .

هذا مختصر عن قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام ، حاولت الاختصار بقدر الإمكان ولابد من الوقوف على بعض الفوائد التربوية والفقهية .

١ـ التأكيد على الشورى في الحكم ، والاستفتاء بين الحاكم والمحكوم .

٢ـ ما حكم تولي المرأة الولاية العامة[١] ، أو القضاء ، الجمهور لم يجز ذلك ، وأجاز ذلك ابن جرير الطبري وابن حزم الظاهري ، فأجازوا مطلقاً تولي القضاء من المرأة في جميع الأقضية ، وأجاز بعض المالكية في بعض الأحوال وما يخص النساء ، والقاضي حالياً يعمل بدستور وقانون ، والدستور والقانون توافق الناس عليه ، فلم يعد القاضي ينفرد بالحكم ، وحتى أصبح هناك استئناف للحكم ثم تمييز ، وغير ذلك ، فتنتقل القضية من قاض إلى آخر ، فإنه لم يعد لفرد أن ينفرد بالقضاء .

فأجاز الكثير من الفقهاء قديماً وحديثاً أن تتولى المرأة القضاء وخاصة في العصر الحديث ، لاختلاف مهمة القاضي اليوم عن الماضي ، واستثنى الكثير الولاية العامة ، لأنه لا يجوز توليها لأنه في الإسلام الوالي له الإمامة الدينية ، كإمامة الصلاة والحج وله

---

(١) سيفصل ذلك في موضوع عمل المرأة في المبحث الرابع ، المطلب السادس ص ١٣٣ .

الإمامة الدنيوية في رعاية شؤون المسلمين ، ولما كانت المرأة لا تؤمُّ الرجال ، فلا يصح أن تتولى الولاية العامة ، وذهب بعض المعاصرين إلى جواز ذلك ، وقالوا : لقد انفصلت الولاية الدينية عن الولاية الدنيوية ، وأصبح الحاكم ليس متفرداً في الحكم ، فهو له اختصاص وواجبات ، وحوله نفرٌ مختصون بإدارة أجزاء من أعمال الدولة ، فالحكم يديره مجموعة من الأفراد لكل منهم صلاحية حددها له القانون ، فالحاكم في هذا الزمن هو فرد من مجموعة ويمثل فقط السلطة الدنيوية ، وهو غير منفرد ، ويحكم بدستور وقانون ، فاختلف عن الماضي ، ولهذا يجوز أن تتولى المرأة الولاية العامة. . . وللأسف لم تحسم هذه القضية في المجامع الفقهية والمؤتمرات ، وعند ذوي الرأي والمشورة ، وعلماء الشرع الإسلامي .

٣ـ تعدد الزوجات[(١)] ، لقد كان الحكام والناس قبل النبي محمد ﷺ يعددون بلا حصر ، فيقال أن النبي سليمان عليه السلام كان عنده من الزوجات والسراري بالمئات ، ولما جاء الإسلام حدد أربعة للمسلم من اللائي يجوز الجمع بينهن عند الزوج وبشروط .

المطلب التاسع : قصة مريم عليها السلام في القرآن الكريم

احتلت مريم مكانة عظيمة في الإسلام والقرآن ، وذُكرت في العديد من السور ، وسميت سورة باسمها ، كسورة مريم ، وسورة باسم عائلتها الصالحة (آل عمران) ، فهي خير نساء العالمين ، ويذكر القرآن صلاحها وعبادتها وكفالتها من زكريا عليه السلام ، ثم مجيء جبريل إليها وهي منقطعة للعبادة وإخباره بالمعجزة الإلهية ، بأنها ستلد عيسى عليه السلام من غير أب ، وتبدأ المعجزات ، فيتكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد ويصرح القرآن في عدة سور باسمها مريم .

فوالد مريم عمران كان عابداً صالحاً ، وأم مريم نذرت ما في بطنها لله وكانت ترجو الذّكر ، لتنذره لله تعالى لخدمة بيت المقدس ، فكانت أنثى فسمتها مريم أي العابدة المنقطعة لعبادة الله ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

---

(١) سيفصل موضوع تعدد الرسول ﷺ لزوجاته في المبحث الخامس ص ١٤٥ وما بعدها .

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران ٣/ ٣٥ـ ٣٧] .

وأَنبت الله مريم نباتاً حسناً ، وكفلها زكريا عليه السلام ، وهو زوج أخت مريم ويرجع نسبه إلى سليمان بن داود ومنه إلى إبراهيم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران ٣/ ٣٧] .

وبعد تنافس العبَّاد والزهاد لكفالة مريم اليتيمة ، كفلها زكريا عليه السلام ، وبدأت الكرامات لمريم عليها السلام ، ﴿. . . كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران ٣/ ٣٧] ، ولما وجد هذه الكرامة لمريم هنالك دعا زكريا عليه السلام ربه بأن يهبه ولداً صالحاً على كبر سنه وأن زوجته عاقر لا تلد : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران ٣/ ٣٨] ، فاستجاب الله له دعاءه ورزقه بيحيى عليه السلام ، وتذكر سورة مريم في مطلعها رحمة الله بعبده ونبيه زكريا عليه السلام ، ودعاء زكريا عليه السلام مع كبر سنه ، بأن يرزقه الله الولد الصالح ليقيم شعائر الدين في قومه وأهله وعشيرته بعد موته ، وليرث ميراث النبوة والحكمة من آل يعقوب ، واستجاب الله دعاءه ووهبه يحيى عليه السلام ، وقد سُجِّلت تفاصيل القصة وبعض أجزائها في سورة مريم وسورة آل عمران وسورة الأنبياء .

ولقد تكرر اصطفاء الله لآل عمران ولمريم الصدِّيقة عليها السلام ، وتطهير مريم وأنها أفضل النساء على الإطلاق ، وذكر كراماتها ، وخطاب الملائكة لها وبشارتها لها بالمسيح عيسى المبارك ومخاطبة جبريل عليه السلام لها : ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم ١٩/ ١٧] ، وينطق عيسى وهو في المهد ويتحدث عن رسالته وأنه نبي آتاه الله الكتاب ، قال تعالى : ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم ١٩/ ٢٩ـ ٣٣] .

وفي سورة الأنبياء : ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ

ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء ٢١/ ٩١] ، وفي سورة التحريم : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾ [التحريم ٦٦/ ١٢]، وفي سورة مريم: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾ [مريم ١٩/ ١٩].

فوائد وأحكام من قصة مريم عليها السلام :

١ـ احتلت مريم عليها السلام في القرآن الكريم مكانة كبيرة عالية ، وخُصص لها سورة كاملة باسمها ، وهي صدِّيقة .

٢ـ احتلت عائلة مريم آل عمران مكاناً خاصاً وخصص لها سورة كاملة ، وهو تأكيد لدور الأم الصالحة والأب الصالح على الأولاد ، ومن استجابة الله لدعاء الصالحين برزقهم الولد الصالح ، ومن تأثير التربية على الولد .

٣ـ تذكر امرأة عمران : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران ٣/ ٣٦] ، هنا في المهام الملقاة عليهما ، فليس الذكر كالأنثى في التركيب الجسماني والعضوي ولا النفسي ، ويختلفان في وظيفتيهما وواجباتهما ، وحقوقهما ، فهما متكاملان ، يكمل أحدهما الآخر ، « فالنساء شقائق الرجال »[1] متساوين في المبدأ والمعاش والمعاد ومختلفين في الحقوق والواجبات .

٤ـ كرامات الأولياء ، والكرامة هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد صالح غير مُدَّعٍ للرسالة ، فخصَّ مريمَ بكرامات ، وقد حدثت كرامات كثيرة للصحابة الكرام والتابعين وغيرهم من أولياء الله الصالحين ، فتطلب الكرامة الاستقامة على شرع الله ، وأداء فرائضه ، واجتناب نواهيه ، وكثرة الاجتهاد والطاعات والفرائض والنوافل .

٥ـ وجاء في القرآن : ﴿ . . . وَرُوحٌ مِّنْهُ . . . ﴾ [النساء ٤/ ١٧١] ، ﴿ . . . مِن رُّوحِنَا . . . ﴾ [الأنبياء ٢١/ ٩١] ، فلا تعني جزءاً من الله ، فهي ليست تبعيض ولكن هنا لابتداء الغاية ، أي من عندنا ، فعيسى ليس جزءاً من الله ، والروح لا يعلم كنهها إلا الله ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء ١٧/ ٨٥] .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في الرجل يجد البلة في منامه ، رقم (٢٣٦) ؛ سنن الترمذي ، كتاب أبواب الطهارة ، باب فيمن يستيقظ فيجد بللاً ، رقم (١١٣) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال الألباني : صحيح .

٦ـ أكرم الله مريم بالكرامات ومع ذلك طلب منها أن تأخذ بالأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم ١٩/ ٢٥] ، فأمرها أن تهزَّ جذع النخلة ، فهذا هو الأخذ بالأسباب ، فلا يصح التوكل دون الأخذ بالأسباب .

٧ـ قال تعالى : ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم ١٩/ ٢٦] ، في الشرائع السابقة كان الصمت مشروعاً ، ولكن في الإسلام غير مشروع ، ولكن حث القرآن والنبي في مواضع كثيرة من الآيات والأحاديث على حفظ اللسان ، مثل : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان ٢٥/ ٦٣] ، وقوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف ٧/ ١٩٩] ، ومن الأحاديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[١] .

٨ـ في قصة مريم وزكريا وفي قصص الأنبياء عليهم السلام ، استجابة الدعاء من الله ، فالدعاء مخ العبادة ، وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر ٤٠/ ٦٠] ، وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٦٢] ، وجاء في الحديث : « فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة »[٢] .

٩ـ على الوالدين اختيار الاسم الصالح لأولادهما ، فمعنى مريم العابدة المنقطعة لعبادة ربها ، ويحيى سيداً وحصوراً ، مطهراً من العيوب والدنس والشهوات .

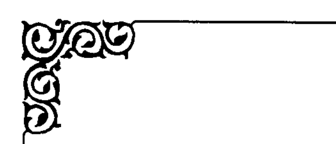
١٠ـ وامرأة زكريا هي امرأة صالحة رزقها الله بيحيى فورث من أبويه الصلاح ، وعن والده النبوة .

* * *

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، رقم (٦١١٠) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار ، رقم (٧٤) ، وكلاهما عن أبي هريرة .

(٢) **مسند الإمام أحمد** ، مسند المكثرين من الصحابة ، باب مسند عبد الله بن عمرو ، رقم (٦٦٥٥) ؛ **المستدرك على الصحيحين** ، للحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠م) ، كتاب الإمامة وصلاة الجماعة ، باب الدعاء والتكبير ، رقم (١٨١٧) ، عن أبي هريرة ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف .




المبحث الثاني

المرأة بعد الإسلام في القصص القرآني

المطلب الأول : عائشة وحادثة الإفك .

المطلب الثاني : زينب وزيد .

المطلب الثالث : خولة بنت ثعلبة وما نزل فيها من القرآن .

المطلب الرابع : أم جميل امرأة أبي لهب .




المبحث الثاني

المرأة بعد الإسلام في القصص القرآني

المطلب الأول : عائشة[1] رضي الله عنها وحادثة الإفك[2]

عائشة الصدّيقة بنت الصدّيق أبي بكر زوج النبي ﷺ ، يتّهمها المنافقون بالزنى ، وعلى رأسهم المنافق عبد الله بن أبيّ بن سلول[3] ، وينشر المنافقون الخبر ليؤذوا رسول الله ، ولقد أنزل الله براءة عائشة في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كانَ رسول الله ﷺ إذا أرادَ سفراً أقرعَ بين نسائهِ ، فأيتهُنَّ خرجَ سهمها خرجَ بها رسول الله ﷺ معه ، قالت عائشة فأقرعَ بيننا في غزوةٍ غزاها[4] فخرجَ سهميَ ، فخرجتُ مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعدما أُنزِلَ الحجاب ، فأنا أُحملُ في هودجي[5]

---

(١) سيتوسع بالحديث عن عائشة رضي الله عنها عند ذكر زوجات النبي ﷺ في المبحث الخامس ، المطلب الخامس .

(٢) عائشة بنت أبي بكر ، أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها وعن والدها ؛ خطبها رسول الله ﷺ بمكة ، قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكانت يوم تزوجها في الثالثة عشرة وقيل غير ذلك ، وما تزوج بكراً سواها ، وماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين وقد تجاوزت السبعين من عمرها ، ودفنت بالبقيع ، وهي صاحبة قصة الإفك ، وأخبارها وفضائلها كثيرة . وفيات الأعيان ، ابن خلّكان أحمد بن أبي بكر ، تحقيق : إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م) ، (٣/ ٢٠) .

(٣) المنافق عبد الله بن أبيّ بن سلول الأنصاري رأس المنافقين ، من بني عوف بن الخزرج ، وسلول امرأة من خزاعة ، وكان اسمه الحباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وكان رأس المنافقين ومن تولى كِبْر الإفك في عائشة رضي الله عنها ، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوّجوه ويسندوا إليه أمرهم قبل مبعث النبي ﷺ ، فلما جاء الله بالإسلام إلى المدينة أخذته العزة ، ولم يخلص الإسلام ، وأظهر النفاق حسداً وبغياً ، وهو الذي قال في غزوة تبوك : ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. . .﴾ [المنافقون ٦٣/ ٨] ، فلما مات سأل ابنه النبي ﷺ فقال : يا رسول الله! أعطني قميصك أكفنه فيه ، وصلّ عليه واستغفر له ، وابنه عبد الله من خيار الصحابة ، الوافي بالوفيات ، الصفدي صلاح الدين بن أيبك ، (طبعة فرانز شنايتز ، ألمانيا ، ١٩٦٢) ، (٥/ ٣٤٨) .

(٤) هي غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الخامسة من الهجرة على القول الراجح .

(٥) الهودج مركب من مراكب النساء يوضع على ظهر البعير .

وأنزل فيهِ فسِرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفلَ[1] ، ودنونا من المدينةِ آذن ليلة بالرحيلِ ، فقمتُ حين آذنوا بالرحيلِ حتى جاوزتُ الجيشَ ، فلما قضيتُ من شأني أقبلتُ إلى الرحلِ فلمستُ صدري فإذا عقدي من جَزْعِ ظَفَارِ[2] قد انقطعَ ، فرجعتُ فالتمستُ عقدي فحبسني ابتغاؤهُ ، وأقبلَ الرهطُ الذين كانوا يَرْحَلُونَ لي[3] ، فاحتملوا هودجي فرحّلوهُ على بعيريِ الذي كنتُ أركبُ ، وهم يحسبون أني فيهِ ، قالت : وكانت النساءُ إذْ ذاكَ خِفافاً لم يثقلهُنَّ اللحمُ إنما يأكُلن العُلْقةَ[4] من الطعامِ ، فلم يستنكرِ القومُ ثِقلَ الهودجِ حين رحَّلوه ورفَّعوه ، وكنت جاريةً حديثةَ السنّ ، فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدتُ عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئتُ منازلهم وليس فيه أحد منهم ، فتيممتُ منزلي ، وظننت أن القومِ سيفقدوني فيرجعونَ إلي ، فبينما أنا جالسة غلبتني عيني فنمتُ ، وكان (صفوان بن المعطّل السلمي الذكواني)[5] ، قد عرّس من وراء الجيشِ فأدلج ـ المسير ليلاً ـ فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني ـ وقد كان يراني قبل الحجاب ـ فاستيقظتُ باسترجاعهِ حين عرفني ، فخمّرتُ وجهي بجلبابي ، ووالله ما كلَّمني بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعهِ حتى أناخَ راحلته ، فوطئ على يدِها فركبتُها ، فانطلقَ يقُود الراحلةَ حتى أتينا الجيشَ بعد ما نزلوا معرّسين ـ أي في آخر الليل ـ ، قالت : فهلكَ من هلك في شأني ، وكان الذي تولَّى كِبْره (عبد الله بن أبيٍّ بن سلول) فقدمنا المدينة ، فاشتكيتُ حين قدمنا المدينة شهراً ، والناسُ يُفيضونَ في قول أهل الإفكِ ولا أشعر بشيءٍ من ذلك وهو يريبني ـ يجعلني أشك وأرتاب ـ في وجعي أني لا أعرفُ من رسول الله ﷺ اللطفَ الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخلُ رسول الله ﷺ فيسلمُ ثم يقول : كيف تيكُم ؟ فذاك يريبُني ، ولا أشعرُ بالشرِ حتى نَقِهْتُ[6] .

---

(١) وقفل : أي رجع من غزوته .

(٢) عقد من جزع ظفار : الجزع : خرز يماني ، وظفار قرية باليمن .

(٣) أي يجعلون الرحل على البعير .

(٤) القدر القليل .

(٥) صفوان بن المعطل ، أبو عمرو السلمي الذكواني ؛ صاحب رسول الله ﷺ الذي أثنى عليه وقال : ما علمت إلا خيراً ؛ روى عن النبي ﷺ حديثين ، وشهد فتح دمشق ، واستشهد بأرمينية وقبره هناك . أسلم قبل المريسيع ، وهو الذي قال فيه وفي عائشة أهل الإفك ما قالوا ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، **الوافي بالوفيات ، الصفدي** ، (٣/ ٢٠٦)

(٦) أي صح من مرضه .

فخرجت أنا وأم مسطح[1] قِبَل المناَصعِ[2] وهو مُتبرّزنا ، وكنا لا نخرجُ إلا ليلاً إلى ليلٍ ، وذلك قبلَ أن نتخذَ الكُنُفَ ،[3] وأمرِنا أمرُ العرب الأول في التبرزِ قِبلَ الغائطِ ، فأقبلتُ أنا وأم مسطح حتى فرغنا من شأننا فعثرتْ أم مسطح في مِرْطها[4] فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها : بئسَ ما قُلتِ ، أتسبينَ رجلاً قد شهدَ بدراً ؟ قالت : يا هَنْتَاه[5] أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهلِ الإفكِ ، فازددتُ مرضاً إلى مرضي ، فلما رجعتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلَّم ثم قال : كيف تيكم ؟ قلت : أتأذنُ لي أن آتي أبويَّ ؟ قالت : وأنا حينئذٍ أريدُ أن أتيقَّن الخبرَ من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ ، فجئت أبويَّ ، فقلت لأمي : يا أمتاه ما يتحدثُ النَّاسُ ؟ فقالت يا بنية هوّني عليك ، فوالله لقلَّما كانت امرأة قط وضيئةٌ عند رجلٍ يُحبُّها ولها ضرائر إلا كثَّرن عليها ، قالت ، قلت : سبحان الله وقد تحدثَ الناسُ بهذا ؟ ، قالت : فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأُ لي دمعٌ ، ولا أكتحلُ بنومٍ ، ثم أصبحتُ أبكي ، فدعا رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب[6] وأسامة بن زيد[7] حين استلبثَ الوحي يستشيرهُمَا في فراقِ أهلهِ ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشارَ على رسول الله ﷺ بالذي يعلمُ من براءةِ أهلهِ ، وبالذي

---

(١) وهي سلمى ، ويقال ريطة بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، أسلمت وحسن إسلامها ، وكانت من المبايعات ، وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع الناس في حادثة الإفك ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها ، وتوفي سنة أربع وثلاثين للهجرة ، **الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني** ، تحقيق : عادل أحمد عبد الجواد وآخرون ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م) ، (٢/ ٥٣) .

(٢) المناصع : المواضع التي يتخلى فيها جمع منصع .

(٣) جمع كنيف وهو بيت الخلاء .

(٤) المرط : كساء من خز أو صوف أو كتان .

(٥) أي يا هذه ، فهو خطاب للأنثى .

(٦) علي بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله وصهره ، شهد مع الرسول الغزوات كلها إلا تبوك ، خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ، مناقبه كثيرة ، روى عن النبي كثيراً من الأحاديث ، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام ، استشهد في العاشر من رمضان سنة ٤٠ للهجرة ، **الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني** ، (٢/ ٤٠٧) .

(٧) أسامة بن زيد بن حارثة وأمه أم أيمن حاضنة النبي ، ولد في الإسلام ، ومات النبي وله عشرون سنة ، وكان أمَّره على جيش مؤتة فمات النبي قبل أن يتوجه ، فأنفذه أبو بكر ، وكان عمر يجلّه ويكرمه ، وفضّله في العطاء على ولده عبد الله ، واعتزل الفتن بعد قتل عثمان ، ومات في أواخر خلافة معاوية ، فضائله كثيرة وأحاديثه شهيرة ؛ **الإصابة ، ابن حجر** ، (١/ ٤٩) . =

يعلم في نفسهِ لهم من الودِّ ، فقال أسامة : يا رسول الله هُم أهلكَ ولا نعلمُ إلا خيراً ، وأما علي بن أبي طالب فقال : لم يضيِّقِ الله عليكَ ، والنساءُ سواها كثير ، وسل الجارية تُخبركَ ، قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة[1] ، فقال : أي بريرة هل رأيتِ من شيء يَريبُكِ من عائشة ؟ قالت له بريرة : لا والذي بعثكَ بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصهُ ـ أعيبه ـ عليها أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثة السنّ ، تنامُ عن عجينِ أهلها ، فتأتي الداجنَ فتأكلهُ ، قالت : فقام رسول الله ﷺ على المنبرِ ، فاستعذرَ من (عبد الله بن أبيٍّ بن سلول) ، قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : يا معشر المسلمين من يَعذرني من رجل قد بلغَ أذاهُ في أهلِ بيتي ؟ فو الله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري[2] ، فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان في الأوسِ ضربنا عنقهُ ، وإن كان من إخواننا الخزرجِ أمرتنا ففعلنا أمركَ ، قالت : فقامَ سعد بن عبادة[3] وهو سيد الخزرجِ ، وكان رجلاً صالحاً ولكن اجْتهلتهُ الحمية ، فقال لسعد بن معاذ : كذبتَ لعمرُ الله لا تقتلهُ ولا تقدرُ على قتلهِ ، فقام أسيد بن حضير[4] وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبتَ لعمر الله ، لنقتلنه ، فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين ، فثار

---

(١) بريرة مولاة السيدة عائشة ، كانت مولاة لقوم من الأنصار من بني هلال ، فكاتبوها ، ثم اشترتها عائشة وأعتقتها ، وكانت تخدم عائشة قبل أن تعتقها ، وكان زوجها يسمى مغيثاً ، واختلف فيه هل كان حراً أو عبداً ، عاشت حتى أدركت عبد الملك بن مروان قبل أن يلي الخلافة ولها معه قصة ، **الإصابة** ، **ابن حجر** ، (٣/ ٤٥٠) .

(٢) سعد بن معاذ بن امرىء القيس من بني عبد الأشهل الأنصاري ، سيد الأوس ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، وأسلم معه قومه ، شهد بدراً ، ورُمي بسهم في غزوة الخندق ، فعاش حتى حكم في بني قريظة ، ثم مات وذلك سنة خمس للهجرة ، وفي الصحيحين « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » ، **الإصابة** ، **ابن حجر** ، (١/ ٤٣٦) .

(٣) سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، سيد الأنصار ، بايعه الأنصار بعد وفاة الرسول ﷺ في سقيفة بني ساعدة ، كان يحسن الكتابة بالعربية والرماية ، وكان أحد النقباء الاثني عشر في العقبة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومرض في بدر ، هاجر إلى الشام بعد وفاة النبي ﷺ فمات في حوران سنة ١٥هـ ، **الطبقات الكبرى** ، **محمد بن سعد** ، تحقيق : إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨ م) ، (٧/ ٣٨٩) .

(٤) أسيد بن حضير بن عبد الأشهل الأنصاري ، وكان أبوه فارس الأوس ورئيسهم يوم بعاث ، من السابقين إلى الإسلام ، وهو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة ، أسلم على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ ، وكان شريفاً كاملاً ، آخاه الرسول مع زيد بن حارثة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله وله أحاديث في الصحيحين ، توفي سنة ٢٠ للهجرة ، **الإصابة** ، **ابن حجر** ، (١/ ٨٣) .

الحيَّانِ الأوس والخزرج حتى هَمُّوا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبرِ ، فلم يزلِ رسول الله ﷺ يخُفِّضهم حتى سكتوا وسكت ، قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمعٌ ، ولا أكتحلُ بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحلُ بنوم ، وأبواي يظنانِ أن البكاءَ فالقٌ كبدي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليَّ امرأةٌ من الأنصار ، فأذنتُ لها ، فجلستْ تبكي معي ، قالت : فبينا نحنُ على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلَّم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحَى إليه في شأني بشيء ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلسَ ، ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنتِ بريئةً فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترفَ بذنبه ثم تابَ تابَ الله عليه ، قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلصَ ـ أي جف ـ دمعي حتى ما أُحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال ، فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ ، فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلتُ وأنا جاريةٌ حديثةُ السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ، إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم ، وصدَّقتم به ، فإن قلتُ لكم : إني بريئة ، والله يعلمُ أني بريئة ، لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفتُ لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة لتصدقونني ، وإني والله ما أجدُ لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : ﴿ . . . فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف ١٢/١٨] ، قالت : ثم تحوّلتُ فاضطجعتُ على فراشي ، قالت : وأنا والله حينئذٍ أعلمُ أني بريئة ، وأن الله مُبرِّئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنتُ أظنُّ أن ينزلَ في شأني وحيٌ يتلى ، ولَشأني كان أحقرَ في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمرٍ يُتلىَ ، ولكني كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النومِ رؤيا يبرِّئني الله بها ، قالت : فو الله ما رامَ ـ ما نهض ـ رسول الله ﷺ مجلسه ، ولا خرج من أهلِ البيتِ أحدٌ حتى أَنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ، فأخذهُ ما كان يأخذهُ من البُرَحَاء[1] فسُرِّي[2] عنه وهو يضحك ، فكان أولَ كلمةٍ ، تكلمَ بها أن قال : احمدي الله تعالى فإنه قد برَّأكِ ، فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلتُ : والله لا أقوم إليهِ ، ولا أحمدُ إلا الله تعالى ، هو الذي أنزل براءتي ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ

---

(١) شدة الحمى والمراد هنا الشدة التي تصحب نزول الوحي على قلب المصطفى ﷺ .

(٢) أي ذهبت عنه الشدة .

عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور ٢٤/١١] ، الآيات العشر ، فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وكان ينفقُ على مسطح لقرابتِهِ منهُ وفقرِهِ ، والله لا أنفقُ عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور ٢٤/٢٢] ، فقال أبو بكر : والله إني لأحبُّ أن يغفرَ الله لي ، فأرجعَ إلى مسطح النفقةَ التي كان ينفقُ عليهِ ، وقال : لا أنزعها منه أبداً ، قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش[(١)] عن أمري ما عَلِمتِ ؟ فقالت : يا رسول الله (أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمتُ إلا خيراً ، قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمهَا الله بالورعِ ، فطفقت أختُها حمنة بنت حجش[(٢)] تُحارب لها فهلكت فيمن هلكَ »[(٣)] .

ونذكر بعض الفوائد والأحكام في قصة الإفك :

١ـ تعرَّض الأنبياء والرسل إلى ابتلاءات وامتحانات ، ومن ذلك سيدنا محمد ﷺ وحديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها ، الطاهرة العفيفة النقية .

٢ـ من أخطر أعداء الدعوة المنافقون ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة ٩/ ٧٣] ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء ٤/ ١٤٥] ، ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ

---

(١) زينب بنت جحش : هي زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية ، أم المؤمنين وبنت عمة النبي ﷺ ولدت عام ٣٣ قبل الهجرة ، تزوجها ﷺ بأمر من الله تعالى ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله ، وهي أول نساء النبي التي ماتت بعده ، توفيت عام ٢٠ للهجرة ، **الإصابة** ، **ابن حجر** ، (٤/ ٣٠٧) ، سيتوسع بالحديث عن زينب في المبحث الخامس ، المطلب السادس .

(٢) حمنة بنت جحش الأسدية ، أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش ، أم حبيبة ، كانت زوج مصعب بن عمير ، وبعد استشهاده تزوجها طلحة بن عبيد الله ، وكانت من المبايعات وشهدت أحداً فكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى ، اشتهرت بحديث الاستحاضة ، عاشت بعد وفاة زوجها طلحة بن عبيد الله ، وكانت ممن خاض في حديث الإفك وأقام عليها النبي ﷺ الحد في القذف ، **الإصابة** ، **ابن حجر** ، (٤٦٧) .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون﴾ ، رقم (٤٧٥٠) ؛ صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك ، رقم (٢٧٧٠) ، وكلاهما عن عائشة .

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت ٢٩/١٣] ، فكان عبد الله بن أبيٍّ بن سلول زعيم المنافقين من أخطر أعداء الدعوة آنئذٍ .

٣ـ ومن أخطر المفاسد السماع إلى المنافقين دون تمحيص وأدلة ، والخطورة في إشاعة السوء والفحشاء بين المسلمين ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور٢٤/١٩] ، وقد انساق بعض الصحابة لإشاعات المنافقين (كحسان بن ثابت[1] ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش وغيرهم رضي الله عنهم) ممن خاض في هذا الأمر .

٤ـ الخير والشر بيد الله تعالى ، وقال تعالى : ﴿. . . وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢/٢١٦] ، وكذلك ما ورد في شأن الإفكِ ، فإنه يحكي قصة البشرية والنزاع بين الخير والشر ، قال تعالى : ﴿. . . لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور ٢٤/١١] ، فأنزل الله براءة السيدة عائشة رضي الله عنها ، بعد امتحان لها وللصحابة ، وهو امتحان لرسول الله وللمسلمين .

٥ـ أبطأ الوحي على رسول الله ﷺ في حادثة الإفك ، وطال الأمر ، ومضى شهر بأكمله ، وهو امتحان لرسول الله والصحابة ، فالناس يخوضون في هذا الحدث الجلل ، وبلغت القلوب الحناجر ، والرسول ﷺ يقول لعائشة رضي الله عنها : « يا عائشة أما إنه قد بلغني كذا وكذا ، فلئن كنت بريئة فسيبرِّئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله »[2] ، لقد (كان النبي ﷺ يُسأل عن بعض الأمور فلا يجيب عليها ، وربما مرّ على سكوته زمن طويل)[3] ، فهذا يدل على أنه رسول من عند الله ، والقرآن وحي من عند الله .

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام من بني النجار الخزرجي الأنصاري ، شاعر رسول الله ﷺ ، روى أحاديث كثيرة ، مات قبل سنة أربعين للهجرة ، وقيل : سنة أربعين للهجرة ، وأشعاره وأخباره كثيرة ، كان موضع مدح النبي ﷺ ، وكان يذب عن الإسلام والمسلمين ، وكان ممن خاض في حديث الإفك ، الإصابة ، ابن حجر ، (١/٢٢١) .

(٢) صحيح البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون﴾ ، رقم (٤٧٥٠) ؛ صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك ، رقم (٢٧٧٠) ، عن عائشة .

(٣) فقه السيرة ، د . محمد سعيد رمضان البوطي ، (دار الفكر ، دمشق ، ط٧ ، ١٩٧٨ م) ، ص (٨٨) .

٦- لم يقتل النبي ﷺ مَنْ نَشر خبر الإفك ، بل حتى إن الرسول ﷺ ترك رأس الكفر بدون عقاب لاعتبارات عديدة ، وأقيم حد القذف على حسان بن ثابت رضي الله عنه ، ومسطح بن أثاثة رضي الله عنه ، وحمنة بنت جحش رضي الله عنها ، فعن عائشة رضي الله عنها : « لما نزل عذري من السماء قام النبي ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا ما نزل فيَّ من القرآن ، فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين حسان ومسطح وبالمرأة حمنة بنت جحش ، فضُربوا حدَّهم »(١) ، حد القذف حد من حدود الله .

٧- اتهام المسلم بعرضه وتدنيس شرفه وهتك حرمته ، يحتاج إلى أربعة شهداء ، قال تعالى : ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور ١٣/٢٤] ، والشهادة أن يرى الشاهد كرؤيته لدخول الخيط في المخيط ، وأكد القرآن على التأكيد على التحري في السماع والنقل والتثبت من الأخبار ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات ٦/٤٩] ، وحذَّر من الظن ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات ١٢/٤٩] ، وحرم الإسلام الغيبة والنميمة وهتك الأعراض ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات ١٢/٤٩] ، كما أمر المسلمين أن يصونوا ألسنتهم وأسماعهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء ٣٦/١٧] ، والآيات والأحاديث في حفظ الجوارح كثيرة لا مجال لحصرها هنا .

المطلب الثاني : قصة زينب بنت جحش وما نزل فيها من القرآن(٢)

زينب بنت جحش رضي الله عنها : هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر الأسدية الهاشمية القرشية ، أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، أسلمت زينب وهاجرت مع أخيها عبد الله بن جحش رضي الله عنه .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب حد القذف ، رقم (٢٥٦٧) ؛ سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، باب من سورة النور ، رقم (٣١٨١) ، عن عائشة ، وقال الألباني : صحيح .

(٢) ينظر : المبحث الخامس ، المطلب السادس ، والفقرة السابقة ، زينب بنت جحش .

(وزيد بن حارثة رضي الله عنه[1] ، خرجت به أمه لتزور أهلها ، فأصابته خيل من العرب فأخذوه وباعوه بسوق من أسواق العرب ، وانتهى به المقام إلى النبي ﷺ ، وكان أبوه قد جزع على ولده أشد الجزع ، وجدّ في البحث عنه حتى علم بمكانه في مكة ، فانطلق مع أخيه ، ومعهما مال كثير لافتداء زيد ، ووصلا إلى رسول الله ﷺ عند البيت العتيق فقالا له : يا بن سيد قومه : أنتم جيران الله تفكّون العاني وتطعمون الأسير ، وقد جئتك في ابني زيد ، فأحِسن إلينا في فدائه ، فقال ﷺ : « أو غير ذلك ؟ قالا ما هو ؟ قال : أدعوه وأُخيّره فإن اختاركما فهو لكما بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار فداء على من اختارني ، فلما جاء زيد قال له رسول الله ﷺ : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبي ، وهذا عمي ، قال : فأنا مَن قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما ، فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والعم ، فقالا : ويحك يا زيد ، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأمك وأهل بيتك ؟ قال : قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً ، فلما رأى النبي ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر وقال : اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه وكان ذلك قبل البعثة »[2] .

لقد جاء الإسلام بمبدأ المساواة بين الناس وأراد رسول الله ﷺ أن يقرر هذا المبدأ المهمّ تقريراً عملياً ، وحتى يتم ذلك في بيئة تحكمها الحميّة الجاهلية والعصبية القبلية ، فلقد اختار رسول الله ﷺ مثالاً عملياً ونموذجاً فعلياً من خلال تزويج زيد بن حارثة ـ الذي كان رقيقاً فأُعتق ـ من زينب بنت جحش ذات الحسب والنسب والخصال الطيبة التي ترشحها للزواج من أفضل الرجال وأكرمهم وأغناهم .

ذهب رسول الله ﷺ ليخطب زينب لزيد ، لكنها لم تكن راغبة في هذا الزواج ، ولم تر

---

(١) زيد بن حارثة : هو زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب الكلبي القضاعي القحطاني ، خرجت به أمه لتزور أهلها ، فأصابته خيل من العرب فأخذوه وباعوه بسوق من أسواق العرب ، واشتراه حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي وأهداه لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ولما تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها وهبته زيداً ، كان يدعى زيد بن محمد حتى أبطل القرآن الكريم ذلك ، وشهد بدراً وما بعدها ، واستشهد في غزوة مؤتة ، **الإصابة** ، ابن حجر ، (١/ ٣٩٢) .

(٢) **الإصابة** ، ابن حجر ، (١/ ٣٩٢) ، **الطبقات الكبرى** ، **محمد بن سعد** ، (٢/ ٤٢) ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، **ابن الأثير** ، **علي بن محمد** ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د .ت) ، (١/ ٣٩٥) .

في صورة زيد صورة الرجل الذي تتمناه وتطمح إليه ، فرفضت وقالت : لا أتزوجه أبداً وأنا سيدة أبناء عبد شمس ، فنزل قول الله عزوجل : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1] [الأحزاب ٣٣/ ٣٦].

(فتزوجت زينب من زيد امتثالاً واستجابة لذلك التوجيه الإلهي ، لكن الحياة الزوجية لم تكن هادئة ، بل كانت مفعمة بالمنغِّصات والأكدار ، حتى كثرت شكوى زيد لرسول الله ﷺ من زينب التي لم تتلاءم ولم تتواءم مع هذه الحياة الزوجية ، فهي لا تجد في قلبها أي ميل لزيد ، ولما جاء القرآن الكريم بتحريم التبني تلك العادة التي كانت ضاربة بجذورها في أعماق المجتمع الجاهلي ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥])[2] .

(لما نزل تحريم عادة التبني وكان رسول الله ﷺ متبنياً لزيد وكان يدعى زيد بن محمد ، فأبطل رسول الله ﷺ هذا التبني وصار زيد يدعى زيد بن حارثة ، كما كان من قبل أن يتبناه رسول الله ﷺ ، وشاءت إرادة الله عزوجل أن يُطَلِّق زيدٌ زينبَ ثم يتزوجها رسول الله ﷺ ليبطل ما درج عليه الناس من تحريم زوجة المتبنى على المتبني ، وأعلم المولى عزوجل رسوله ﷺ بذلك ، فشقَّ عليه الأمر وخشي من قول أهل السوء فيه ، لقد تزوج محمد بمطلقة متبنّاه ، خاف من وَقْع ذلك على النفوس ، في حين كثرت شكوى زيد بن حارثة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ، وكلما استأذن زيد من رسول الله ﷺ في طلاق زينب قال له ﷺ : « أمسكْ عليك زوجك واتق الله » فيمتثل زيد لتوجيهات رسول الله ﷺ ، ويذهب إلى بيته فلا يجد من زوجته إلا الصدود والإعراض حتى ضاق صدره ، وعزم على طلاقها بعد أن استيقن أن حياته معها لن يصفو كدرها ، ولن يستقر حالها ، فذهب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في طلاقها ، فأذن له ، ولما انقضت عدة زينب ، أرسل رسول الله ﷺ زيداً ليخطبها له ﷺ ، وتزوج بها رسول ﷺ لحكمة جليلة ولغاية عظيمة، وهي إبطال ما درج عليه الناس من تحريم زوجة المتبنى على المتبني)[3] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣/ ٤٨٩) ، بتصرف .

(٢) المرأة في القصص القرآني ، د الشرقاوي ، (٢/ ٧٩٨) .

(٣) المرأة في القصص القرآني ، د الشرقاوي ، (٢/ ٧٩٨) .

وجاء في الحديث : جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه يشكو فجعل النبي ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس رضي الله عنه : لو كان رسول الله كاتماً شيئاً لكتم هذه ، قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات »[1] .

وجاء أيضاً : « لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد رضي الله عنه : اذكرها عليّ ، قال : فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها ، قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ؛ أن رسول الله ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، فقلت يا زينب : أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، قال أنس رضي الله عنه : ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار ، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ ، واتّبعته فجعل يتتبّع حُجر نسائه يسلّم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ، قال أنس : فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني ، فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ، قال : ووعظ القوم بما وعظوا به ، فنزل قول الله عزوجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٣] »[2] .

فوائد وحكم من قصة زينب بنت جحش :

١ـ تحقيق المساواة بين البشر ، وتحقيق مبدأ تزويج زيد بن حارثة رضي الله عنه من

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، رقم (٦٩٨٤) ؛ **سنن البيهقي الكبرى** ، كتاب النكاح ، باب ما أبيح بتزويج الله ، رقم (١٣١٣٩) ، وكلاهما عن أنس .

(٢) **صحيح مسلم** ، كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ، رقم (١٤٢٨) ؛ **مسند الإمام أحمد** ، كتاب المكثرين من الصحابة ، باب حديث أنس بن مالك ، رقم (١٣٠٤٨) ، وكلاهما عن أنس .

زينب بنت الحسب والنسب ، ولتهديم عادات أهل الجاهلية .

٢ـ تهديم عادات أهل الجاهلية ، وهي التبني ، فكان الرسول ﷺ قد تبنى زيداً بن حارثة رضي الله عنه ، وصار زيد يدعى زيد بن محمد ، ولا يجوز للأب أن يتزوج مطلقة عبده أو ابنه ، فهدمت بذلك هذه العادة الجاهلية ، قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥] .

٣ـ بعض ناقلي الإسرائيليات والجاهلين والأعداء ، نسجوا قصصاً غرامية حول هذه الحادثة ليطعنوا برسول الله ﷺ ، وجاءت أحاديث نسبت إلى النبي ﷺ وهي روايات باطلة ومكذوبة وضعيفة سنداً ومتناً ، (ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان حين يتحدثون عن تاريخ محمد ﷺ في هذا الموضوع ، حتى يتصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي ، وهي نصف عارية أو تكاد ، وقد انسدل شعرها على ناعم جسدها الناطق بما يكنُّه من كل معاني الهوى ، وليذْكُر آخرون أنه حين فتح باب بيت زينب لعب الهواء بأستار غرفة زينب ، وكانت ممددة على فراشها في ثياب نومها ، فعصف منظرُها بقلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها ، فكتم ما في نفسه وإن لم يطق الصبر على ذلك طويلاً !! ، وأمثال هذه الصورة التي أبدعها الخيال كثيرٌ. . . من المستشرقين والمبشرين ، ومما يدعو إلى أشد الأسف أن هؤلاء جميعاً اعتمدوا في روايتهم على ما ورد في بعض كتب السيرة ، والكثير من الحديث ، ثم أقاموا على ما صوّروا قصوراً من الخيال في شأن محمد وصلته بالمرأة ، واستدلوا على ذلك بكثرة أزواجه حتى بلغن تسعاً في القول الراجح ، وحتى بلغن أكثر من ذلك في بعض الروايات)[١] .

٤ـ زواج النبي ﷺ من زينب رضي الله عنها ، كان بأمر إلهي : ﴿ . . . فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٧] .

٥ـ زواج النبي ﷺ من عدد من النساء ، له مقاصد كريمة ، وحِكَم بالغة ، فكل زوجة

---

(١) حياة محمد ، محمد حسين هيكل ، (دار النهضة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٧ م) ، ص (٣٢٧) ، وقد وافقت د . عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطئ فرية المستشرقين في كتابها : نساء النبي ، (دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٣م) ، ص (١٣٤) وما بعدها .

كان وراء زواجه منها حكمة بالغة ، (فالزواج بزينب إنما كان بأمر إلهي ، لحكمة تشريعية وهي إبطال عادة التبني ، وما درج عليه الناس من تحريم الزواج بزوجة المتبنى ، إذا طلقها أو مات عنها)[١] .

٦ـ تعدد الزوجات في الإسلام حتى أربع نسوة له حِكَم بالغة ، فالتعدد خير من ارتكاب الحرام عند الرجال ، وخير من تعدد الخليلات والعشيقات في الغرب ، وخير من أن تبقى المرأة بلا زواج ، بلا حقوق ، وخاصة أن نسبة الإناث أعلى من الذكور في العالم ، إلى جانب ما تبيده الحروب من الرجال ، وما يتعرض له العالم من أزمات اقتصادية تكون حاجزاً للرجال من الزواج لعدم الإمكانات ، وإن العالم اليوم يعاني من مشكلة أولاد الزنى والأولاد غير الشرعيين الذين لا يعرف مَنْ أبوهم ، ووصل في البلاد الغربية نسبة الأولاد غير الشرعيين إلى ٧٠٪ من مجمل الولادات[٢] .

المطلب الثالث : خولة بنت ثعلبة وما نزل فيها من القرآن في سورة المجادلة

(خولة بنت ثعلبة من ربّات الحسن والجمال والبلاغة والفصاحة والنسب والجاه ، تزوجت من الصحابي الجليل أوس بن الصامت بن قيس ، أخي عبادة بن الصامت رضي الله عنهما ، وهو ممن شهد بدراً وأحداً ، وأغلب الغزوات مع الرسول ﷺ ، وأنجبت منه ولدها الربيع بن أوس)[٣] .

اختلفت مع زوجها لشيء ما ، فغضب منها زوجها أوس. . . وقال لها في عصبية وغضب : (أنت عليَّ كظهر أمي ، وكان الرجل في الجاهلية إذا قال مثل ذلك لزوجته حَرُمت عليه ، وهو ما عرف بالظِّهار ، ثم دعاها فأبت عليه ، وقالت : والذي نفس خولة بيده ، لا تصل إليَّ وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله ﷺ ، وأتت رسول الله ، وقالت له : يا رسول الله ، إن أويساً تزوجني وأنا شابة مرغوب فيَّ ، فلما خلا سني ، ونثرت بطني ، جعلني عليه كأمه ، وتركني إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لي رخصة يا رسول الله تنعشني بها وإياه ، فحدثني بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما أمرت في

---

(١) المرأة في القصص القرآني ، د . الشرقاوي ، (٢/ ٨٠٩) .

(٢) ينظر : إحصاء الأولاد غير الشرعيين في الغرب والأمريكيتين في المبحث الأول ، المطلب الخامس ، ص (٤٠) .

(٣) راجع الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/ ٣٧٨) .

شأنك بشيء حتى الآن ، وما رأيت إلا قد حَرُمتِ عليه ، قالت : ما ذكر طلاقاً ؛ وجادلت رسول الله ﷺ مراراً ثم قالت : إن لي صبية صغاراً ، إن ضمَّهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتُهم إليَّ جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول : اللهم إنني أشكو إليك . . . اللهم فأنزل على لسان نبيك ، فنزلت الآيات الكريمة من سورة المجادلة)[1] ، قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة ٥٨/ ١ـ٤] .

فوائد وحكم من قصة خولة بنت ثعلبة :

١ـ امرأة من المسلمات الصحابيات ، تجادل رسول الله ﷺ ، واستمع الله مجادلتها مع الرسول ﷺ من فوق سبع سماوات ، وسطَّر ذلك القرآن الكريم ليتلى إلى يوم القيامة ، وجعله تشريفاً ليُتعبد به من جميع المسلمين .

٢ـ المرأة في الإسلام تجادل رسول الله ، وتجادل خليفة المسلمين ، فقد ذكرت كتب السيرة ، أنها رأت عمر بن الخطاب خليفة المسلمين ، فقالت له : (يا عمر ، عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ ، ترعى الصبيان بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمر ، ثم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين ، فاتَّق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع كلامها في إمعان ، وقد أحنى إليها رأسه صاغياً إليها . . . وكان برفقته أحد الصحابة وهو الجارود العبدي[2] ، فلم يستطع

---

(١) راجع قصة المجادلة لخولة بنت ثعلبة في صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند القبائل ، باب حديث خولة بنت ثعلبة ، رقم (٢٧٣٦٠) ، عن خولة بنت ثعلبة .

(٢) الجارود العبدي : واسمه الجارود بن المعلّى ، وقيل : بشر بن حنش ، وقيل ابن عمرو بن المعلى ، قدم على النبي ﷺ وكان نصرانياً ، في وفد بني عبد القيس وهو سيدهم سنة عشر للهجرة ، وقد سرَّ النبي بإسلامه ، وكان حسن الإسلام صلباً في دينه ، استشهد سنة إحدى وعشرين في فتوح فارس ، في خلافة =

صبراً لما قالته خولة لأمير المؤمنين. . . فقال لها في غضب : قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين ، فرَدّ عليه عمر رضي الله عنه : دعها ، أما تعرفها ؟. . . هذه خولة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، وعمر أحق واللهِ أن يسمع لها ، وفي رواية عنه : والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها ، إلا أن تحضر صلاة فأصليها ، .ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها)[1] .

٣ـ سميت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم سورة المجادلة تخليداً لتلك الحادثة إلى يوم القيامة .

٤ـ المرأة لها أن تدافع عن نفسها ، وتجادل رسول الله ﷺ ، وتنصح خليفة المسلمين بحرية ، ويحترم رأيها .

المطلب الرابع : قصة أم جميل امرأة أبي لهب[2]

تمثل صورة المرأة السيئة الحاقدة التي تقف وفي وجه الدعوة في كل زمان ومكان ، فليس الأعداء من الذكور فقط ، هناك أيضاً من النساء مَن كيدهن أعظم من الرجال ، فقد نزل في حقها قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [المسد ١١١/١ـ٥] .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء ٢٦/ ٢١٤] ، صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي : يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً ليعرف الأمر ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال رسول الله ﷺ : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب

= عمر بن الخطاب ، وقيل في معركة نهاوند ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، (١/ ١٤٥)

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، (٨/ ١١٥) .

(٢) أم جميل : هي أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب ، كنيتها أم جميل ، وهي امرأة عدو الله أبي لهب ، الذي ناصب الرسول العداء ، ولم يراع حقاً للقرابة والجوار ، فلقد كان بئس العم وبئس الجار ، لم يكتفِ بتخاذله عن نصرة ابن أخيه وحمايته ، بل عاداه وحاربه واجتهد في صدِّ الناس عنه . انظر : المرأة في القصص القرآني ، الشرقاوي ، (٢/ ٨٦٩) .

شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝ ﴾[1] [المسد ١١١/١ـ٥] .

ولما نزلت سورة المسد غضبت أم جميل ، واشتد حنقها على الرسول ﷺ وعلى ما جاء به ، فذهبت إليه والشر يتطاير منها ، والحقد يحملها والغدر يقودها ، حتى وصلت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس مع أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند الكعبة وفي يدها حجر ، فلما وقفت أمامهما ، ذهب الله ببصرها عن رسول الله ﷺ ، فلم تبصر سوى أبي بكر ، فقالت له : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربته بهذه الحجارة[2] .

(وذهبت إلى أخيها أبي سفيان تثير ثائرته وتدفعه إلى الاعتداء على رسول الله ﷺ ، وكانت تحضه على عداوة النبي ﷺ ، وقامت بالضغط على ولديها (عتبة وعتيبة) من أجل تطليق ابنتي رسول الله ﷺ أم كلثوم ورقية عليهما السلام ، وقالت لولديها : رأسي برأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد ﷺ ، ورضخ ولداها لرغبة أمهما الخبيثة ، والتي قصدت من ورائها إلى قطع الوشيجة ، وإدخال الحزن والهمّ على قلب الرسول ﷺ ، حتى ينشغل عن دعوته ، وقام عتبةُ بتطليق ابنةِ الرسول ﷺ وكذلك عتيبة)[3] .

(وقوله تعالى في وصف عداوتها : ﴿ ... حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ لأنها كانت تحمل الأشواك وتنثرها أمام بيت رسول الله ﷺ ، إيذاء له ، فكان جزاؤها في الآخرة من جنس عملها في الدنيا ، حيث تحمل الحطب على ظهرها في نار جهنم لتزداد النار حرارةً والتهاباً وسعيراً عليها وعلى زوجها ، التي كانت تنفث فيه روح الحقد ، وتذكي نار غضبه ، وتضرم لهيب حسده لرسول الله ﷺ فيزداد حنقاً عليه وإيذاء له ، قيل كانت تمشي بين الناس بالنميمة فتنمي العداوة بينهم ، كما تزداد النار اشتعالاً وحرارة حين يلقى الحطب فيها)[4] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب سورة الشعراء ، رقم (٤٤٩٢) ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند بني هاشم ، باب مسند عبد الله بن عباس ، رقم (٢٨٠٢) ، عن ابن عباس .

(٢) السيرة النبوية ، ابن هشام ، (١/ ٣٦٦ـ٣٦٧) .

(٣) المرأة في القصص القرآني ، د . الشرقاوي ، (٢/ ٨٧١) .

(٤) المرأة في القصص القرآني ، د . الشرقاوي ، (٢/ ٨٧٣) .

(وقيل ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ لأنها كانت تعيِّر رسول الله بالفقر ، وإنها كانت تحتطب بنفسها لبخلها وحرصها فعُيِّرت بالبخل ، وقيل أي حمالة الخطايا والذنوب .

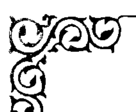
﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ : الجيد هو العنق ، والمسد : حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف ، وقيل : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد ، فأعقبها الله حبلاً في جيدها من مسد جهنم ، لأنَّ الجزاءَ من جنس العمل)[1] .

وإذا كانت المرأة تجتهد في تحلية جيدها بالعقود الفريدة الثمينة ، فإن أم جميل لا حُليَّ لها في الآخرة سوى المسد الذي يطوِّق عنقها ، وفي هذا إهانة لها ونكال بها ووبال عليها .

* * *

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (٤/ ٥٦٤) بتصرف .




المبحث الثالث
المرأة في القرآن الكريم

ويتضمن ذكر المرأة في سور من القرآن الكريم وهي :

البقرة ـ آل عمران ـ النساء ـ المائدة ـ الأعراف ـ التوبة ـ هود ـ يوسف ـ الرعد ـ إبراهيم ـ الحجر ـ النحل ـ الإسراء ـ مريم ـ طه ـ المؤمنون ـ النور ـ الفرقان ـ النمل ـ القصص ـ العنكبوت ـ الروم ـ لقمان ـ الأحزاب ـ ص ـ الزمر ـ غافر ـ الشورى ـ محمد ـ الفتح ـ الحجرات ـ الحديد ـ المجادلة ـ الممتحنة ـ الطلاق ـ التحريم ـ المعارج ـ القيامة ـ عبس ـ البروج ـ المسد .



المبحث الثالث

القرآن والمرأة[1]

في ثنايا آيات القرآن الكريم ، هناك سورٌ سميت باسم الإناث إعلاءً لشأنهن كسورة آل عمران وسورة مريم وسورة المجادلة ، حيث ذكرت خولة بنت ثعلبة التي جادلت الرسول ﷺ واستمع الله لمجادلتها مع الرسول ﷺ من فوق سبع سموات ، وهناك سور خصصت لأحكام المرأة ، كسورة النساء ، وسورة المؤمنون ، وسورة النور ، وسورة الطلاق ، وسورة الممتحنة ، وسور فيها قصص للإناث وأحكامهن ، والكثير من هذا البحث ورد ذكره في المبحث السابق في القصص القرآني ، فهذا البحث يتناول ذكر المرأة وأحكامها في القرآن الكريم ، وسنعرض ذلك باختصار[2] .

١ ـ في سورة البقرة :

فيها آيات كثيرة تتحدث عن المرأة ، عن حواء زوجة أبينا آدم ، وقصتها مع آدم في الجنة ، وكيف نُهيا عن الأكل ، ثم وسوس الشيطان لهما ، ثم هبطا إلى الأرض : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة٢/ ٣٥ـ٣٦] ، وفي السورة الحديث عن القصاص والذي يشمل الذكر والأنثى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ

---

(١) كل قصة للمرأة وردت في السابق لا يذكر تفاصيلها في هذا المبحث ، وقد يشار إلى موضعها سابقاً ، ففي المبحث السابق ذُكر عن المرأة في القصة القرآنية ، أما هذا المبحث ، فإنه يتناول ما ورد في القرآن الكريم بحق المرأة ذكراً ، قصةً وأحكاماً .

(٢) اعتمدت على عدة تفاسير وخاصة : **التفسير الوجيز** ، د . **وهبة الزحيلي** ، (دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٦هـ) ، وتفسير صفوة التفاسير ، **محمد علي الصابوني** ، (دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠١م) ، كما اعتمدت على كتاب جيد في موضوعه بعنوان **النساء شقائق الرجال** ، د . **محمد عمر حاجي** ، (دار المكتبي ، دمشق ، ٢٠٠٢م) ، فكانت كثير من النقول من هذه المراجع .

﴿ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٨ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ٢/ ١٧٨-١٧٩]، ثم يأتي الحديث عن علاقة الرجل بالمرأة أثناء الصوم ، قال تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة ٢/ ١٨٧] ، وما أروع البيان الإلهي في قوله تعالى : ﴿... هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ...﴾ ، فكلٌّ من الزوجينِ سترٌ للآخر من الحرام ، وكل واحد لصاحبه كالثوب الذي يلبسه ، والثوب يشير إلى التستر والملاصقة والامتزاج ، فالثوب أقرب شيء للإنسان ، فكأن الثوب يستر العورات الجسدية والمعنوية ، ويقي من الحر والبرد ، ويتجمل به الإنسان ، فالمرأة جمال للزوج والزوج جمال للمرأة ، والثوب دليل الكفاية والغنى عن الفقر والتعري ، والثوب دليل على الكمال والجمال ، وقدّم البيان الإلهي النساء على الرجال فقال : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ ، وهذا يدل ويشير على أهمية المرأة وقيمتها ومكانتها ، ثم ذكر التيسير من الله والتخفيف للأزواج في الصيام فسمح بالمباشرة بين الأزواج والزوجات والأكل والشرب في ساعات الليل بعد أذان المغرب وحتى قبل أذان الفجر ، ثم لفت الأنظار لعدم المباشرة بين الأزواج في المساجد ، ويشير القرآن أن ذلك من حدود الله فلا تتجاوزوها ، أي محظوراته وممنوعاته : ﴿... تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة ٢/ ١٨٧] ، ثم يذكر البيان الإلهي العلاقة بين المشركين والمسلمين فيما يختصُّ بموضوع الزواج ، فيقول : ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢١] ، فحرَّم الزواج من المشركات والوثنيات الكافرات غير أهل الكتاب ، وجعل معيار الزواج ليس الجمال والحسن أو المال بل الإيمان والتقوى ، ثم تتحدث الآيات عن الحيض الذي يخص المرأة ، وتحريم جماع النساء وقت الحيض ، والقُبُل موضع الإنجاب : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢٢ـ٢٢٣] ، وما يتعلق بهذه الآية من أحكام تتعلق بالزوجة ، ولقد كانت تعتبر الزوجة في حيضها عند أهل الجاهلية نجسة نجاسة مغلظة ، فكل ما تلمسه يتنجس وهذا مأخوذ من اليهود ، فحرموا الأكل معهن ومن طعامهن ولا ينامون معهن ، فنبَّه القرآن أن اعتزال النساء يكون في وقت المحيض فقط من ناحية الجماع في الفرج[1] ، وتتحدث السورة بدقة وتفصيل عن حدود العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة وعن مواضيع خاصة بالنساء كالإيلاء وعدة المطلقات ، وعدد الطلقات الرجعية ، ثم البائنة بعد الثلاثة التي يحق لها أن تتزوج رجلاً آخر ، وجعل قواعد للطلاق ومنهجاً يتَّسم بالمعروف والإحسان والتكريم للمطلقة والتسريح بالمعروف ، واحترام حريتها بعد الطلاق ، فلا يجوز إعضالها ومنعها إذا أرادت أن تتزوج بعد طلاقها ، وتحدث عن الرضاعة ومدتها وحقوق الأولاد على الأب من حيث الرزق والكفاية والكسوة ، وحقوق المرضعة ، ومدة الرضاعة ، ثم تحدث عن عدة المتوفى عنها زوجها ، وحكم خطبة المرأة المتوفى عنها زوجها وهي في عدتها ، والتأكيد على تكريم المطلقة بإمتاعها والإحسان إليها وتكريمها بدفع هدية لها بعد طلاقها ، وعن حكم طلاق غير المدخول بها قال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

---

(١) يُنظر المبحث الأول ، المطلب الرابع ، حيث فُصل في موضوع الحيض ص ٣٤ .

بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢٦-٢٣٧] ، ثم يأتي الحديث عن شهادة المرأة ، ولحكمة ربانية ظاهرة جعل شهادة المرأتين بشهادة الرجل[(١)] إلا في الأمور التي تخص النساء : ﴿. . . وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ . . .﴾ [البقرة ٢/ ٢٨٢] .

الإيلاء : هو أن يحلف الرجل على ترك وطء زوجته أكثر من أربعة أشهر ، (الذين يحلفون منكم على اعتزال نسائهم ، ويقسمون على ألا يقربوهنَّ للإضرار بهن ، على نسوة هؤلاء الحالفين انتظار مدة أقصاها أربعة أشهر ، فإن رجعوا إلى عِشْرةِ أزواجهن بالمعروف كما أمر الله ، فالله يغفر لهم ما صدر من إساءة ، وإن صمّموا على الإيلاء من الأزواج ، فقد وقعت الفرقة والطلاق بمضي تلك المدة ، والله سميع لأقوالكم ، عليم بنواياكم وأعمالكم. . . أمرت الشريعة الغراء بالإحسان إلى الزوجة ومعاشرتها بالمعروف ، وحرمت إيذاءها والإضرار بها بشتى الصور والأشكال ، قال تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٤/ ١٩] ، ولما كان الإيلاء من الزوجة ، وهجرها في المضاجع مدة طويلة من الزمن ، يقصد منه الإساءة إلى الزوجة والإضرار بها ، بحيث تصبح المرأة معلقة ، ليست بذات زوج ولا مطلقة ، وكان هذا مما يتنافى مع وجوب المعاشرة بالمعروف ، ولا يتفق مع تعاليم

---

(١) سيتوسع في موضوع شهادة المرأة في المبحث السادس ، المطلب الرابع ، ص ٢٠٢ وما بعدها .

الإسلام الرشيدة ، لذلك أمر الباري جل جلاله بإمهال هذا الزوج مدة من الزمن أقصاها أربعة شهور ، فإن عاد إلى رشده فكفّر عن يمينه ، وأحسن معاملة زوجته ، فعاشرها بالمعروف ، ودفع عنها الإساءة والظلم فهي زوجته وإلا فقد طلقت منه بذلك الإصرار ، وهذا من محاسن الشريعة الغراء)[1] .

لقد تحدثت سورة البقرة عن الكثير من الأحكام التي تخص المرأة ، زوجة وأماً ومرضعة ، ومؤمنة ، وكافرة ، وحرة ، وعبدة ، وشاهدة ، ومحيضة ، ومطلقة ، وأرملة ، فالسورة غنية بالحديث عن المرأة وأحكامها .

٢ـ سورة آل عمران :

فمن السور الطوال سورة آل عمران ، وفيها قصة امرأة عمران ، وقد نذرت أن تجعل الولد الذي في بطنها خادماً للكنيسة ، ولكن إرادة الله شاءت أن تكون مريم الأنثى ، ثم يذكر القرآن عبادة مريم ، وكيفية تكفيلها سيدنا زكريا عليه السلام ، وكرامات مريم عليها السلام ، ومن هذه الكرامات ، فقد كانت فاكهة الصيف تُرى بين أيديها في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران ٣/ ٣٥ـ ٣٧] .

ثم يأتي الحديث عن اصطفاء الله لمريم العذراء أم سيدنا عيسى عليه السلام ، وتطهيرها وأمرها بالعبادة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران ٣/ ٤٢ـ ٤٣] .

وفي هذه السورة كانت البشارة للسيدة مريم العذراء بحملها وولادتها للسيد المسيح عليه السلام بمعجزة من الله ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران ٣/ ٤٥] ، وفي هذه

---

(١) تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني ، ص (٣٠٨) وما بعدها .

السورة خاطبت السيدة مريم جبريل عليه السلام متسائلة عن كيفية الحمل ، ومخالفة هذا الأمر للسنة الإلهية في الحمل والولادة ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران ٣/ ٤٧] .

وفي السورة نفسها كان الحديث عن سيدنا زكريا عليه السلام ، وكان شيخاً كبيراً ، وزوجته تجاوزت التسعين كما في إحدى الروايات وهي عجوز عقيم ، فيُكثر زكريا عليه السلام من الدعاء ، فتبشره الملائكة بأنه سينجب ولداً على كِبَره وزوجته العاقر ، وتكون المعجزة ، قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران ٣/ ٣٨-٤١] .

وفي آخر سورة آل عمران تأتي آية فيها المساواة والعدل بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب ، الجنسان متساويان لا تفاضل بينهما في ثواب الطاعة وعقاب المعصية ولا يتميزان إلا بالعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران ٣/ ١٩٥] ، وجاء في الحديث عن أم سلمة أنها قالت : « يا رسول الله ألا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة »[1] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران ٣/ ١٩٥] .

إن الدين واحد ، والذكر والأنثى تقدَّرُ أعمالهم ويجزَون على حسناتهم وسيئاتهم ، وهم مأمورون بالطاعة والعبادة والأحكام ، فالجزاء يرجع على العامل جزاء عمله .

٣ـ سورة النساء :

افتتحت هذه السورة بقانون هام لا يميز بين الذكر والأنثى ، فتقوم الأسرة الأولى من

---

(١) المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة آل عمران ، رقم (٣١٧٤) ، مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي أبو يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، (دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٤م) ، كتاب حديث أم سلمة ، رقم (٦٩٥٨) ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط البخاري ، وكلاهما عن أم سلمة .

ذكر وأنثى وهما من نفس واحدة وفطرة واحدة ، فالبشرية كلها بأمر الله خرجت من رحم واحد ، ونسب واحد ، ولا فارق في الفطرة ، وأصل البشرية بين الرجال والنساء ، فهما زوجان متكاملان ، (ولكنه سبحانه شاء لأمر يعلمه ولحكمة يقصدها ، أن يضاعف الوشائج ، فيبدأ بها من وشيجة الربوبية وهي أصل وأول الوشائج ، ثم يثنّي بوشيجة الرحم ، فتقوم هذه الأسرة الأولى من ذكر وأنثى هما من نفس واحدة وطبيعة واحدة وفطرة واحدة ومن هذه الأسرة ، يبثُّ رجالاً ونساءً ، كلهم يرجعون ابتداءً إلى وشيجة الربوبية ، ثم يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة ، التي يقوم عليها نظام المجتمع الإنساني بعد قيامه على أساس العقيدة)[1] ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء ٤/١] ، ثم تحدث بعدها عن اليتامى وتحديد التعدد ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء ٤/٣] ، ثم تحدث عن حق الزوجة في مهرها ، قال تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء ٤/٤] ، وحق المرأة في الإرث بشكل تفصيلي ، قال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء ٤/٧] ، وكيفية إثبات من تأتي بفاحشة وترتكب الزنى ، والعقوبة المفروضة عليها إذا ثبت ذلك ، أن تلك الدعوى تحتاج لأربعة من الشهود ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء ٤/١٥] ، ودافع عن حقوق المرأة واستوصى بها ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء ٤/١٩] ، وفي هذه السورة الكثير من الأحكام التي تتعلق بالنساء من نكاح الآباء ، وعن المحرمات على الرجال ، وإرث وقوامة ونفقة ، ولم يُفَرق بين الذكر والأنثى في التكليف ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء ٤/١٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٢/٢٣٦) وما بعدها .

كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء ٤/ ١٢٧] ، ثم تحدث عن المرأة إذا خافت نشوزاً من زوجها أي تباعداً عنها وإعراضاً عن معاملتها ، فلا إثم عليهما من إجراء الصلح بينهما ، صلحاً يمنع من الفراق أو سوء العشرة ، ثم تتحدث الآيات أنه لن تتمكنوا من العدل التام على الإطلاق بين النساء في المحبة ، قال تعالى : ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء ٤/ ١٢٨ـ١٢٩] ، ثم تحدثت الآيات عن افتراق الزوجين بعد تعذر الصلح ، وأن الله يغني كلاً منهما : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء ٤/ ١٣٠] .

٤ـ سورة المائدة :

يبدأ من الآية الخامسة عن الزواج من المحصنات العفيفات من المسلمات والمحصنات العفيفات من أهل الكتاب ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة ٥/ ٥] ، ثم يبين الله تعالى المساواة بين الذكر والأنثى حتى في الحدود والعفو في حد السرقة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة ٥/ ٣٨ـ ٣٩] ، ثم يذكر السيد المسيح عليه السلام حيث يحكم الله بالكفر على من يجعل السيد المسيح إلهاً ، ويذكر بعدها نعمة الله على سيدنا عيسى بن مريم وعلى والدته ، ويمدحها ويثني عليها ويصفها بالصدِّيقة ، قال تعالى : ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة ٥/ ٧٥] ، ولابد من النظر والتفكر ، فلقد ورد في السورة ذكر السيد المسيح تسع مرات ومتبوعاً ابن مريم ، فنسبته إلى سيدتنا مريم تعظيماً لها وتشريفاً لها .

٥ـ سورة الأعراف :

تتحدث السورة عن قصة آدم وحواء وسكنهما في الجنة ، ثم نهيهما عن الأكل من الشجرة ، ثم كيف وسوس الشيطان لهما وكيف بدت سوآتهما فتعرَّيا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، واستغفارهما ثم هبوطهما إلى الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف ٧/ ١٩ـ٢٣] ، ثم يتحدث عن حمل حواء واستغرابها من الحمل والوضع ، ويتحدث أن خلق آدم وحواء من نفس واحدة ، فلا فرق بين ذكر وأنثى ، فلقد خلق الله آدم ، ثم حواء من جنسه وشكله ، ليأنس إليها ويطمئن بها فلما جامعها حملت منه حملاً خفيفاً هو النطفة ، فاستمرت بذلك الحمل دون مشقة أو ثقل ، فلما صارت ثقيلة الحمل لكبر الجنين في بطنها ، دعا آدم وحواء ربهما لئن آتيتنا ولداً سليماً صالحاً للحياة من غير نقص ، لنكونن من الشاكرين نعمتك ، فلما رزقهما الله ولداً صالحاً سليماً ، جعل الزوجان من جنس بني آدم ، وليس آدم وحواء لله شركاء فتعالى الله عما يشركون ، قال تعالى : ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف ٧/ ١٨٩ـ١٩٠] ، ثم يتحدث عن فعلة قوم لوط عليه السلام ، وكيف نصحهم سيدنا لوط ، وكيف كان إعراضهم ، فكانت عاقبتهم هلاكهم ، قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف ٧/ ٨٠ـ٨٤] .

٦ـ سورة التوبة :

تتحدث عن المنافقين والمنافقات وأعمالهم الضالة من الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وترك الجهاد وفيما يجب عليهم من حق ، وخروجهم عن طاعة الله والدين ، فوعدهم الله بنار جهنم ، ولعنهم وطردهم من رحمته ولهم عذاب واصب دائم : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة ٩/ ٦٧ـ ٦٨] ، وبعدما تحدثت الآيات عن المنافقين والمنافقات وصفاتهم ، تحدث عن المؤمنين والمؤمنات وعن صفاتهم كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن رحمة الله تشملهم جميعاً ، ووعدهم بالجنة خالدين فيها : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة ٩/ ٧١ـ٧٢] .

٧ـ سورة هود :

تتحدث الآيات عن امرأة سيدنا إبراهيم عليه السلام سارة وبشارة الملائكة لها بعد كبر سنها بإسحاق عليه السلام ، ثم يطول بها العمر فترى ولد إسحاق عليه السلام وهو يعقوب عليه السلام وامرأته قائمة فضحكت : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود ١١/ ٧١ـ ٧٣] ، ثم تختم القصة بقوله تعالى : ﴿ . . . رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود ١١/ ٧٣] ، وهذا تكريم وتعظيم للنساء جميعاً ولكل الأمهات ، لأن المرأة تعتبر من أهل بيت الزوج .

ثم تتحدث الآيات عن قوم لوط ، وكيف حاور لوط قومه من أجل ترك الرذيلة ، والعودة إلى فطرة الله ، ثم عن تدمير وهلاك أولئك الشاذين بما فيهم امرأة سيدنا لوط ، قال تعالى : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ

أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود ١١/ ٧٨ـ ٨١] .

٨ـ **سورة يوسف :**

وفيها الحديث عن سيدنا يوسف مطولاً وبالتفصيل ، وفيها تعرُّضه لإغواء امرأة عزيز مصر[١] ـ زليخا ـ وكيف رفض ذلك والتجأ إلى الله وكيف غلّقت الأبواب ، فهرب فقدَّت قميصه من دُبُرٍ ، وشاع الخبر بين الناس وخاصة النساء ، وبأن امرأة العزيز تراود فتاها سيدنا يوسف عن نفسه قد شغفها حباً ، ثم كيف امتحنت امرأة العزيز النسوة بجمال سيدنا يوسف عليه السلام ، عندما دعتهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، وقالت : اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ، وقطعن أيديهن وقلن : حاشَ لله ما هذا بشراً ، ثم يسجن يوسف عليه السلام ، ثم تعترف امرأة العزيز بذنبها وأنها هي التي راودت يوسف عن نفسه .

قال تعالى : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ

(١) لقد فُصِّل عن امرأة العزيز في المبحث الأول ، المطلب الخامس .

وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف ١٢/ ٢٣-٣٣] ، ثم تتحدث الآيات عن خروجه من السجن وتوليه إدارة الدولة ، قال تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف ١٢/ ٥٠-٥٢] .

٩- سورة الرعد :

يتحدث البيان الإلهي عن مكانة المرأة ، فيذكر صفات المؤمنين المستحقين لدخول الجنة ، وهم مَن كان صالحاً من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، ولا فرق في الجزاء بين الرجال والنساء ، فكلٌّ حسب عمله ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد ١٣/ ٢٠-٢٤] ، ثم يذكر الله في آخر السورة رداً على المشركين الذين يستنكرون على الرسول ﷺ تزوّجه بالنساء ، فيردُّ عليهم أن الرسل قبل محمد ﷺ كانت لهم زوجاتهم وذريتهم ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد ١٣/ ٣٨] .

١٠- سورة إبراهيم :

يتحدث البيان الإلهي عن دعاء سيدنا إبراهيم ومنه الدعاء للبلد الحرام أن يكون آمناً وأن يجنِّب مع ذريته عبادة الأصنام ، والدعاء لذريته وهي السيدة هاجر وابنها إسماعيل عندما تركهم في الحرم بوادٍ غير ذي زرع فدعا ربه أن يجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم ، ثم يدعو لذريته أن يجعلها تقيم الصلاة وأن يغفر للمؤمنين ، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ

لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم ١٤/ ٣٥ـ٤١] .

١١ـ سورة الحجر :

يذكر البيان الإلهي عندما يذكر قصة هلاك قوم لوط عليه السلام ، يذكر امرأة لوط لعدم إيمانها[1] ، قال تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الحجر ١٥/ ٥٨ـ٦٠] ، وذكر البيان الإلهي دعوة سيدنا لوط قومه بالتزوُّج من النساء على شريعة الله ، وقال لهم : هؤلاء بناتي ويقصد البنات في قومه أو بناته للزواج بهن ، قال تعالى : ﴿ . . . قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر ١٥/ ٧١] ، وفي آخر السورة يذكر البيان الإلهي تكريم الله لسيدنا محمد ﷺ ثم وصيته له : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر ١٥/ ٨٨] .

١٢ـ سورة النحل :

يتحدث البيان الإلهي عن عادةٍ من عادات الجاهلية السيئة الضالة الفاسدة ، فيندِّد بها ، وهي إذا وُلد لأحدهم أنثى فيسودُّ وجهه ويظهر انفعاله وحيرته وتواريه عن الناس ، ويفكر هل يدسُّ تلك البنتَ في التراب أو يتركها على قيد الحياة ويتحمّل الهوان والوزر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل ١٦/ ٥٨ـ ٥٩] ، فهل هناك أعظم من هذا البيان الإلهي الذي بيَّن أنه لا فرق بين ذكر وأنثى ، وحافظ على الأنثى وكرَّمها ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم لا فرق بين ذكر وأنثى إلا بالعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل ١٦/ ٩٧] .

١٣ـ سورة الإسراء :

في السورة الوصية إلى الوالدين ، قال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل

---

(١) لقد فصل في امرأة لوط وابنتيه في المبحث الأول ، المطلب الرابع ، ص ٣٣ وما بعدها .

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء ١٧/ ٢٣-٢٤] ، ثم جاء النهي عن قتل الأولاد ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء ١٧/ ٣١] ، ثم ينهى أشد النهي عن الزنى وما يكون من دواعيه ومسبباته ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ١٧/ ٣٢] .

١٤- سورة مريم[1] :

هذه السورة سميت باسم سيدتنا مريم عليها السلام ، وذكرت فيها قصتها منذ كانت صغيرة تحت رعاية خالها سيدنا زكريا عليه السلام ، وكيف كانت متعبدة ، وكيف اعتزلت أهلها لتخلو للعبادة بسبب صلاحها وتقواها ، حتى لا يشغلها شاغل عن العبادة ، وكيف بشَّرها جبريل عليه السلام بسيدنا عيسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم ١٩/ ١٦- ١٧] ، وتميزت هذه السورة بتناولها تفاصيل حمل ومخاض وولادة السيدة مريم ، قال تعالى : ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم ١٩/ ٢٢- ٢٦] ، وكيفية دفاع ولدها الذي في المهد عنها من تهمة الزنى بمعجزة إلهية ، قال تعالى : ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم ١٩/ ٢٧-٣٠] .

١٥- سورة طه :

تتحدث الآيات فيها عن سيدنا موسى عليه السلام ، حين رأى ناراً ، فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً ، وأهله هي ابنة سيدنا شعيب[2] والتي تزوّجها سيدنا موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم

---

(١) لقد فصل في موضوع السيدة مريم في المبحث الأول ، المطلب الأول .

(٢) لقد فصل في المرأة في قصة موسى في المبحث الأول ، المطلب السابع ص ٤٧ وما بعدها .

مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه ٢٠/٩-١٠] ، ثم تأتي الآيات لتحدثنا عن أم موسى ، وكيف أوحى الله إليها لما أراد فرعون قتل جميع الذكور في بلده ، فأوحى لها ، أن اقذفيه في صندوق ، واقذفي الصندوق في النيل ، ثم كيف أرسلت أمه شقيقةً لموسى لتتبُّع أخباره ، ويأخذ قوم فرعون الصندوق إلى القصر الفرعوني ، بعدما استقر على ساحلهم ، وهنا كانت المعجزة والقضاء الرباني ، ليتربى موسى في بيت عدو الله فرعون ، وليضع الله محبته في آل فرعون ، ويطلب آل فرعون له مرضعاً ، فتدلهم أخت موسى المتخفية على أمه ، فيرجع إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن : ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه٢٠/٣٧-٤٠] ، ففي هذه الآيات يظهر من خلالها دور الأم الصالحة الحنون الخائفة على وليدها ، ودور البنت الصالحة في القصة .

وفي السورة نفسها يَرِد ذكر سيدنا آدم وزوجته وأن إبليس هو عدو للذكر والأنثى لآدم وزوجته بلا تفريق بين المرأة والرجل ، وأن الخطيئة كانت مشتركة بين آدم وحواء ، وليس كما يقال : أن إبليس وسوس لحواء فقط ، وهي التي أخرجته من الجنة ، ويجدر الملاحظة أن ألِفَ التثنية في هذه الكلمات : (يخرجكما ، فأكلا ، بدت لهما سوءاتهما ، طفقا ، يخصفان عليهما ، اهبطا منها جميعاً) ، قال تعالى : ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه ٢٠/١١٧-١٢٣] .

وفي آخر السورة توجيه للرسول ﷺ على أن لا يمدنَّ عينيه إلى ما مُتِّع الناس من الزوجات ، ويوجهه لأن يأمر أهله بالصلاة ، وإذا كان الخطاب للرسول فهو لجميع المسلمين على العموم ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه ٢٠/١٣١-١٣٢] .

١٦ـ سورة المؤمنون :

وفيها تركيز على أن المقصود بالمؤمنين هم الذكور والإناث لا فرق بينهم إلا بالعمل الصالح ، لأن الرجل والمرأة خلقوا من سلالة من طين ، فنطفة فعلقة فمضغة ، ثم يعيشون ، ثم يموتون ، ثم يبعثون للحساب والجزاء ، لا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون ٢٣/ ١٢ـ١٦] ، ثم يذكر البيان الإلهي مريم عليها السلام بالتعظيم والتبجيل مع ابنها عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون ٢٣/ ٥٠] .

١٧ـ سورة النور :

غالبية السورة تتحدث عن أحكام تتعلق بالنساء ، أو عن أحكام مشتركة بين الرجل والمرأة ، ففي أوائلها تتحدث الآيات عن موضوع جريمة الزنى ، وعقوبة الزاني والزانية مئة جلدة إن لم يكونا متزوجين ، ثم يأتي الحديث عن نكاح المشركات ، وعن نكاح الزانية والزاني ، قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور ٢٤/ ٢ـ ٣] ، ثم يأتي حكم آخر وذلك برمي المحصنات ، وإن لم يأتوا بأربعة شهداء فجزاؤهم الجلد ثمانين جلدة ولا تقبل شهادتهم فيما بعد : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [النور ٢٤/ ٤] ، وحكم الزوج إذا رمى زوجته بالزنى ولم يكن معه شهداء فلابد من الملاعنة بين الزوج وزوجته : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [النور ٢٤/ ٦ـ٩] ، ثم تأتي الآيات فتذكر حادثة الإفك والذي اتُّهمت به السيدة عائشة عليها السلام ، وكيف برَّأها الله من فوق سبع سمواته :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟

﴿هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ۝١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النور ٢٤/ ١١ـ١٣] ، ثم يفصِّل في الحادثة حتى يذكر قانوناً عاماً لحفظ المحصنات : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور ٢٤/ ٢٣] ، ثم يذكر التجانس بين الطيبين والطيبات وبين الخبيثين والخبيثات : ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور ٢٤/ ٢٦] ، ثم يأتي الحديث عن آداب الاستئذان على أهل البيت ، ثم توجيه للمرأة لحفظ نظرها ولحفظ فرجها ، وعدم تبرجها وإظهار زينتها ، ثم الحديث عن لباسها وأين لها أن تظهر الزينة وأمام مَن عليها أن تخفيها : ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور ٢٤/ ٣١] ، ثم يأتي الحديث عن نكاح الأيامى ، قال تعالى : ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور ٢٤/ ٣٢] ، ثم النَّهي عن إكراه الفتيات على البغاء : ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور ٢٤/ ٣٣] ، ثم آداب الاستئذان للدخول على النساء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النور ٢٤/ ٥٨] ، ثم حكم الدخول على العجائز من النساء : ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور ٢٤/ ٦٠] ، ثم السماح بالأكل من بيوت الأقرباء من آباء ، وأمهات ، وأعمام ، وعمات ، وأخوال ، وخالات ، ثم كان الحديث عن أدب الدخول إلى البيوت .

١٨ـ سورة الفرقان :

يقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان ٢٥/ ٥٤] ، فجميع بني آدم ذكوراً وإناثاً خُلقوا من أصل واحد ، وهو الماء وسواء كان هذا الماء هو النطفة كما قال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق ٨٦/ ٥ـ٦] ، أو من الماء المطلق ، وهو الذي خلق منه الحيوان والإنسان ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور ٢٤/ ٤٥] ، فأصل الذكر والأنثى واحد ، فلا فرق بينهما في الأصل أبداً ، ثم من البشر الذكور والإناث ، ويكون الأبناء أو البنات ، فيقال فلان ابن فلان ، أو ينسب لفلان وفلانة ، وقسم آخر من جهة الإناث يصاهرن بهم ، وقسم من المحارم لا يحل نكاحه ، وقسم آخر يحل نكاحه ، ثم يختم البيان الإلهي هذه السورة بصفات عباد الرحمن قائلاً : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان ٢٥/ ٦٣] ، ومن صفاتهم أنهم يطلبون من الله أن يجعل من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين ، وأن يجعلهم للمتقين إماماً : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان ٢٥/ ٧٤] ، فإنهم يدعون أن يكون أزواجهم وذرياتهم في الدنيا معهم في الآخرة ، وأن تلحق أزواجهم وذرياتهم بهم في الجنة ليتمَّ سرورهم بهم .

١٩ـ سورة النمل :

في مطلعها ذكرٌ لحديث سيدنا موسى لأهله : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٧] ، فذكر الأهل لقيمتهم والعناية بهم ورعايتهم ، ثم ذكر قصة سليمان عليه السلام حين أتى مع جنوده إلى وادي النمل وسمع نملة تأمر النمل وتحذِّرهم وتعتذر عن سليمان عليه السلام وجنوده بعدم الشعور ، عند ذلك تبسَّم ضاحكاً من قولها ودعا الله أن يلهمه الله شكر النعم الكثيرة التي منحها الله له ولوالده داود عليه السلام ولوالدته الصالحة المؤمنة ، فقال تعالى : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل ٢٧/ ١٩] ، ثم تحدثت السورة عن قصة سليمان عليه السلام حين تفقد الهدهد فلم يجده ، فهدَّد وتوعَّد ، حتى إذا عاد الهدهد أخبره بقصة بلقيس

وكيف تسجد وقومها للشمس دون الله إلى آخر القصة التي تنتهي بالزواج منها : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٢٢ـ٢٥] ، ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٢٩ـ٣٥] ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٤٢ـ٤٤] ، وفي السورة حديث عن قوم لوط بأنهم يأتون الرجال شهوةً من دون النساء ، وذكر عن امرأة لوط أنها من الهالكين : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [النمل ٢٧/ ٥٥ـ٥٧] .

٢٠ـ سورة القصص :

تذكر السورة منذ مطلعها قصة موسى وفرعون ، ويتجلى في هذه القصة دور المرأة الأم ، فتتحدث عن دور أم موسى ويبرز دورها في إلهام الله لها كي تُرضع ابنها موسى ثم تلقيه في النيل ، ويربط على قلبها ، فإن الله تعالى سيردُّ ولدها عليها فلا تخاف ولا تحزن : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص ٢٨/ ٧] ، ثم يبرز دور المرأة الزوجة ، وهي زوجة فرعون التي استطاعت أن تقنع فرعون بعدم قتل الطفل موسى بعدما أمر بقتل جميع أولاد بني إسرائيل ، ويذكر القرآن كيف خافت أم موسى على وليدها وكيف أن عناية الله ولطفه به وبها ، وكيف قالت الأم لبنتها اذهبي فتجسّسي وراقبيه عن قرب ، وكيف حرّم الله المراضع عليه ، ثم دلّت أخته على أمها وهم لايعرفون : ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ

مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص ٢٨/٩-١٢] ، ثم يتحدث القرآن عن قصة موسى في شبابه ، حيث هرب من فرعون ، ووصل إلى ماء مدين فوجد زحاماً عليها ، ورأى فتاتين تنتظران حتى ينتهي الرعاع من سقاية مواشيهم ودوابّهم ، ويقومون بهذا العمل لأن أباهم شيخ كبير ، فسقى لهما ، وابتعد إلى ظل ليدعو الله ، فجاءته إحداهما على استحياء ، وطلبت أن يقابل والدها ، وهو سيدنا شعيب عليه السلام ليجزيه على سقايته لهم ، فقابله وقصّ سيدنا موسى عليه خبره فطَمْأنه ، ثم طلبت إحدى الفتاتين من أبيها أن يستأجره ، لقوّته وأمانته ، فتزوج من إحدى البنتين بمهر وهو أن يعمل عنده ثماني سنوات ويفضل أن يتمّها لعشر سنوات ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص ٢٨/٢٣-٢٨] ، ثم سار موسى بأهله إلى الطور ، وهناك نودي في البقعة المباركة وكلّمه الله : إني أنا الله رب العالمين : ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص ٢٨/٢٩-٣٠] .

٢١ـ سورة العنكبوت :

فيها وصية الله للإنسان بوالديه حسناً ، وعدم إطاعته لهما إذا أمراه بمعصية الله ، ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت ٢٩/٨] ، وفي السورة قصة هلاك قوم لوط مع امرأته الضالة : ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ

ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت ٢٩/ ٣٢ـ ٣٣] .

٢٢ـ سورة الروم :

فيها تأكيد لحقيقة الأصل الواحد للبشرية ، فالذكر والأنثى خُلقوا من تراب ، وحواء خُلقت من آدم ، ومنهما كان نسل آدم ، وجعل الزوجةَ سكينةً للرجل ، وجعل بين الزوجين التآلف والمحبة والوداد والتراحم بينهم والعطف والسكينة والحب والرحمة : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم ٣٠/ ٢١] .

٢٣ـ سورة لقمان :

فيها التأكيد على الوصية بالوالدين وتذكير بفضلهما وخاصة الوصية بالأم التي عانت من المتاعب والصعوبات ما عانت عند الحمل ثم الطلق ، وفيها قاعدة ودستور وذلك إذا طالب الوالدان ولدهما بأن يعبد غير الله ، وأن يشرك بالله ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولكن مع ذلك فلابد من برِّهما ووصلهما بالمعروف ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان ٣١/ ١٤ـ ١٥] .

٢٤ـ سورة الأحزاب :

فيها أحكام كثيرة تتعلق بالنساء ، منها موضوع الظهار ، وهو أن يقول الرجل لامرأته : أنت عليَّ كظهر أمي ، وكان حُكْم الظِّهار في الجاهلية يفيد التحريم المؤبد ، فجعل الإسلام الحرمة مؤقتة ، تزول بالكفارة (تحرير رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكيناً قبل الجماع) ، وأبطل القرآن عادة التبني ، وحيث أن زيد بن حارثة ، كان عند رسول الله ﷺ ، فأعتقه وتبناه قبل الوحي ، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش ، وكانت تحت زيد بن حارثة ، قالت اليهود والمنافقون : تزوج محمد امرأة ابنه ، وهو ينهى الناس عنها[1] ، قال تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ

(١) سبق الحديث بالتفصيل عن قصة زيد بن حارثة في المبحث الثاني ، المطلب الثاني ص ٦٦ وما بعدها .

﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤] ، ثم تتحدث السورة أن زوجات النبي ﷺ أمهاتٌ للمؤمنين[1] ، قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٦] ، ثم تتحدث السورة عن تخيير رسول الله ﷺ لأزواجه ، حينما سألْنَه شيئاً من عَرَضِ الدنيا ، وطلبن منه الزيادة في النفقة ، فخيّرهن بين الدنيا وزينتها ، ويكون ذلك بطلاقهن أو بين الآخرة ورضاء الله ورسوله والقناعة في المعيشة وحينها فلهن الأجر العظيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٢٨ـ ٢٩] ، ثم الحديث عن مضاعفة العذاب لنساء النبي ﷺ إن أتين بعمل غير صالح ، وكذلك إن أطعن ربهن وقنتن له وعملن صالحاً فلهن ضعف الأجر : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٠ـ٣١] ، ثم تتحدث السورة عن توجيهات لأزواج النبي ﷺ ، فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وأن يكون كلامهن موزوناً بالمعروف ، وعليهن التزام بيوتهن ، والبعد عن التبرُّج والزينة التي كانت في أهل الجاهلية ، والوصية لهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله ، كل ذلك من أجل أن يُذهِب الله عن أهل بيت رسول الله ﷺ الرجسَ وأن يطهرهم تطهيراً ، ثم يُطالَبن بأن يذكرن نِعَم الله التي أنعمها عليهن ، حيث يُتلى في بيوتهن القرآن والحكمة والسنة ، قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٢ـ٣٤] ، ثم تأتي الآيات لتؤكد على فكرة المساواة بين الذكر والأنثى في الجزاء ، ويفصّل ويُطنِب للتأكيد ، ويكرر بصيغة الرجولة وصيغة الأنوثة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ

(١) سيفصل في زوجات النبي ﷺ في المبحث الخامس المعنوَن المرأة في بيت النبوة ص ١٤٧ وما بعدها .

﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٥] ، ثم يذكر حادثةً جرت في زمن النبي وألغت عادةً جاهلية سيئة ، وهي عادة التبني ، فيذكر قصة زيد بن حارثة مع زينب ، ثم كيف طلقها زيد وتزوجها رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٧] ، ثم يتحدث عن عدة المطلقة قبل الدخول بها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤٩] ، وهنا يوجد حكم المطلقات اللواتي عقدتم عليهن ، عقد النكاح من النساء المؤمنات ، ثم أوقعتم الطلاق عليهن من قبل الدخول بهن ، فلا عدَّة لكم عليهن ، ولكن قدِّموا لهن بعد الطلاق تطييباً لخاطرهن متعةً وهي كسوة تليق بكم وبهن بحسب الزمان والمكان والإمكانيات ، واستدل الفقهاء من قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤٩] ، على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح ، ولا طلاق قبل النكاح ، ثم يتحدث عن بعض الآداب عند مخاطبة أمهات المؤمنين ، وتحريم الزواج بهن بعد وفاة الرسول ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٣] ، ثم يأتي التأكيد على لباس المرأة وحجابها وفوائد ذلك لكل المسلمات ، لأزواج النبي وبناته ونساء المسلمين ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٩] ، ثم يعود البيان الإلهي ليركز على المساواة بين الرجل والمرأة في العذاب ، والتوبة والغفران ، ويختم السورة بقوله : ﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٧٣] .

٢٥ـ سورة ص :

يذكر فيها قصة سيدنا أيوب مع أهله : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص ٣٨/ ٤٣] .

٢٦ـ سورة الزمر :

وفيها التأكيد أنّ البشرية خُلقت من أصل واحد ومن نفس واحدة ، ومن هذا الأصل كان الأزواج ، الزوج والزوجة ، وأنزل الله الأنعام الثمانية ، نعمة من الله لبني آدم ، ثم يتحدث عن مراحل الخلق ، فيمرُّ الجنين في بطن أمه بطَورٍ ثم طور في ظلمات ثلاثة ، ثم يذكر في الآية أن ذلك من الله رب العالمين فأنى تصرفون ، قال تعالى : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر ٣٩/ ٦] ، ثم تأتي الآيات وتؤكد على قانون الله ، قال تعالى : ﴿. . . وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ [الزمر ٣٩/ ٧] .

٢٧ـ سورة غافر :

وفيها دعاء الملائكة حملة العرش للمؤمنين والمؤمنات ، وهو تأكيد على المساواة بين الرجل والمرأة ، قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر ٤٠/ ٨] ، ويؤكد على حقيقة المساواة في الجزاء ، قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر ٤٠/ ٤٠] .

٢٨ـ سورة الشورى :

وفيها أن الله هو الذي يقدِّر بأن يرزق الرجل أو لا يرزقه الذكور أو الإناث ، فكل شيء بيد الله ، فلا اعتراض على حكمته ، قال تعالى : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى ٤٢/ ٤٩ـ٥٠] .

٢٩ـ سورة محمد :

وفيها توجُّه إلى رسول الله ﷺ بأن يستغفر الله ليعصمه من الذنوب ، وبأن يستغفر

للمؤمنين والمؤمنات ، قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد ٤٧/١٩] .

٣٠ـ سورة الفتح :

يركِّز البيان الإلهي منذ أوائل الآيات في السورة على الحقيقة المكرَّرة في القرآن الكريم ، وهي المساواة بين الذكر والأنثى ، والجزاء بحسب العمل ، فالمؤمنون والمؤمنات لهم الجنة ، والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات لهم النار ، جزاءً لأعمالهم : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح ٤٨/٥ـ٦] .

٣١ـ سورة الحجرات :

فيها آداب المعاملة في المجتمع الإسلامي ، فيندِّد بظاهرة السخرية بين الأفراد ، واللمز والألقاب السيئة ، ويهدِّد من لم يتُب من ذلك بالنار ، ولا تفريق في ذلك بين الرجال والنساء ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات ٤٩/١١] ، وفي هذه السورة تأكيد على حقيقة المساواة بين الذكر والأنثى فلا فضل لأحدٍ على أحد ، وخلق الله الناس كلهم من ذكر وأنثى من آدم وحواء ، ثم صاروا شعوباً وقبائل والغاية هي التعارف والتواصل ، وإن أكرم هؤلاء هم المتقون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات ٤٩/١٣] ، ويجب أن نُلاحظ في هذه الآية ، أنه تعالى لم يُلغِ خصوصية الشعوب والقبائل ، ولكن جعل الهدف من هذا التنوّع التعارف هو التقوى والعمل الصالح .

٣٢ـ سورة الحديد :

وفيها صورة من صور الآخرة ، عندما يمرُّ الإنسان على الصراط ، فالمؤمنون والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ، والمنافقون والمنافقات الهالكون في الآخرة يطلبون من المؤمنين والمؤمنات أن يدلُّوهم على المكان الذي أتوا منه بهذا النور ، فيردُّ عليهم

المؤمنون والمؤمنات رداً فيه تهكُّم وسخرية ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد ٥٧/ ١٢ـ١٣] ، ثم يأتي كلام الله ليؤكد حقيقة المساواة بين الرجل والمرأة في موضوع الصدقات ، فالمصدّقون والمصدّقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله سيجزيهم الله أضعاف ذلك من الحسنات والأجر العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد ٥٧/ ١٨] .

٣٣ـ سورة المجادلة[١] :

وفيها قصة خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت عندما ظاهَرَها بقوله : أنتِ عليَّ كظهر أمي ، وكان ذلك يعني طلاقاً في الجاهلية ، فجاءت تشتكي لرسول الله ﷺ ، فنزل القرآن يُبطل هذه العادة الجاهلية ، قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة ٥٨/ ١ـ٤] .

٣٤ـ سورة الممتحنة :

ذكر الله فيها المهاجرات المؤمنات من النساء وامتحانهن وعدم ردِّهن إلى الكفار إذا ثبت إيمانهن وحمايتهن ومبايعتهن وشروط هذه البيعة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة ٦٠/ ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ

---

(١) فصّل في موضوع المجادلة في المبحث الثاني المعنوَن المرأة بعد الإسلام في القصص القرآني ، المطلب الثالث، خولة بنت ثعلبة ص ٧١ وما بعدها .

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة ٦٠/١٢] .

٣٥ـ سورة الطلاق :

وتشتمل على أحكام تخص المرأة مثل الطلاق وما يترتب عليه من العدّة ، وحقوق الزوجة وما يترتب على الزوج من نفقة ، وتأمين المسكن وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق ٦٥/١] .

٣٦ـ سورة التحريم :

في هذه السورة أحكام تتعلق ببيت النبوة وبأمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات ، فبيّنت علاقة الرسول مع زوجاته ، وعلاقاتهن ببعضهن ، فمن أول آية من السورة جاء عتابٌ للرسول لطيفٌ رقيقٌ يشفُّ عن عناية الله برسوله ﷺ أن يضيّق على نفسه ما وسّعه الله له ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم ٦٦/١] ، فقد حرّم الرسول هدية جاريته ومملوكته القبطية على نفسه إرضاء لرغبة بعض أزواجه الطاهرات ، فجاء العتاب رقيقاً لطيفاً ، وتناولت السورة أمراً على جانب الأهمية والخطورة في العلاقة بين الزوجين ، وهو خطورة إفشاء السر الذي يهدِّد الحياة الزوجية ، وكان الرسول ﷺ قد أسرَّ إلى زوجته حفصة بسر واستكتمها إياه ، فأفشته إلى عائشة حتى شاع الأمر وذاع ، مما أغضب الرسول ﷺ حتى همَّ بتطليق أزواجه ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم ٦٦/٣ـ٥] ، وحملت السورة حملة شديدة عنيفة على أزواج النبي ﷺ حين حدث ما حدث بينهن من التنافس ، وغيرة بعضهن من بعض لأمور يسيرة ، وتوعّدهن بإبدال الله لرسوله بنساء خير منهن انتصاراً لرسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم ٦٦/٥] ، ثم يأتي التوجيه الإلهي إلى المؤمنين بأن يبعدوا ويقوا أهليهم وأنفسهم من النار ، وذلك بترك

المعاصي وفعل الطاعات ، وتأديب الأهل والأولاد وتعليمهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1] [التحريم ٦٦/٦] .

ثم خُتمت السورة بضرب مثلين من عالم النساء ، مثل الزوجة الكافرة في عصمة الرجل الصالح المؤمن ، ومثلاً بالزوجة المؤمنة في عصمة الرجل الفاجر الكافر ، تنبيهاً على أنه لا يغني في الآخرة أحدٌ عن أحد ، ولا ينفع حسب ولا نسب إذا لم يكن عمل الإنسان صالحاً ، فزوجة سيدنا نوح وزوجة سيدنا لوط عليهم السلام ، هاتان المرأتان عاشتا في بيت نبوي ، ولكنهما بقيتا كافرتين ، وامرأة فرعون وهي آسية بنت مزاحم آمنت بموسى عليه السلام فعذَّبها فرعون ، وجاء الحديث عن مريم بنت عمران الطاهرة العفيفة القانعة التي صدّقت بكلمات ربها وكتبه والتي حملت بعيسى بمعجزة نفخ الروح فيها ، قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾[2] [التحريم ٦٦/ ١٠ـ ١٢] .

٣٧ـ سورة المعارج :

فيها صفة المؤمنين أنهم يحفظون فروجهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ [المعارج ٧٠/ ٢٩ـ٣٠] .

٣٨ـ سورة القيامة :

فيها التذكير بأصل الإنسان من نطفة ثم من مني ثم من علقة ، ثم ذكر أو أنثى ، قال تعالى : ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [القيامة ٧٥/ ٣٦ـ٤٠] .

---

(١) من كتاب صفوة التفاسير ، د . الصابوني ، (٣/ ١١) ، بتصرف .

(٢) من كتاب صفوة التفاسير ، د . الصابوني ، (٣/ ١١) ، بتصرف . النساء شقائق الرجال ، د . الحاجي ، ص (١١٠) .

٣٩ـ سورة عبس :

فيها بعض أهوال يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس ٨٠/ ٣٤ـ٣٧] .

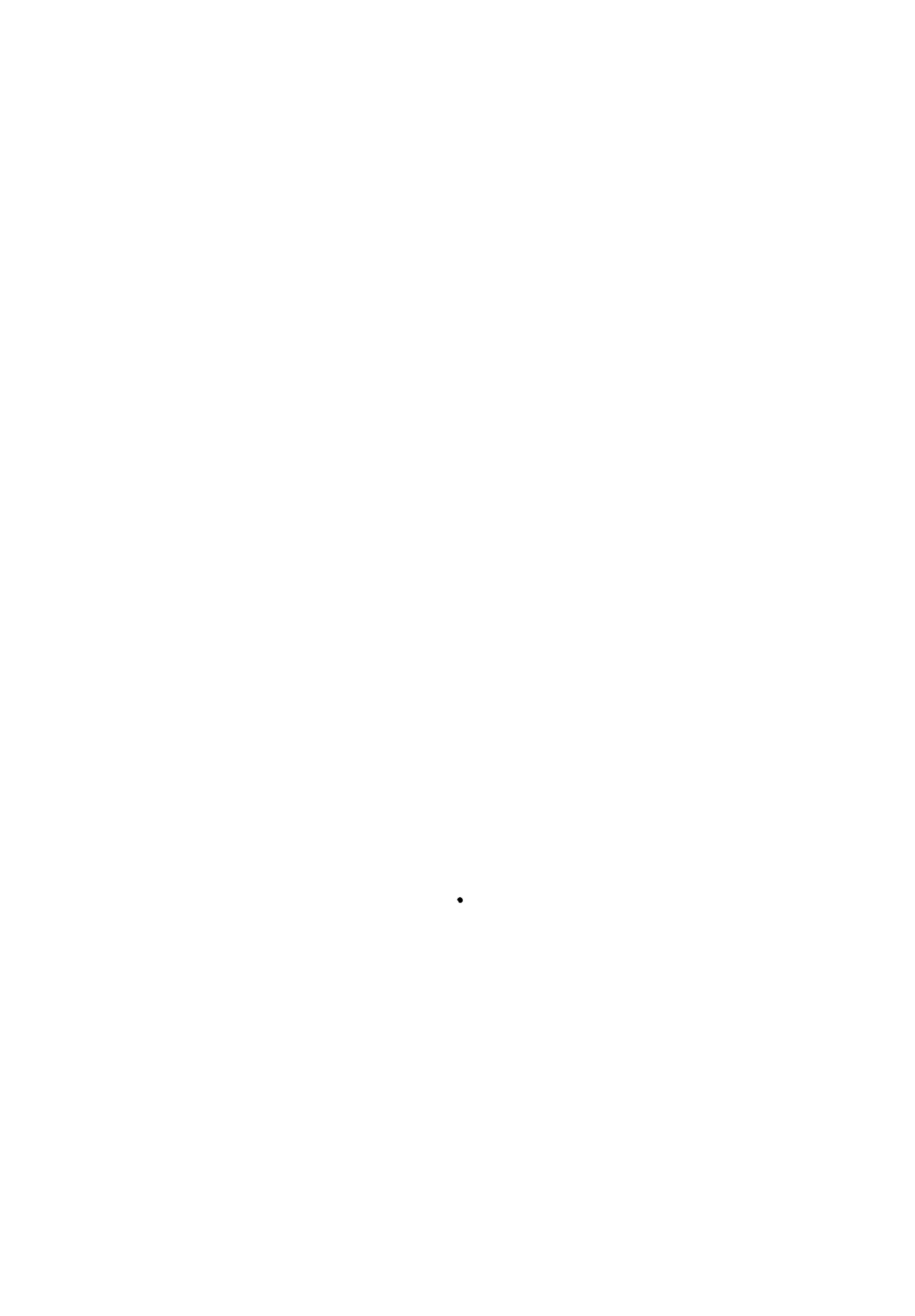
٤٠ـ سورة البروج :

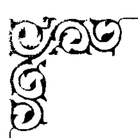
فيها قصة أصحاب الأخدود ، وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والإيمان ، فقد كان ملك مشرك ، وهو آخر ملوك حِميَر لما بلغه دخول بعض رعيته في النصرانية ، حفر لهم خندقاً ، وأشعل النيران فيه ، ثم ألقاهم بها ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج ٨٥/ ١٠] .

٤١ـ سورة المسد :

تؤكد آياتها موضوع المساواة بين الذكر والأنثى في الجزاء ، فتعرض السورة قصة أبي لهب وزوجته أم جميل وهي أخت أبي سفيان عندما وقفا في وجه الدعوة ، فقرنت زوجة أبي لهب مع زوجها ، وخَصَّت السورة امرأةَ أبي لهب بلون من العذاب الشديد ، قال تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد ١١١/ ١ـ٥] .

* * *






المبحث الرابع

مكانة المرأة في الإسلام

المطلب الأول : المرأة وإنسانيتها .

المطلب الثاني : احترام الإسلام رأي المرأة .

المطلب الثالث : مساواة الرجل والمرأة في الحقوق الاقتصادية .

المطلب الرابع : حق المرأة في التعليم .

المطلب الخامس : حق المرأة في العمل .

المطلب السادس : المرأة ووظائف الدولة .

المطلب السابع : المرأة وحقها في مبايعتها للنبي ﷺ .

المطلب الثامن : الأزواج على ألسنة زوجاتهم .



المبحث الرابع

مكانة المرأة في الإسلام

مقدمة :

هذا المبحث هو مجمل وعناوين لمكانة المرأة في الإسلام ، وقد ذُكرت بعض الأفكار في ثنايا المباحث السابقة ، ولكن هذا المبحث كان محاولة لجمع حبات العقد ونظمها في عقد واحد ، وقد روعي في هذا المبحث الاختصار الشديد ، وتوجَّه بالخطاب إلى المرأة المسلمة اليوم ليقول لها : إن الإسلام كرَّمك ورفع من شأنك وعظَّمك فأنت إنسانة خلقك الله لديمومة الحياة والنسل بمنهج رباني ، فعليك أن تستعيدي هذه المهمة وتثوري على مَن يسلبك حقك ، لقد خلقك الله سكناً للحياة ، فاستعيدي هذا الدور بحسن صلتك بالله ، وحسن ترتبيتك للأجيال ، فأنت سبب إعمار الأرض أو دمارها ، وتذكَّري حديث رسول الله ﷺ : « النساء شقائق الرجال »[1] .

لقد اعتبر الإسلام المرأة إنساناً مكلفاً تكليفاً كاملاً ، له حقوقه وعليه واجباته وقرّر مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في كل ما يتصل بالكرامة الإنسانية والمسؤولية العامة ، فالنساء شقائق الرجال ، وقرر مبدأ التوازن بين الحقوق والواجبات المتبادلة فلهن مثل الذي عليهن ، وفسح المجال لها لتشارك في العبادة والعمل مع مراعاة ما تتميز به باعتبارها أنثى وزوجة وأماً ، وجعل ضمانات خاصة لحمايتها ورعايتها ، فلا ظلم من الزوج ولا تفريط من الأب ولا عقوق من الابن .

المطلب الأول : المرأة وإنسانيتها

لقد أعاد الإسلام للمرأة حقوقها التي ضاعت وكرامتها التي سُلبت عندما ابتعد

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في الرجل يجد البلة في منامه ، رقم (٢٣٦) ؛ سنن الترمذي ، كتاب أبواب الطهارة ، باب فيمن يستيقظ فيجد بللاً ، رقم (١١٣) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال الألباني : صحيح .

الإنسانُ عن منهج الله في الأرض ، واحترم آدميتها .

١ـ فقد خُلقت مع الرجل من نفس واحدة دون تمييز ، وتحدث القرآن الكريم عن الأصل الذي تكاثرت منه البشرية ، فالرجل آدم خلقه الله من : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء ٤/ ١] .

٢ـ وخلق الله حواء من ضلعه ومنه .

٣ـ وجعله خليفته في الأرض وذرِّيته من بعده ، قال تعالى : ﴿ . . . إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة ٢/ ١٢٤] ، وهذا يشمل الذكور والإناث .

٤ـ وطالَبَ الجنسين على السواء بعمارة الأرض ، قال تعالى : ﴿ . . . هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾ [هود ١١/ ٦١] ، أي طلب عمارتها .

٥ـ وجعل المرأة شريكة في تكوين ذلك الأصل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ [النساء ٤/ ١] ، وجاء في الحديث الشريف : « إنما النساء شقائق الرجال »[١] .

٦ـ وارتكب آدم وحواء سوية خطيئة مشتركة ، حيث نهاهما الله عن الأكل من الشجرة ، فأكلا منها : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [البقرة ٢/ ٣٦] ، ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف ٧/ ٢٠] ، وفي سورة طه تقع مسؤولية خروج آدم من الجنة على آدم ، قال تعالى : ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه ٢٠/ ١٢٠ـ١٢١] ، فكلٌّ من الزوجين وسوس له الشيطان واستحق كلٌّ منهما المغفرة بالتوبة والندم ، قال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب الرجل يجد البلة في ثيابه ، رقم (٢٣٦) ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٦٣٢٨) ، وكلاهما عن السيدة عائشة ، وقال شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره .

ﭐلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ [البقرة ٢/ ٣٦] ، وتكرر الخطاب الإلهي موجهاً إليهما بالضمير المثنى المكرر أكثر من عشرين مرة .

٧ـ فالمرأة غير مسؤولة عن أخطاء غيرها وذنوبهم : ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت ٤١/ ٤٦] .

وتجعل التوارة والإنجيل الحالية يجعلون أن الإغواء كان من حواء ، وهي سبب كل بلاء ، جاء في الإصحاح الحادي عشر من كتاب كورنثوس الثاني : ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها ، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح ، وفي تيموثاوس من الإصحاح الثاني : أن آدم لم يغو ، ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي[١] .

٨ـ والمرأة في الإسلام مطالبة مع الرجل على السواء بعبادة الله ، مساوية تماماً للرجل في الجزاء ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات ٥١/ ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ . . . ﴾ [آل عمران ٣/ ١٩٥] .

وقد أعلنت الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وثيقة حقوق الإنسان تحت اسم (حقوق الرجل) ، ففي المادة الأولى من هذه الوثيقة : (يولد الرجل حراً ولا يجوز استعباده) ، والتاريخ يشهد أن سيدنا عمر سبق هؤلاء ، عندما قال : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) ، وقانون الثورة الفرنسية خص الرجل دون المرأة ، وقد جرت محاولات لإضافة كلمة (المرأة) ، ولكنها باءت بالفشل ، (بل إن امرأة اسمها أوليمب دوكور .ج (De goures) قد تجرأت عقب الثورة الفرنسية ، وقدمت سبع عشرة مادة إلى الجمعية التشريعية الفرنسية : (تعلن مساواة المرأة بالرجل وتُقَنِّنَها . . . فلم يقبل اقتراحها ، وصدر الأمر بقطع رأسها بالمقصلة)[٢] .

وتحدث غوستاف لوبون في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في كتابه روح الاجتماع قائلاً : إن المرأة لم تكن قط مساوية للرجل إلا في عهد الانحطاط ، مع

---

(١) ينظر : **المرأة في جميع الأديان والعصور** ، **محمد عبد المقصود** ، (مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣م) ، ص (٢٠ـ ٢١) .

(٢) يراجع : **كتاب العرب وحقوق الإنسان** ، **د . جورج جبور** ، (دار المعرفة، دمشق، ١٩٩٠م)، ص (٤٢).

العلم بأن القرآن منذ قرون يعلن ويقول بكل قوة : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1] [التوبة ٩/ ٧١] .

٩ـ وحرَّم الإسلام الإساءة للأنثى وكراهيتها ووأد البنات ، وهي من عادات قبائلهم. وكان ذلك لِما تتعرض له من حلٍّ وترحال وغزو واعتداء ، وكان العربي يحافظ على عرضه ، ويحميه بكل قوته ، وليس كما يشاع أن العربي كان يفضل الذكر على الأنثى كراهية للأنثى ، بل على العكس تغنى العربي بالأنثى ، وافتتح قصائده بالغزل بها ، ولكن كان خوفه من العار والسبي والمتاعب والفقر ، ولأن الذكور أكثر غناء وفائدة للحروب والدفاع عن الأعراض ولمقتضيات العصبية وكسب الرزق ، وفي القرآن الكريم آيات عديدة تذكر ذلك ، وتذكر تفضيل الذكر على الأنثى ، حتى أنهم كانوا ينسبون البنات إلى الله ، بينما المفضل عندهم الذكور ، قال تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل ١٦/ ٥٧] ، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل ١٦/ ٥٨ـ ٥٩] ، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل ١٦/ ٦٢] ، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف ٤٣/ ١٧] ، ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف ٤٣/ ١٨] ، ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف ٤٣/ ١٩] ، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الصافات ٢٧/ ١٤٩] ، ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم ٥٣/ ٢١] ، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير ٨١/ ٨ـ٩] ، وقد ذكرت الآية (١٨) من سورة الزخرف سبب كراهية العرب الجاهليين للأنثى وذلك لعدم فائدتها في مواقف الخصومة والحروب والقول والبلاغة ، وأما ما كان من اعتقادهم أن الملائكة بنات الله ولهم شفاعة أو يعبدونهم زلفى ذلك لاعتقاد العرب أن الأنثى أرحم من الذكر وألين وأرقّ فيتناسب ذلك مع الأنوثة ، والرجل أشد وأقوى وأصلب ويتناسب ذلك مع الذكورة .

ولابد من توضيح مسألة وهي موضوع وأد البنات عند العرب الجاهليين فيه قصص واهية ومبالغات بالشكل والكمّ التي وردت في تلك القصص ، ولعل ذلك يندرج لتهويل

---

(١) مختصر من كتاب المرأة في الإسلام ، د . محمد معروف الدواليبي ، (دار المنارة ، جدة ، ط٤ ، ١٩٩٤م) ، ص(٩) وما بعدها . =

ما كان العرب عليه قبل الإسلام مدحاً بالإسلام وذماً للجاهلية ، ولكن القصص التي وردت في كتب الأدب هي غير موثقة[1] .

فإذا كان الوأد خوفاً من السبي والعار منه أو خوف الفقر ، وكان العربي إذا رزق بمولود ذكر من أَمَته وخادمته أبقاه رقيقاً ليعينه في الحرب والسلم وإذا كانت أنثى قضى عليها .

كما أن كثيراً من الأمم الغابرة ذُكر عنها قتل الأولاد لأسباب ، كما فعل فرعون موسى بقتل الذكور خوفاً من النبوءة التي قالت سيأتي رجل من بني إسرائيل يكون هلاك ملكه على يديه ، وقصة أم موسى وطفلها مذكورة في القرآن .

١٠ـ وأعطاها الإسلام أعظم درجة حيث جعلها سكينة لأهل الدار ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم ٣٠/ ٢١] .

١١ـ وضمن لها حق الحياة .

١٢ـ وأوجب على وليِّها رعايتها وحسن تربيتها والإنفاق عليها من طعام ومسكن وكساء وعلاج ، وضمن للأب الجنة ، قال ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يُهِنها ولم يؤثر ولده عليها قال يعني الذكور أدخله الله الجنة »[2] ، وقال ﷺ : « من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كنَّ له حجاباً من النار يوم القيامة ، قيل : وإن واحدة ، قال ﷺ : وإن واحدة »[3] .

١٣ـ لقد كرّم الإسلام المرأة ، فشرَّع توريث المرأة ، وكرّمها زوجة وبنتاً وأماً وأختاً وجدة وزوجة أب وزوجة ابن وخالة وعمة ومرضعة وحتى خادمة ، وجعل الجنة تحت

---

(١) كما جاء في كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الآلوسي ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وكذلك في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وبعض الأحاديث الضعيفة ، وفي بعض أشعار العرب كجرير والفرزدق .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في فضل من عال يتيماً ، رقم (٥١٤٦) ؛ كنز العمال ، المتقي الهندي ، كتاب المواعظ والرقائق ، باب في بر البنات والصلة ، رقم (٤٥٣٦٤) ، عن عائشة ، وقال الألباني : ضعيف .

(٣) سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد (ت : ٢٧٣هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) ، كتاب الأدب ، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات ، رقم (٣٦٦٩) ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند الشاميين ، باب حديث عقبة بن عامر ، رقم (١٧٤٣٩) ، وكلاهما عن عقبة بن عامر ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي عشانة .

أقدام الأمهات ، وجعل نظاماً للزواج ضمن فيه حقَّ المرأة في الزواج والتعدد والطلاق ، ولم يحرمها من المساهمة في الجهاد ، فقد قرر لها أن تلحق بالجيش وقت الحرب كي تسعف الجرحى ، وتبث الحماسة في نفوس المحاربين ، وتقوم بأعمال الخدمة وسقي الماء وغيرها ، ومثال على ذلك قصة رفيدة ، فإن رسول الله ﷺ قال لقوم سعد بن معاذ عندما أصيب بسهم في غزوة الخندق : « اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده عن قربٍ »[1] ، لأن رفيدة رضي الله عنها ، كان لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة الذين لم يكن لهم من يقوم عليهم ويخدمهم. . . وربما حملت المسلمة السيف عند الضرورة ، ولقد سجل التاريخ أسماء بطلات ، كخولة بنت الأزور في معركة اليرموك ، وقالت الربيع بنت معوذ : « كنا نغزو مع رسول الله ، نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة »[2] ، وقالت أم عطية الأنصارية : « غزوت مع رسول الله سبع غزوات ، أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على الزمنى »[3] ، وهناك الآلاف مثلهن ، ويكفي أنّ الرسول ﷺ كانت إحدى وصاياه الهامة لأمته : « استوصوا بالنساء خيراً »[4] .

١٤ـ وأناط الإسلام بكل من الرجل والمرأة التكليف دون تفريق وساوى بينهما فيه ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات ٤٩/ ١١] .

١٥ـ وساوى بينهما في الحقوق والواجبات ، وفي الجزاء والعقاب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ

---

(١) **سيرة ابن هشام** ، (٢/ ٢٣٩) .

(٢) **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث الربيع بنت معوذ ، رقم (٢٧٠٦٢) ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، عن الربيع بنت معوذ ، وانفرد به الإمام أحمد .

(٣) **صحيح مسلم** ، كتاب الجهاد والسير ، باب النساء الغازيات ، رقم (٤٧٩٣) ، **مسند الإمام أحمد** ، كتاب مسند الكوفيين ، باب حديث أم عطية ، رقم (٢٠٨١١) ، عن أم عطية الأنصارية .

(٤) **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب الوصية بالنساء ، رقم (٤٨٩٠) ، **صحيح مسلم** ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، رقم (٣٧٢٠) ، عن أبي هريرة .

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء ٤/ ١٢٤] ، وقال تعالى : ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران ٣/ ١٩٥] .

١٦ـ وجعل الإسلامُ كلَّ فرد مسؤولاً عن نفسه ، قال تعالى : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم ٥٣/ ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور ٥٢/ ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم ٦٦/ ١٠ـ١١] .

١٧ـ وقد يكون من أهم مظاهر حفظ الإسلام لآدمية المرأة هو التسوية بين الذكر والأنثى في الدماء والقصاص ، وأن الرجل يقتل بالمرأة ، وقد جرى العمل من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا على القصاص بينهما ، قال تعالى : ﴿. . . وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ٢/ ١٧٩] .

١٨ـ واحترم الإسلام أمانتها وذمتها ، فلها مثل حقوق الرجل ، فلها أن تجير من تشاء ، وتُؤَمِّنَ من تشاء ، ولقد أجاز الرسول ﷺ أمان ابنته زينب لزوجها أبي العاص بن الربيع(١) .

---

(١) روى الحاكم : أقبل أبو العاص من الليل في طلب ماله حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ﷺ ، فاستجار بها ، فأجارته فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح فكبّر وكبّر الناس معه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : صرخت زينب رضي الله عنها : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، قال : فلما سلَّم رسول الله ﷺ من صلاته أقبل على النَّاس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ، قالوا : نعم ، قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أدناهم ، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فدخل على ابنته زينب فقال : أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له . **المستدرك** ، **الحاكم** ، كتاب الصحابة ، باب ذكر مناقب أبي العاص ، رقم (٥٠٣٨) ، (٣/ ٢٦٢) ؛ **سنن البيهقي الكبرى** ، كتاب النكاح ، باب الزوجين يسلم أحدهما ، رقم (١٣٨٣٩) ، وكلاهما عن عائشة رضي الله عنها ، والحديث سكت عنه ولم يوثق .

١٩ـ وقد صان الإسلام للمرأة مكانتها وكرامتها في المجتمع عندما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٥] .

٢٠ـ واشتركت المرأة مع الرجل في أداء الصدقة ، أرسل ﷺ مَن يطوف المنازل فيدعو النساء إلى أداء واجبهن من الزكاة ، فخرج النساء عن كثير من أموالهن من مال وحُليٍّ ، فما رؤي هكذا يوم جمُعت فيه الزكاة[١] .

٢١ـ وضمن الإسلام للمرأة الحق في اختيار الزوج[٢] ، فقال ﷺ : « الثيّب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها سكوتها »[٣] ، وكان ﷺ يردُّ زواج المسلمة المكرَهة على زواجها ، فقد جاء في الحديث « أن خنساء بنت جذام زوَّجها أبوها وهي كارهة وكانت ثيّباً فأتت رسول الله فردَّ نكاحها »[٤] وجاءت فتاة إلى النبي ﷺ : « فقالت إن أبي زوَّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، قال : فجعل الأمر إليها ، فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن تعلم الآباء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء »[٥] .

٢٢ـ وكانت للمرأة مكانة عظيمة في قلب الرسول ، فالسيدة خديجة وزوجاته وعماته وخالاته وأمه في الرضاعة وابنته فاطمة ، وكان لها المكان الأعز في قلب النبي ﷺ ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب وضوء الصبيان ، رقم (٨٢٥) ؛ صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب خروج النساء للعيد ، رقم (٨٨٥) ، عن جابر .

(٢) راجع الأحكام الفقهية التي تتعلق بالولي واختيار البنت للزوج ، في المبحث الأول ، المطلب السابع .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب استئذان الثيّب ، رقم (١٤٢١) ؛ سنن النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، (مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط٢ ، ١٩٨٦م) ، كتاب النكاح ، باب استئذان الأب البكر ، رقم (٣٢٦٤) ، عن ابن عباس .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب إذا زوّج ابنته ، رقم (٤٨٤٥) ؛ سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في الثيب ، رقم (٢١٠١) ، عن خنساء بنت جذام .

(٥) سنن النسائي ، كتاب النكاح ، باب البكر يزوجها أبوها ، رقم (٣٢٦٩) ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب باقي مسند المكثرين ، باب حديث عائشة ، رقم (٢٥٠٧٨) ، عن عائشة ، وقال شعيب الأرنؤوط والألباني : صحيح .

فكان ﷺ يقول : « فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها أغضبني »[1] ، وكان ﷺ يعتزُّ بأمومة أمهاته الطاهرات فيقول : « أنا ابن الفواطم من قريش ، والعواتك من سليم »[2] ، وكان لزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها مكانة خاصة في قلبه ﷺ ، حيث جاء في الحديث : « خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة »[3] ، وجاء أيضاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها : « ما غِرت على امرأة للنبي ﷺ ما غِرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني ، لِما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشّرها ببيت من قصب ، وإن كان لَيذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن »[4] ، وجاء أيضاً : « أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله : هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشِّرْها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب »[5] ، روت عائشة رضي الله عنها : « استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال : (اللهم هالة) ، قالت : فغرت ، فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشَّدَقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها »[6] وفي رواية : « ما أبدلني الله خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء »[7] ، « ما غرت على نساء النبي ﷺ ، إلا على خديجة وإني لم

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل قرابة الرسول ، رقم (٣٥١٠) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة ، رقم (٢٤٤٩) ، عن المسور بن مخرمة .

(٢) **تاريخ دمشق** ، **ابن عساكر الحسين بن هبة** (ت : ٤٩٩هـ) ، تحقيق : محي الدين العمروي ، (دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م) ، (٣/١٠٨) .

(٣) **صحيح البخاري** ، كتاب الأنبياء ، باب منه ، رقم (٣٢٤٩) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة ، رقم (٢٤٣٠) ، عن علي بن أبي طالب .

(٤) **صحيح البخاري** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ، رقم (٣٦٠٥) ؛ صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة ، رقم (٢٤٣٥) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٥) **صحيح البخاري** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ، رقم (٣٦٠٩) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة ، رقم (٢٤٣٢) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) **صحيح البخاري** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تزويج النبي خديجة وفضلها ، رقم (٣٦١٠) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة ، رقم (٢٤٣٧) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٧) **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٤٩٠٨) ؛ كنز =

أدركها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة ، فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ، قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة ؟ فقال رسول الله ﷺ : إني قد رزقت حبها »[1] .

٢٣ـ وكان الرجال من الصحابة ينتَشون فخراً بأمهاتهم ، ويشعرون بالعزة إن نسبوا إلى أمهاتهم ، لأن لهن الأثر العظيم فيما بلغوه من مجد وما نالوه من إقبال ، فكان يقال للحسن والحسين يا بن فاطمة ، وكذلك الزبير بن العوام يقال له : يا بن صفية ، وابنه عبد الله يقال له : يابن أسماء .

المطلب الثاني : احترام الإسلام رأي المرأة

المرأة كالرجل في احترام رأيها ، فحرية الرأي مصونة للرجل والمرأة ، وقد أكّد الإسلام على مبدأ احترام رأي المرأة وأن لها حقاً في التفكير ، وإبداء الرأي ، فقد ورد عن أبي هريرة أنه قال : « ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ »[2] ، ومشورته كانت تشمل الرجال والنساء ، وقد أخذ النبي ﷺ برأي زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، فقد ورد في صلح الحديبية : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا ، قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقُمْ منهم أحد ، دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحبُّ ذلك ، اخرج لا تُكلِّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا ، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً »[3] ، وعندما كان ﷺ يجمع

= العمال ، المتقي الهندي ، كتاب الفضائل ، باب فضائل خديجة ، رقم (٣٤٣٤٨) ، عن عائشة ، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح ، وهذا سند حسن بالمتابعات .

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة ، رقم (٢٤٣٥) ؛ صحيح ابن حبان ، كتاب إخباره ﷺ عن فضائل الصحابة ، باب منه ، رقم (٧٠٠٦) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الجهاد ، باب المشورة ، رقم (١٧١٤) ؛ صحيح ابن حبان ، كتاب السير ، باب الموادعة والمهادنة ، رقم (٤٨٧٢) عن أبي هريرة ، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ، رقم (٢٥٨١) ؛ المعجم الكبير الطبراني ، كتاب الميم ، باب من اسمه مسور ، رقم (١٣) ، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة .

الناس لطلب المشورة في أمرٍ ما كان يجتمع إليه الرجال والنساء ، ويدلي كلٌ منهم بدلوه ، فقد ورد في قصة الإفك : « قام رسول الله ﷺ خطيباً ، فتشهد وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد أشيروا علي في أناس أَبَنُوا ـ أي اتهموا ـ أهلي ، والله ما علمت على أهلي من سوء قط ، وأبنوهم بمَن والله ما علمت عليه من سوء قط ، ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : ائذن لي يا رسول الله أن أضرب أعناقهم ، وقام رجل من بني الخزرج ، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقالت : كذبت أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم »[1] ، وكان ﷺ يكثر طلب المشورة من أصحابه ولا يميّز في ذلك بين الرجال والنساء ، وذلك استجابة لقوله تعالى : ﴿ . . . وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ . . . ﴾ [آل عمران ٣/١٥٩] ، ولم نجد أحداً من علماء التفسير استبعد النساء من دائرة المشورة وأخذ الرأي ، بل فسروا الآية على أنها تشمل صحابته بدون تمييز ، كلٌّ حسب علمه ورأيه ، بل ذكر بعضهم النساء فيها صراحة : (فهذه بلقيس امرأة جاهلية قالت : ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل ٢٧/٣٢] ، لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم وحزمهم فيما يقيم أمرهم . . . وربما كان في استبدادها برأيها وَهْنٌ في طاعتها ودخيلة في تقدير أمرهم وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عونٌ على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم)[2] ، وفي مجال الأسرة قالوا : (وعطف التشاور على التراضي تعليماً للزوجين شؤون تدبير العائلة ، فإن التشاور يظهر الصواب ويحصل به التراضي)[3] .

ومن القصص البليغة في ذلك ، ما كان من قصة خولة بنت ثعلبة ومجادلتها للنبي ﷺ ، واستمع الله إلى مجادلتها مع الرسول من فوق سبع سماوات ، وسطَّر ذلك القرآن الكريم ليتلى إلى يوم القيامة ، وجعله تشريفاً ليتعبَّد به[4] .

فالمرأة لها استقلالها وحريتها ولا تقاد بفكر الرجل ورأيه ، وإنما لها رأيها ، فقد

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير ، باب سورة النور ، رقم (٤٤٧٩) ؛ **سنن الترمذي** ، كتاب تفسير القرآن ، باب سورة النور ، رقم (٣١٨٠) عن عائشة .

(٢) **تفسير القرطبي** ، الجامع لأحكام القرآن ، (١٣/ ١٧٤) .

(٣) **التحرير والتنوير** ، **محمد الطاهر بن عاشور** ، (دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، د.ت) (١/ ٦٦٤) .

(٤) راجع قصتها في المطلب الثالث من المبحث الثاني من هذا الكتاب ص٧١ وما بعدها .

وقفت امرأةٌ تقاطع عمر بن الخطاب وهو على المنبر ، عندما أراد تحديد مهور النساء ، وقالت : ليس ذلك يا عمر إن الله يقول : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء ٤/ ٢٠] ، فقال عمر : امرأة أصابت وأخطأ عمر[1] ، أما ما يتردَّد على ألسنة الناس من أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ وفيها تقليل وتقبيح لرأي المرأة وفكرها ، فقد قال علماء الحديث : (حديث طاعة المرأة ندامة ، باطل لا أصل له وموضوع ، وحديث شاوروهن وخالفوهن ، باطل لا أصل له)[2] .

ولنستمع إلى وافدة النساء إلى النبي ﷺ أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها ، وهي تلخِّص موقف المرأة المسلمة ، ووظيفتها ، ومع ذلك فهي ترنو إلى أجر الجهاد في سبيل الله والمشاركة فيه ، فتقول : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله : أنا وافدة النساء إليك ، وإن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة. . وأنَّا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم ، وأنكم معشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجُمَع والجماعات وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وأن أحدكم إذا خرج في سبيل الله حاجاً أو معتمراً حفظنا لكم أولادكم وأموالكم ، وغزلنا أثوابكم وربَّينا أولادكم أنشارككم في هذا الأجر والخير ؟ ، فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله وقال : « هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها » . قالوا : يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت إليها النبي ﷺ وقال : « افهمي أيتها المرأة وأعلمي مَن خلفك من النساء أن حُسن تبعُّل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله »[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير ، (١/ ٦١٧) ؛ تفسير القرطبي ، (١/ ٣٢٦) ؛ كنز العمال ، المتقي الهندي ، كتاب النكاح ، باب الصداق ، رقم (٤٥٨٠٠) ، عن عبد الله بن مصعب .

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ) ، كتاب النكاح ، رقم (٣٢) ، ص (١/ ١٣٠) ؛ تذكرة الموضوعات ، محمد بن طاهر بن علي الهندي الفتني (ت٩٨٦هـ) ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، (١/ ٩٢٤) ؛ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد عبد الرحيم ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م) ، (١/ ٢٢٨) ، السلسلة الضعيفة ، محمد ناصر الدين الألباني ، (مكتبة المعارف ، الرياض ، د .ت) ، (١/ ٩١٦) ، وسيأتي في المبحث السادس مناقشة التأويلات الباطلة والأحاديث الموضوعة في هذا الشأن .

(٣) شعب الإيمان ، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق : محمد السعيد البسيوني زغلول ، (دار =

المطلب الثالث : مساواة الرجل والمرأة في الحقوق الاقتصادية
(حق الكسب والإرث والتصرّف بالمال)

أ ـ قبل الإسلام ، وفي عصور تاريخية وعند العديد من الأقوام ، وخاصة العرب ، كانت المرأة لا ترث إلا في حالات معينة ، فقرّر الإسلام إرثها ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء ٤/ ١٩] ، وساواها مع أخيها فقال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء ٤/ ٧] ، وجعل الإسلام للمرأة حقاً في الميراث باعتبارات مختلفة ، في وقت كان العرب في الجاهلية لا يورِّثون المرأة مطلقاً ، وقرّر نصيبها في الميراث باعتبارها زوجة ، قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ ﴾ [النساء ٤/ ١٢] ، وباعتبارها بنتاً ، قال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ . . . ﴾ [النساء ٤/ ١١] ، وباعتبارها أماً ، قال تعالى : ﴿ . . . وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ . . . ﴾ [النساء ٤/ ١١] ، وباعتبارها أختاً ، قال تعالى : ﴿ . . . وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء ٤/ ١٢] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ . . . ﴾ [النساء ٤/ ١٧٦] .

ب ـ (الحق في التصرُّف بأموالها ، ومباشرة عقود المدنيات من بيع وشراء ، وأباح لها أن توكّل غيرها في ما تملكه ، وأباح لها أن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها ، على نحو ما أُبيح للرجال في كل هذه التصرفات ، ولا نعلم أحداً من فقهاء الإسلام رأى أن

= الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ) ، كتاب حقوق الأولاد والأهلين ، رقم (٨٧٤٣) ، (٦/ ٤٢٠) عن أسماء بنت يزيد ، والهيثمي في **مجمع الزوائد** ، كتاب النكاح ، باب ثواب المرأة ، رقم (٧٦٣١) ، وقال : فيه رشدين بن كريب وهو ضعيف .

النصوص الواردة في التصرفات المالية ، خاصة بالرجل دون المرأة)[1] .

وجعل لها حق التخلُّص بمالها في سوء معاشرة الرجل إذا رأت ذلك سبيلاً متعباً لراحتها وهنائها ، انظر قوله تعالى : ﴿ . . . فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢٩] ، وقد كان شأنها في ذلك شأن الرجال يتخلصون بأموالهم من كل ما ينزل بهم متى رأوا أن بذل المال سبيل للخلاص منه ، وهذه آية الملكية التامة والحرية الكاملة في التصرفات .

وجعل لها الحق في التصرفات الشخصية ، ولها أن تشترك فيما ينشأ في المجتمعات من حق الخصومة والتقاضي ، فتكون مدَّعية ومدَّعى عليها ، وشاهدة ومشهوداً عليها منفردة ومجتمعة ، وتكون وصية وناظرة وَقْف ، ووكيلة وكفيلة ، وراهنة ومرتهنة ، وشريكة ، وتكون متصدقة وواهبة ، ومتصَدقاً عليها وموهوباً لها ، وتكون قيمة ومحجورة ، كما يكون الرجل ذلك كله .

المطلب الرابع : حق المرأة في التعليم

لم يفرِّق الإسلام بين الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية ، ومن هذه التكاليف ، أن الإسلام جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فالآيات التي تحض على العلم كثيرة ومنها قوله تعالى : ﴿ . . . يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة ٥٨/ ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه ٢٠/ ١١٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد ٤٧/ ١٩] ، والآيات بالعشرات تنتهي بقول الله تعالى : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة٢/ ٢٣٠] ، ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة٢/ ١٦٤] ، فالخطاب للجميع ، للذكور والإناث ، وجاء في الحديث الشريف : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »[2] ، « من

---

(١) القرآن والمرأة ، الشيخ محمود شلتوت ، (دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ص (٢٩ـ٣٠) .

(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب في الإيمان والفضائل ، باب فضل العلماء ، رقم (٢٢٤) ؛ المعجم الأوسط ، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد ، تحقيق : طارق بن عوض الله و عبد المحسن الحسيني ، (دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ) ، رقم (٩) ، وكلاهما عن أنس بن مالك ، وقال الألباني : صحيح

يرد الله به خيراً يفقه في الدين »[1] ، « من سلك طريقاً يطلب به علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة »[2] .

وقد حض النبي ﷺ النساء على طلب العلم ، وجعل لمن يقوم بتعليم المرأة أجراً مضاعفاً ، فقد ورد عنه ﷺ : « ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدّى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أَمَة يطؤها فأدَّبها فأحسن أدبها وعلَّمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران »[3] .

وكان النبي ﷺ ينهى عن منع النساء من ارتياد المساجد للعبادة والعلم « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[4] ، ويخص النساء بأوقات معينة يخرج إليهن لتعليمهن : « خرج ومعه بلال فظنَّ أنه لم يسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القَرْط والخاتم وبلالٌ يأخذ في طرف ثوبه »[5] ، وورد أيضاً : « خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلّى فمرَّ على النساء فقال : يا معشر النساء تصدقنَ فإني أُريتكنَّ أكثر أهل النار ، فقلن وبم يا رسول الله ؟ قال : تُكثرن اللعن وتَكْفُرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبَ لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن ، قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ، قلن : بلى ، قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم ، قلن : بلى ، قال : فذلك من نقصان دينها »[6] .

وجاء أيضاً في الحديث : « قال النساء للنبي ﷺ غلبَنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً ، رقم (٧١) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، رقم (١٠٣٧) ، عن معاوية .

(٢) **صحيح مسلم** ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، رقم (٢٦٩٩) ؛ **سنن الترمذي** ، كتاب العلم ، باب فضل العلم ، رقم (٢٦٤٦) ، عن أبي هريرة .

(٣) **صحيح البخاري** ، كتاب العلم ، باب تعليم الرجل أهله ، رقم (٩٧) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان ، رقم (١٥٤) ، عن أبي بردة عن أبيه .

(٤) **صحيح البخاري** ، كتاب الجمعة ، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل ، رقم (٨٥٨) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المسجد ، رقم (٤٤٢) ، عن ابن عمر .

(٥) **صحيح البخاري** ، كتاب العلم ، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن ، رقم (٩٨) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب العيدين ، باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها ، رقم (٨٨٤) ، وكلاهما عن ابن عباس .

(٦) **صحيح البخاري** ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، رقم (٢٩٨) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بنقصان الطاعات ، رقم (٧٩) ، عن أبي سعيد الخدري .

من نفسك فوعدهن يوماً لقيَهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : (ما منكن امرأة تقدِّم ثلاثةً من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار) . فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : (واثنين) »[1] .

وكانت النساء على عهد النبي ﷺ يطلبن بيوت النبي ﷺ لطلب العلم وسؤال النبي ﷺ ، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : (نعم النساء ، نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[2]، وكان النبي ﷺ يسارع إلى إجابة النساء وتعليمهن، ويمتدحهن على سؤالهنَّ وحرصهنَّ على التعلُّم ومما جاء في هذا : « جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي ﷺ : (إذا رأت الماء) ، فغطت أم سليم تعني وجهها وقالت : يا رسول الله وتحتلم المرأة ؟ قال (نعم تربت يمينك فيم يشبهها ولدها) »[3] .

وعقد النبي ﷺ لهنَّ مجالس خاصة يعلمهن أمور دينهن ، فقد جاء : « جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله ، قال : اجتمِعنَ يوم كذا في مكان كذا ، فاجتمَعْنَ فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله »[4] .

وكانت زوجات النبي ﷺ عالمات محدِّثات وفقيهات ، وكان الصحابة والتابعون يطلبون منهنَّ العلم والفتوى ، فالسيدة عائشة[5] روى لها (البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة) ، وقال عنها ابن حجر : (أم المؤمنين ، أفقه النساء

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة للعلم ، رقم (١٠١) ؛ صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد ، رقم (٢٦٣٣) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، (١/ ٦٠) ، صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب استحباب استعمال فِرْصة من مسك ، رقم (٣٣٢) ، عن عائشة .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، رقم (١٣٠) ؛ صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب وجوب الغسل على المرأة ، رقم (٣١٣) ، عن أم سلمة .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب ، باب تعليم النبي أمته من الرجال والنساء ، رقم (٦٨٨٠) ؛ صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد ، رقم (٢٦٣٣) ، عن أبي سعيد .

(٥) فصل في سيرة السيدة عائشة في المبحث الخامس ، المطلب الخامس زوجات النبي ﷺ ومنهن عائشة رضي الله عنها .

مطلقاً)[1] ، وقال عنها الذهبي : (أم المؤمنين ، أفقه نساء الأمة ومناقبها جمة)[2] .

وكان للسيدة نفيسة[3] ، مجلس علم في مصر ، وكان يحضره الإمام الشافعي ، وسمع عليها فيه الحديث ، وقد زخرت كتب التراجم بأعداد لا تحصى من العالمات المسلمات المحدِّثات والفقيهات وفي كافة العلوم ، والكثير الكثير من علماء الإسلام تتلمذوا على أيديهن وافتخروا بذلك ، وأسندوا إليهن علومهم ومعارفهم .

إنّ ما يجب أن تتعلمه المرأة يكون في أمر دينها ودنياها ، كنظام تربية أولادها وغير ذلك ، بما يتناسب في كل زمان ومكان ، فالإسلام حثَّ على تعليم المرأة وإعدادها للحياة إعداداً حسناً ، وأعطى المرأة من الحقوق وجعل عليها من الواجبات ما أعطى وجعل للرجل ، ولم يكن الإسلام عدواً لها أو مانعاً من تعليمها ، فنصوصه من قرآن وسنة في هذا واضحة وصريحة ، وقد كلَّف الإسلام المرأة مثلما كلَّف الرجل ، وأوجب عليها الإيمان بالله والمعرفة به ، ما يجب له وما يستحيل ، وما يجوز في حقه تعالى ، والتصديق بالرسل وخصوصاً خاتم الأنبياء ﷺ ومعرفة ما يجب للرسل عليهم السلام وما يجوز في حقهم ، وأوجب الإيمان باليوم الآخر ، ولا يمكن أن يكون هذا بدون العلم ، وكلَّفها بالنظر والتأمُّل في خلق الله ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس ١٠/١٠١] ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بالتعلُّم وبذل الجهد في التعلُّم ، وخاطب المرأة بأحكام الدين من صلوات وزكاة وحج وصيام ، ولا تستقيم هذه العبادات إلا بالعلم ومعرفة أحكامها وشروطها وأركانها ونصابها وأوقاتها وحكمتها ، ونهى الله تعالى المرأة عن الفواحش والمنكرات والمحرَّمات ، ولا تتمّ معرفة

(١) تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوامة ، (دار الرشيد ، دمشق ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) ، (١/ ٧٥٠) .

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، الذهبي ، تحقيق محمد عوامة ، (دار القبلة للثقافة ، جدة ، ١٩٩٢م) ، (٢/ ٥١٣) .

(٣) هي السيدة : نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، (١٤٥ـ ٢٠٨ هـ / ٧٦٢ـ ٨٢٤ م) ، ولدت في مكة المكرمة ، ونشأت في المدينة المنورة ، وتزوجت إسحاق بن الإمام جعفر الصادق ، وانتقلت إلى القاهرة مع زوجها ، كانت تقية ، صالحة ، عالمة بالتفسير والحديث ، حجت ثلاثين حجة ، وكانت تحفظ القرآن الكريم ، أخذ عنها الإمام الشافعي ، ولما مات الشافعي ، أدخلت جنازته إلى دارها وصلّت عليه ، وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها ، وقد سمعت كثيراً من الحديث ، وكانت تلقب (نفيسة العلم) ، توفيت في القاهرة ودفنت فيها وهي صاحبة المشهد المعروف في مصر .
الأعلام ، خير الدين الزركلي ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م) ، (٨/ ٤٤) .

الحلال والحرام إلا بالتعلُّم ، وخصوصاً إذا مارست المرأة العمل والتجارة وباقي أنواع الكسب ، فهل يعقل بعد ذلك أن نهمل تعليم المرأة ، فإذا أردنا عزاً ومجداً ، وأردنا أن نصبح أمة لها بين الأمم مكانة سامية ، علينا بتعليم البنات تعليماً صحيحاً أساسه الفضيلة والآداب الإسلامية الحميدة ، لتخرّج للأمة أجيالاً يصعدون بالأمة إلى العزة والفخار .

المطلب الخامس : حق المرأة في العمل

لقد أقرَّ الإسلام للمرأة حق العمل ، إن كانت داخل بيتها ، أو خارجه ، فحثَّها على تعلُّم الغزل والنسج والخرز والخياطة ، إلى جانب أعمالها بشؤون بيتها ، من عجين وخبز وطبخ وحلب شاة ، ورعاية المواشي ، إلى جانب تعلُّمها أمور دينها ، وكل عمل صالح يفيدها ، ويفيد مجتمعها حثَّ الإسلام عليه واعتبره عبادة وقربى إلى الله ، وأعظم عملٍ للمرأة عنايتها بأهل بيتها من زوج وأولاد ، وجعلها سَكَناً وطمأنينةً ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [النحل ١٦/ ٧٢] .

والإسلام أتاح للمجتمع أن يستفيد من عمل المرأة بشرط ألا يكلِّفها فوق طاقتها ، وأن يتوافق ذلك العمل مع طبيعتها وأنوثتها وبحيث يتوفر لها كل دواعي الشرف والكرامة دون استغلالها ، كالتعليم والطب والتمريض ، فكانت السيدة خديجة تستثمر أموالها في التجارة قبل الإسلام وبعده ولم يمنعها النبي ﷺ من ذلك .

فالشريعة الإسلامية ـ كقاعدة عامة ـ لا تمنع أحداً من العمل والتكسُّب ، ولكنها تضع الحدود ، والضوابط التي تلائم المجتمع وتفيده .

ذلك أن الإسلام قد قسَّم الأدوار بين المرأة ، والرجل تقسيماً عادلاً فريداً لبناء أسرة سليمة تبني في الدارين ، فالرجل هو المسؤول عن نفقة أفراد أسرته وتأمين احتياجاتها ، فهو يتولَّى شؤون المنزل الخارجية ، ويقع على المرأة مسؤولية العناية بالبيت ، والزوج والأولاد ، وتوفير الراحة والحنان وتربية الأولاد .

والمرأة تختلف عن الرجل في التركيب العاطفي والتشريحي والفيزيولوجي والوظيفي ، والحكمة في الاختلاف البيِّن بين الرجل والمرأة هو أن هيكل الرجل قد بُني ليخرج إلى ميدان العمل ليكدح ويكافح ، وتبقى المرأة في المنزل تؤدي وظيفتها العظيمة التي أناطها الله بها ، وهي الحمل والولادة والرضاعة ، وتربية الأطفال ورعايتهم ، وتهيئة

عشِّ الزوجية حتى يسكن إليها ربُّ الأسرة عند عودته من خارج المنزل .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم٣٠/ ٢١] .

وإذا أردنا أن نقلب الموازين ، فإننا سنتصادم مع الفطرة التي فطرنا الله عليها ، ونتصادم مع التكوين البيولوجي ، والنفسي الذي خلقنا الله عليه ، تكون نتيجة تلك المصادمات وتجاهل التكوين النفسي والجسدي للمرأة وَبَالاً على المرأة وعلى المجتمع ، قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب٣٣/ ٦٢] ، وقال عز وجل : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح٤٨/ ٢٣] .

وحيث إن المجتمع الإسلامي والمرأة المسلمة قد تحتاج إلى عمل المرأة ببعض الأعمال ، فينبغي عليها مراعاة عدد من الضوابط الشرعية التي هي أولاً وأخيراً لصيانة المرأة والمحافظة عليها وعلى دورها الأساسي المميز في المجتمع ، وهذه الضوابط :

١ـ أن يكون ذلك بموافقة الولي وألا يكون لعمل المرأة تأثير سلبي على حياتها العائلية :

فالمرأة لا تخرج من بيتها إلا بإذن وليها المسؤول عنها ، قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٣] ، وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته »[1] .

ذلك أن المرأة راعية لبيتها ، ولأولادها وإن عملها خارج بيتها قد يكون فيه مضيعة للأولاد ، وتقصير لحق الزوج ، من خلال عمل المرأة خارج بيتها .

٢ـ ألا تعمل عملاً فيه محذور شرعي ، أو شيئاً يقدح في أنوثتها كالاختلاط غير المضبوط والخلوة غير الآمنة لها والتي فيها شبهة :

لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب وأطيعوا الله ، رقم (٦٧١٩) ؛ وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، رقم (١٨٢٩) ، وكلاهما عن ابن عمر .

﴿ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب٣٣/٥٩] ، وقال ﷺ : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحمو ، قال الحمو الموت »(١) .

وقوله ﷺ : « لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ وَلاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا قَالَ انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ »(٢) .

ففي هذه الأحاديث وغيرها ، تصريح بعدم إجازة الدخول على النساء ، وبعدم الخلوة مع المرأة الأجنبية إلا مع ذي محرم ، حفاظاً على الأعراض ، ووقاية من القيل والقال والفتن وتكريماً للمرأة .

٣ـ ألا يؤثِّر عملها على عمل الرجل ومصلحة المجتمع ، كأن تكون سبباً في قطع رزقه :

فالمرأة قد تقبل أن تعمل بأجر زهيد على عكس الرجل الذي يعيش هو ، ومن تحت جناحيه من هذا العمل ، مما يؤدي إلى انتشار البطالة ، وتفاقمها في صفوف الرجال ، لقوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار »(٣) .

و(معنى لا ضرر : لا يدخل على أحد ضرراً لم يُدخله على نفسه ، ومعنى لا ضرار لا يُضار أحدٌ بأحد ، وقيل : الضرر الذي لك فيه منفعة ، وعلى جارك فيه مضرّة ، والضرار الذي ليس لك فيه منفعة ، وعلى جارك فيه المضرة)(٤) .

ـ فالمرأة عندما تعمل دون ضوابط شرعية تجلب منفعة لنفسها لا تتناسب مع المضرّة التي تلحقها بغيرها على أحسن وجه ، وربما تجلب من جرَّاء عملها الضرر ، والمضرّة

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة ، رقم (٤٩٣٤) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية ، رقم (٢١٧٢) ، وكلاهما عن عقبة بن عامر .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب الجهاد والسير ، باب من اكتتب في الجهاد ، رقم (٢٨٤٤) ؛ **وصحيح مسلم** ، كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم ، رقم (١٣٤١) ، وكلاهما عن ابن عباس .

(٣) **مسند أحمد** ، كتاب مسند الهاشميين ، باب مسند ابن عباس ، رقم (٢٨٦٧) ، (١/ ٣١٣) ؛ **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، كتاب العين ، باب أحاديث ابن عباس ، رقم (١١٨٠٦) ، وكلاهما عن ابن عباس ، وقال شعيب الأرنؤوط : حسن .

(٤) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، ابن عبد البر ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ) ، (٢٠/ ١٥٨) .

والضِّرار لها ولغيرها ، إذا لم تراعِ الضوابط الشرعية التي وضعها العلماء المعتبَرون .

٤ـ أن يتوافق عملها ، وطبيعتها الأنثوية :

فقد أثبتت الدراسات الطبية أن كيان المرأة النفسي ، والجسدي الذي خلقه الله تعالى على هيئةٍ تخالف تكوين الرجل ، وقد بُني جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفتها الأمومة ملائمة كاملة ، كما أن نفسيتها قد هُيِّئت لتكون ربة أسرة ، وسيدة بيت وسكناً للزوج والأولاد ، وقد كان لخروج المرأة إلى العمل وتركها بيتها ، وأسرتها نتائج فادحة في كل مجال .

ولعل خير عمل تعمل به المرأة هي رعاية بيتها ، وأولادها وزوجها ، كما يمكن أن تعمل في هذه المجالات ضمن الضوابط التي أوردها علماء الأمة المعتبرون :

أـ في مجال الدعوة إلى الله تعالى : كداعيات ومعلمات يعلِّمن النساء أحكام الشريعة الإسلامية بكافة أصولها ، وفروعها في المدارس ، والمعاهد والجامعات وللحصول على أعلى الشهادات العلمية والتعليمية المعتبرة .

ب ـ لمعالجة وتطبيب النساء من الأمراض ، والحمل والولادة وغيرها .

جـ ـ مجال العلم ، والتعليم العام : كأن تعمل مدرِّسة للبنات ، فتعلمهن كافة علوم العصر الحديثة التي يحتَجْنَها في حياتهن لأجل مجتمعهن مع مراعاة الضوابط الشرعية .

عن الشفاء بنت عبد الله قالت : « دخل عليّ رسول الله ﷺ ، وأنا عند حفصة ، فقال لي : ألا تعلِّمين هذه رُقْيَةَ النملة ـ النملة قروح تخرج في الجنبين ـ كما علمتيها الكتابة »[(١)].

ويذكر التاريخ لنا أمثلة كثيرة من هؤلاء الفقيهات العالمات الأديبات . .

د ـ في مجال الشؤون البيتية : كأن تعمل في خياطة وتفصيل الألبسة النسائية والولادية ، وغيرها من المهارات اليدوية المشابهة .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : « كانت ابنة الرسول ﷺ ، وكانت من أكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرَّت بالرحى حتى أثَّر الرحى بيدها ، وأسقت بالقُربة

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقي رقم (٣٨٧٨) ؛ ومسند أحمد ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث الشفاء بنت عبد الله ، رقم (٢٧١٤٠) ، وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الشيخين .

حتى أثَّرت بنحرها ، وقَمَّت ـ أي كنست ـ البيت حتى اغبرَّت ثيابها ، وأوقدت تحت القِدر حتى دنَّست ثيابها ، فأصابها من ذلك ضرر »[1] .

وقد كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تعمل في خدمة بيتها وزوجها الزُّبيِر بن العوام ، حتى طلبت من أبيها الصدِّيق خادماً يكفيها سياسة فرس الزبير ، فلما أعطاها خادماً أحسَّت وكأنه أعتقها ، قالت رضي الله عنها : « تزوجني الزبير بن العوام وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدقُّ النوى لناضحه فأعلفه ، وأسقي الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن ولم أكن أحسن الخبز ، فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكنَّ نسوة صدق ، وكنت أنقل النَّوى من أرض الزُّبير التي أقطعه رسول ﷺ على رأسي وهي على ثلثي فرسخ ، قالت فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت النبي ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني وقال : أخ أخ ليحملني خلفه فاستحييت وعرفت غيرته (أي الزبير) فعرف رسول ﷺ أني قد استحييت فمضى ، فجئت الزبير فقلت : لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك ، فقال : والله لحملك النوى على رأسك أشد عليَّ من ركوبك معه ، حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني »[2] .

ولم يكن ذلك العمل المجهد الذي تقوم به الزوجة قاصراً على فاطمة بنت محمد صلوات الله عليه ولا على أسماء بنت أبي بكر ، وإنما كانت نساء النبي ﷺ وبناته ونساء المهاجرين والأنصار وأكثر المسلمين يعملن ذلك العمل الشاقَّ ، فلم تكن المرأة عاطلة خاملة ، وأنى لها أن تكون وهي ربَّة البيت وسيدة الأسرة وأمامها أعمال جليلة من حمل وولادة وإرضاع وتغذية للزوج وللأطفال وعناية بالأولاد وخدمة في المنزل ، ومساهمة في تحمُّل بعض تبعات الزوج من سقي الماء وحمل القُرَب على الأعناق ، وإدارة الرحى على الأيدي وسياسة الفرس وعلفه ، وحمل النوى من أرض الزوج .

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب الفضائل ، باب فضائل علي ، رقم (٣٥٠٢) ؛ و**صحيح مسلم** ، كتاب العلم ، باب التسبيح ، رقم (٢٧٢٨) .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب الغيرة ، رقم (٤٩٢٦) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب السلام ، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا دعت الحاجة ، رقم (٢١٨٢) ، عن أسماء بنت أبي بكر .

المطلب السادس : المرأة ووظائف الدولة

أباح الإسلام للمرأة كلَّ عمل شريف يؤفيد المجتمع الإنساني ، ومن هذه الأعمال الوظيفية التي تشمل : (السياسية ، الإدارية ، القضائية) ، فقد أباح الإسلام للمرأة العمل في السياسة واختلف في الإمامة أو الخلافة .

١ـ **السياسية** : وتشمل الإمامة أو الخلافة ، وعضوية المجلس التشريعي (مجلس الشعب ، والانتخابات) .

٢ـ **الإدارية** : تشمل الوزارة بنوعيها : التفويض والتنفيذ .

٣ـ **القضائية** : تشمل القضاء العادي والقضاء الإداري والنيابة العامة .

وإذا كان في الماضي قد اتفق العلماء على عدم جواز تولِّي المرأة للرئاسة لاشتراطهم الذكورة ووضعوا شروطاً في تولِّي المرأة غيرها من هذه المناصب ، وعندما استثنوا الإمامة لأن الإمام في الإسلام له وظيفتان ، الوظيفة الدنيوية وهي سياسة الأمور الدنيوية والوظيفة الدينية[(١)] ، وهي الإمامة في الصلاة والعبادات ، ولا تصحّ إمامة المرأة بالرجال ، ومن هنا كان التحريم ، ولكن في زماننا انفصل ذلك ، فأصبح رئيس الدولة هو رئيس للأمور التي يُصلح فيها شأن الشعب ، وأصبحت هناك قوانين ناظمة لعمله ، ومجالس مساعدة له ، وهذه السلطة الدنيوية هي مفصولة تماماً عن الوظيفة الدينية ، ولهذا يصح أن تكون المرأة رئيسة للدولة على هذه الحال .

والذين قالوا بحرمة إسناد مهامّ رئاسة الدولة إلى المرأة ، استندوا على حديث النبي ﷺ : « لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة »[(٢)] ، وهذا الحديث لابد من وقفة معه لأنه ذُكِر في معرض الحديث عن الأعداء وهم الروم ، عندما هلك الملك شيرويه الفارسي ، وتولى الملك من بعده ابنته بوران ، فالروم ليسوا مسلمين ، وذُكر هذا الحديث بحقهم ، لأنَّ من مهام الخليفة في الإسلام ، مهام دينية ومهام دنيوية ، أما المهام الدينية فهي مختصة بالرجال ، كإمامة المصلين ، وخُطَب الجمعة والأعياد ، كذلك إعلان حالة الحرب وقتال الأعداء وقيادة الجيوش ، والمرأة غير مكلفة بذلك ، اللهم إلا إذا دخل

---

(١) راجع ما كتب في المبحث الأول ، المطلب الثامن المعنوَن المرأة بلقيس ملكة سبأ ص ٤٨ وما بعدها .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي إلى كسرى ، رقم (٤١٦٣) ؛ **سنن الترمذي** ، كتاب الفتن ، باب منه ، رقم (٢٢٦٢) ، عن أبي بكرة .

العدو أرض المسلمين فوجب على الجميع صده ومحاربته ، ومن مهام المرأة إنجاب الأولاد وإرضاعهم وتربيتهم ، فيتعارض الحمل والولادة والرضاعة مع قتال الأعداء وما يترتب عليه ، ومن استقبال الوفود والسفراء .

وفي العصر الحديث أصبح القضاء وسياسة الدولة أمراً جماعياً لا فردياً ، وأصبح هناك قواعد في القضاء ومنهاج ، حتى رئيس الجمهورية أصبح هناك قواعد ناظمة لعمله ، مع مجالس مساعدة له ، ويقول الإمام الطبري : (إن الأصل هو أن كل من يستطيع الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إما خصصه الإجماع من الأمانة الكبرى ، أو رياسة الدولة ، فالمرأة كالرجل صالحة في الأصل لتولي الأحكام والفصل بين الناس ، وهو ذا حكم عام لا يخصصه إلا نصٌّ. . . وقد سبق الإمام أبو حنيفة الطبري ، فأجاز أن تكون المرأة قاضياً في الأحوال قياساً على شهادتها في الأموال)[1] ، وعندما نصّ فقهاء الإسلام على عدم تولي المرأة لرئاسة الدولة ، قالوا خوفاً إن كانت حاملاً أو مرضعاً ، فماذا تصنع في نفسها ورئيس الدولة الذي يجب أن يكون دائماً وفي كل الأحوال ساهراً على أمور دولته ، حتى أن من تولى المُلْك والرئاسة من النساء منذ أقدم العصور عند غير المسلمين هم معدودون على الأصابع ، وحتى في العصر الحديث فهذه الولايات المتحدة لم تتولّها امرأة إلى اليوم ، وبعض العلماء قالوا : أصبحت قوانين ناظمة لعمل رئيس الدولة ، وهو ليس بمفرده يحكم ، فإن تغيَّب فهناك نوّاب له ومجالس نظَّم القانون صلاحيتها ، فيمكن أن تُسيِّر شؤون البلاد ، فأصبحت الولاية ولايةً عامة وجماعية ، ولهذا استنتج بعض العلماء أن المرأة يجوز أن تتولى رئاسة الجمهورية[2] .

ولكن أن تتولى المرأة رئاسة الدولة ، فهذا فيه تحميل للمرأة فوق طاقتها وخصوصيتها ، وخاصة في هذه الظروف الصعبة والشديدة حتى على الرجال ، وما دون رئاسة الدولة يحقُّ للمرأة ممارسته ، مثل مبايعة الحاكم وانتمائها لمجلس الشورى أو النواب ، وأخذ رأيها ، فقد أخذ النبي ﷺ برأي أم سلمة رضي الله عنها يوم صلح الحديبية ، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها ، يؤخذ رأيها من الصحابة الكرام ، وكانت الصحابة تستشير النساء ، وقول الله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران ٣/ ١٥٩] ،

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد القرطبي ، (مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، د.ت) ، (١/ ١٢٦٧) .

(٢) المرأة في جميع الأديان والعصور ، محمد عبد المقصود ، ص (٨٠) ، بتصرف .

يشمل الذكور والإناث ، ومن منع ذلك وحرَّمه ليس معه دليل ، ومن احتجَّ بقوله تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء ٤/ ٣٤] ، فليس له علاقة بالشورى ، فالمرأة يحقُّ لها أن تمارس كل الوظائف ما دامت فيها الأهلية لذلك ومصلحة المجتمع تقتضي ذلك ، ومع تحلِّيها بالضوابط الدينية ومحافظتها على حقوق مَن بعهدتها ، وقد فصَّل البوطي في جواز تولي المرأة كل الوظائف ما عدا رئاسة الدولة لأن الرئيس كان خليفة لرسول الله ﷺ[1] ، (وإننا إذا استثنينا رئاسة الدولة التي كثيراً ما يعبَّر عنها بالخلافة عن رسول الله ﷺ ، فإن سائر المراتب والأنشطة السياسية الأخرى تُعدُّ في الشريعة الإسلامية مجالات متَّسعة لكلٍّ من الرجل والمرأة ، ونستطرد إلى ما يُقال ويُثار حول اشتراك المرأة في الانتخابات والمجالس النيابية وما يدخل في بابها فنقول ، إن هذا مما يتَّسق مع ما ذكرناه من أهليتها وحقوقها السياسية والاجتماعية واستقلال شخصيتها ، وكل هذا فإنها نصف المجتمع ، وكل ما يتقرر في هذه المجالس يتناولها كما يتناول الرجل على السواء ، فمن حقها أن يكون لها فيه رأي مثله)[2] .

إنّ دراسة الأحكام والمفاهيم الإسلامية وتحليلها جميعها تؤكِّد لنا أنّ الإسلام لم يحرِّم نوعاً من العمل ، أو العلم على المرأة ، بعد أن أباحه للرّجل ، فللمرأة أن تمارس أي عمل من الأعمال ، كالزراعة والصناعة والطب والهندسة والإدارة والوظائف السياسية ، والخياطة وقيادة الطائرة والسيارة والتعليم والتربية. . . الخ .

(فليس في الإسلام عمل إنتاجي ، أو خدمي مِحلّل للرّجل ، ومحرّم على المرأة ، فالكل في أحكام الشريعة سواء في ذلك ، إنّما الفرق بين الرّجل والمرأة في بعض الواجبات التي كلّف بها الرّجل ، أو المرأة ، أو في بعض الصلاحيّات التي بُنيت على أسس علمية روعي فيها التكوين النفسي والعضوي لكلٍّ منهما ، وضرورة تنظيم الحياة الاجتماعية وإدارتها .

فإنّ الأصل في الشريعة الإسلامية إباحة العمل ، بل إيجابه في بعض الأحيان ، إلاّ ما حرّم في الشريعة أو ما أدّى إلى الوقوع في المحرّم .

---

(١) **المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ، د . محمد سعيد رمضان البوطي** ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦ م) ، ص(٦٩) .

(٢) **المرأة في القرآن والسنة ، محمد عزة دروزة** ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٠ م) ص (٤٩) وما بعدها .

وإذا كانت هناك صيحات تحريم العمل من قِبَل البعض على المرأة ، فإنّ ذلك يحتاج إلى دليل ، وليس هناك من دليل شرعي يدلُّ على التحريم .

والتأمّل العلمي في تحليل العلماء للواجبات ، وتقسيمها إلى واجب عيني وكفائي ، يتّضح لنا من خلال دراسة الواجب الكفائي أنّ النظام الإسلامي أوجب على الأفراد من غير أن يحدِّد جنس الفرد ، رجلاً كان أو امرأة ، أوجب عليهم توفير حاجة المجتمع بشتّى صنوفها بشكل جماعي ؛ كالطب والهندسة والتعليم والزراعة والتجارة والنقل والأمن وغيرها من الأعمال التي يحتاجها المجتمع ، بل ويتحوّل الواجب الكفائي إلى واجب عيني على الفرد ، أو الأفراد الذين تنحصر فيهم القدرة على أداء ذلك الواجب ، وبغضّ النظر عن جنس الرّجل أو المرأة .

من ذلك نفهم أنّ تقسيم العمل الوظيفي في المجتمع ، وأداءه يقوم على أساسين : شخصيّ وجماعيّ ، وفي كلتا الحالتين لم يفرّق الإسلام بين الرّجل والمرأة ، بل في مجال بعض الواجبات الكفائية ، كواجب الطب والتعليم النسويّين مثلاً يتوجّه الوجوب فيهما إلى الجنس النسويّ)[١] .

وهناك بعض المجالات لا تصلح لها إلا المرأة ، فيمكن للمجتمع الاستفادة من هذه الإمكانيات الخاصة للمرأة ، كما في التمريض وبعض الأمور الدقيقة التي تحتاج إلى الصبر والدقة والإبداع .

المطلب السابع : المرأة وحقها في مبايعتها للنبي ﷺ

جعل الله تعالى للمرأة حقاً مثل الرجل في مبايعتها للنبي ﷺ والقيام بحدود الشريعة وأحكامها ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة ٦٠/ ١٢] ، فهذه البيعة فيها فضائل الأخلاق وتركز على عدم الإشراك بالله أحداً ، عدم السرقة ، عدم الزنى ، عدم قتل الأولاد ، عدم معصية الرسول وإطاعة الرسول .

---

(١) المرأة بين الشرع والقانون ، محمد مهدي الحجوي ، (مطابع دار الكتاب ، المغرب ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧م) ، ص (٣٩) .

والبيعة : تعني (المبايعة أي يحلف بها عند المبايعة والأمر المهم ، وكانت البيعة على عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين بالمصافحة للذكور)[١] .

ورد أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : (كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يُمتحَنَّ بقول الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ . . . ﴾ إلى آخر الآية ، قالت عائشة : فمن أقرَّ بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة[٢] فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن : انطلقن فقد بايعتكن)[٣] .

وقد ورد في السنة النبوية الشريفة مبايعة النبي ﷺ للنساء ، ومن هذه البيعة ، ما كان بين هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقت المبايعة ، وكيف كان الحوار بينها وبين رسول الله بصراحة ؛ قال ﷺ : « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، قالت هند : وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله في الرجال ! فقال عليه السلام : ولا تسرقن ، فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح ، إني أصبت من ماله هُناة فما أدري أتحلُّ لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان وكان حاضراً : ما أصبت في شيء فيما مضى فهو لك حلال ، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها ، فقال لها : وإنك لهند بنت عتبة ، قالت : نعم ، فاعفُ عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك ، فقال عليه السلام : ولا تزنين ، فقالت : أو تزني الحرة ؟ فقال : ولا تقتلن أولادكن ، فقالت : ربيناهم صغاراً وقتلتَهم كباراً فأنت وهم أعلم ـ تشير إلى مقتل ابنها حنظلة ، وكان قتل يوم بدر ـ فضحك عمر حتى استلقى على ظهره ، وتبسَّم رسول الله ﷺ فقال : ولا تأتين ببهتان ، فقالت : إن البهتان لأمر قبيح ، وما تأمر إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ، فقال : ولا تعصينني في معروف ، فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء »[٤] .

وجاء أن النساء اجتمعن مرة وقلن للرسول ﷺ : « غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا

---

(١) **المطلع على أبواب المقنع** ، **محمد بن أبي الفتح البعلي** ، تحقيق : محمد بشير الأدلبي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص (١/ ٢٨٢) .

(٢) أي حصل له الامتحان بصدق الإيمان وبايع البيعة الشرعية .

(٣) **صحيح البخاري** ، كتاب الطلاق ، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية ، رقم (٤٩٨٣) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الإمارة ، باب كيفية بيعة النساء ، رقم (١٨٦٦) ، عن السيدة عائشة زوج النبي ﷺ .

(٤) **مسند أبي يعلى** ، **أحمد بن علي أبو يعلى** ، مسند عائشة ، رقم (٤٧٥٤) ، عن عائشة ، وقال حسين سليم أسد إسناده ضعيف ؛ **البداية والنهاية** ، ابن كثير ، (مكتبة المعارف ، بيروت ، د .ت) ، (٤/ ٣١٩) .

يوماً من لقاء نفسك ، فواعدَهن يوماً لقيَهن فيه ، فوعظهن وأمرهن »[1] .

وعن أميمة بنت رقيقة[2] قالت : « بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا : « فيما استطعتن وأطقتن » ، قلت : الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا ، قلت يا رسول الله : بايعنا ـ صافحنا ـ فقال رسول الله ﷺ : « إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة »[3] .

وعن أم عطية قالت : لما أردت أن أبايع رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله « إن امرأة أسعدتني في الجاهلية فأذهب فأُسعدها ثم أجيئك فأبايعك ، قال : اذهبي فأسعديها ، قالت : فذهبت فساعدتها ثم جئت فبايعت رسول الله ﷺ »[4] ، وعنها أيضاً ـ أم عطية ـ قالت : « أخذ علينا رسول الله ﷺ البيعة على أن لا ننوح »[5] .

وعن عائشة قالت : « جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي ﷺ فأخذ عليها أن (لا يسرقن ولا يزنين) قالت : فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجب النبيَّ ﷺ ما رأى منها ، فقالت لها عائشة : أقرِّي أيتها المرأة ، فوالله ما بايعنا رسول الله ﷺ إلا على هذا ، قالت : فنعم إذاً ، فبايعها »[6] .

وعن أنس : « أن رسول الله ﷺ أخذ على النساء حين بايعهن ، أن لا يَنُحن ، فقلن : يا رسول الله ، إن نساء أسعدننا ـ ناحت معنا ـ في الجاهلية ، أفنسعدهن ،

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب العلم ، باب هل يجعل للنساء يوم للعلم ، رقم (١٠١) ؛ **مسند الإمام أحمد** ، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، باب مسند أبي سعيد الخدري رقم (١١٣١٤) ، وكلاهما عن أبي سعيد الخدري .

(٢) أميمة بنت رقيقة بنت عبد الله بن بجاد بن عمير ، أمها رقيقة بنت خويلد ، أخت خديجة أم المؤمنين ، خالة فاطمة الزهراء ، عاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان وشهدت مرض وفاته ، وماتت بدمشق ، روت عنها ابنتها حكيمة ، ومحمد بن المنكدر ؛ **الإصابة** ، **ابن حجر** ، (٣/ ٤٤٢) ، **أسد الغابة** ، **ابن الأثير** ، (١/ ٣١٦) .

(٣) **سنن الترمذي** ، كتاب السير ، باب بيعة النساء ، رقم (١٥٩٧) ؛ **سنن النسائي** ، كتاب البيعة ، باب بيعة النساء ، رقم (٤١٨١) ، وكلاهما عن أميمة بنت رقيقة ، وقال الألباني : صحيح .

(٤) **سنن النسائي** ، كتاب البيعة ، باب بيعة النساء ، رقم (٤١٧٩) ،عن أم عطية ، وقال الألباني : صحيح الإسناد وانفرد به .

(٥) **صحيح البخاري** ، كتاب الجنائز ، باب ما ينهى من النوح والبكاء ، رقم (١٢٤٤) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، رقم (٩٣٦) ؛ **سنن النسائي** ، كتاب البيعة ، باب بيعة النساء ، رقم (٤١٨٠) ، عن أم عطية .

(٦) **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث عائشة ، رقم (٢٥٢١٦) ؛ **صحيح ابن حبان** ، كتاب السير ، باب بيعة الأئمة ، رقم (٤٥٥٤) ، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح .

فقال رسول الله ﷺ : لا إسعاد في الإسلام »[1] .

وعن عائشة بنت قدامة بن مظعون قالت : كنت مع أمي رائطة بنت سفيان امرأة من خزاعة والنبي ﷺ يبايعهن ويقول : « أبايعكن على أن لاتشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف ، قالت : فأطرقن ، فقال رسول الله ﷺ : قلن نعم فيما استطعتُنّه ، فقلن : نعم فيما استطعناه ، فكنت أقول كما يقلن ، وأمي تقول : قولي نعم فأقول نعم »[2] .

ويمكن أن نستخلص من هذه الروايات :

١ـ أن المرأة كانت تبايع الرسول ﷺ ، ولكن بدون مصافحة إذا لم تكن من محارمه .

٢ـ أن المرأة كانت وافدة النساء ، فكانت هناك زعامات للنساء .

٣ـ أن المرأة كانت تناقش الرسول ﷺ وتحاوره ، فهذه الحرية لا يحلم بها الرجال اليوم في أعظم دولة .

المطلب الثامن : الأزواج على ألسنة أزواجهم ، ووصية أم لابنتها

أولاً ـ قصة أبي زرع وأم زرع :

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « فَخُرْتُ بِمَالِ أَبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ قَدْرَ أَلْفِ أَلْفِ أُوقِيَّةٍ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : اسْكُتِي يَا عَائِشَةُ ، فَإِنِّي كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ »[3] ، . . . . وقيل : سبب الحديث أن عائشة وفاطمة جرى بينهما كلام ، فدخل رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتي ، إن مثلي ومثلك كأبي زرع مع أم زرع ، فقالت : يا رسول الله حدثنا عنهما ، فقال : كانت قرية فيها إحدى عشرة

---

(١) **سنن النسائي** ، كتاب الجنازة ، باب النياحة على الميت ، رقم (١٨٥٢) ؛ **صحيح ابن حبان** ، كتاب الجنائز ، باب المريض وما يتعلق منه ، رقم (٣١٤٦) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٢) **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ،باب حديث رائطة ، رقم (٢٧١٠٧) ؛ **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، كتاب مسند النساء ، باب رائطة بنت سفيان الخزاعية ، رقم (٦٦٣) ، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره ، وكلاهما عن عائشة بنت قدامة .

(٣) **سنن النسائي الكبرى** ، **أحمد بن شعيب** ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري وآخرون ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م) ، كتاب عِشرة النساء ، باب شكر المرأة لزوجها ، رقم (٩١٣٩) ، **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، باب ذكر أزواج النبي ﷺ ، رقم (٢٧٢) ، **مجمع الزوائد** ، **الهيثمي** ، كتاب النكاح ، باب عشرة النساء ، رقم (٧٦٨٧) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال : رجاله رجال الصحيح .

امرأة ، وكان الرجال خلوفاً ، فقلن : تعالَين نتذاكر أزواجنا بما فيهم ولا نكذب. . . وقيل إن هذه القرية كانت باليمن ، وقيل : إنهنّ كنَّ بمكة في الجاهلية .

روت السيدة عائشة رضي الله عنها ، قصة إحدى عشرة امرأة ، اجتمعن في دار واحدة منهن ، وتعاهدن على أن يذكرنَ ما في أزواجهنَ من صفات حميدة أو ذميمة ، وأخذت كل واحدة تكشف الستر عن زوجها ، وتتحدث عن أخلاقه وطباعه ، ومعاملته لها ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : « جَلَسَت إِحْدى عَشْرَةَ امْرَأَةً ، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لاَ يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئَاً :

قَالَتِ الأُولَى : زَوْجِي لَحْم جَمَلٍ غَثٌّ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وعَرٍ ، لاَ سَهْلٍ فَيُرْتَقى ، وَلاَ سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ[1] .

قَالَتِ الثَّانِيَةُ : زَوْجِي لاَ أَبُثُّ خَبَرَه ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لاَ أَذَرَهُ ، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ[2] .

قَالَتِ الثَّالِثَةُ : زَوْجِي الْعَشَنَّقُ ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ ، وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ[3] .

قَالَتِ الرَّابِعَةُ : زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ ، لاَ حَرٌّ وَلاَ قَرٌّ ، وَلاَ مَخَافَةٌ وَلاَ سَآمَةٌ[4] .

قَالَتِ الْخَامِسَةُ : زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ ، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ[5] .

---

(١) تريد أنه سيِّء لا خير فيه، فشبهت زوجها بلحم الجمل الهزيل، على رأس جبل صعب المرتقى لا يصل إليه الإنسان إلا بمشقة زائدة ، فلا اللحم سمين جيد حتى يسعى إليه الإنسان ، ولا الجبل سهل حتى يرقى إليه الطالب، ويتجشم المتاعب والصعاب، فإنها تصف زوجها بقلة خيره، وبعده عن الخير، مع سوء الخلق.

(٢) تريد أنه كثير العيوب الظاهرة والباطنة ، وسيِّئ لا خير فيه ، والعُجَرُ والبُجَرُ كناية عن العيوب الظاهرة والباطنة ، فعيوبه أكثر من أن تحصى ، ومهما تحدثت عن عيوبه أخشى أن لا أنتهي منها قبائحه ومعايبه .

(٣) زوجها مفرط الطول ، أحمق ، إن ذكرت له بعض عيوبه طلقها ، وإن سكتت عن سفاهته وحمقه علقها فتركها لا عزباء ولا متزوجة .

(٤) تمدح زوجها بحسن العشرة ، وكرم الأخلاق ، فهو لليالي تهامة اللطيفة المعتدلة التي ليس فيها حرٌّ ولا برد ، كذلك أخلاقه حسنة ، ومعاملته طيبة ، وصفت زوجها بجميل العشرة ، واعتدال الحال ، وسلامة الباطن ، وتقول : ليس بسيِّئ الخلق فأسأم من عشرته ، فأنا لذيذة العيش عنده ، كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل .

(٥) تصف زوجها بالرجولة والشجاعة ، فهو كالفهد ، والفهد يوصف بالحياء وقلة الشر مع زوجته ، وكثرة النوم ، فهي وصفته بالغفلة عند دخول البيت مدحاً ، وهو كالأسد عند ملاقاة الأعداء ، ولكنه مهملٌ لحقّ أهله ، لا يسأل عن حالهم ، ولا يتفقد شؤونهم ، فهو من هذه الناحية مقصر ، فتمدحه من جهة وتذمه من جهة .

قَالَتِ السَّادِسَةُ : زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ ، وَإِنِ اضطَجَعَ الْتَفَّ ، وَلاَ يُولِجُ الْكَفَّ ، لِيَعْلَمَ الْبَثَّ[1] .

قَالَتِ السَّابِعَةُ : زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ ، طَبَاقَاءُ ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ ، شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ ، أَوْ جَمَعَ كُلاًّ لَكِ[2] .

قَالَتِ الثَّامِنَةُ : زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ ، وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ[3] .

قَالَتِ التَّاسِعَةُ : زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ ، طَوِيلُ النِّجَادِ ، عَظِيمُ الرَّمَادِ ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ[4] .

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ : زَوْجِي مَالِكٌ ، وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذلِكَ ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ ، قَلِيلاَتُ الْمَسَارِحِ ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ[5] .

قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ ؟ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ ، وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي ، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ[6] .

---

(١) تصف زوجها بأنه أكول فهو شره ، لا يبقي شيئاً من طعام ، ولا شيئاً من شراب ، وإذا نام اضطجع ملتفاً بكسائه معرضاً عن أهله ، ولا يمدُّ يده إلى زوجته ليعلم ما تقاسيه من مرض أو حزنٍ وكآبة .

(٢) تصف زوجها بالسَّفه والحماقة ، وسوء الأقوال والأفعال ، فهو عيُّ اللسان غير فصيح ، لا يعرف أن يتكلم ، أو غيٌّ كأنه في ظلم من أمره ، وهو سيِّئ في الطباع ، وهو في منتهى القبح والشناعة ، ومن حيث معاملته لزوجته ، فأشنع وأبشع ، فهو مع كثرة الأمراض والعلل ، سيِّئ المعاملة لأهله ، يضربها الضربة ، فإما أن يُشجَّها أو يكسرها ، أو يجمع لها بين الشجِّ والكسر .

(٣) تمدح زوجها أنه لين الخلق ، حسن العشرة ، ورائحته كرائحة الزرنب ، وهو نبات طِيِّبٌ ، فحديثه طيب ، وطباعه حلوة كالأرنب ، ولينة كملمس الأرنب .

(٤) تمدح زوجها بأنه رفيع الحسب ، عريض الجاه ، كثير السخاء والكرم ، فهو عالي الجاه والمنزلة ، وسخيٌّ كريم ، وكثير الأضياف ، لأن كثرة الرماد تدل على كثرة النار ، وكثرة النار تدل على كثرة الطعام ، وكثرة الطعام تدلُّ على كثرة الضيوف ، وبيته قريب من أهل حيِّه ، فليس ببعيد .

(٥) تثني على زوجها ، وأنه خير من جميع الأزواج ، الذين سمعت أخبارهم ، وأنه غنيٌّ كثير المال ، كثير الضيوف ، لا يتوانى عن الذبح لأضيافه ، فإبله كثيرات بفناء داره ، معدَّة للأضياف ، فلا تبتعد عن البيت لأنها معدة للذبح للأضياف تكريماً لهم ، وقد اعتادت هذه الإبل عند سماع الملاهي والمِزْهَر أن توقن بالهلاك وهو النحر ، ليقدم لحمها طعاماً لضيوفه ، وهذا غاية الكرم .

(٦) تمدح زوجها بأنه فوق الأزواج ، حلاّني بأنواع الزينة التي تعلقت بأذنيَّ ، وأطعمها كل ما تشتهي ، وأغدق=

أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ؟ عُكُومُهَا رَدَاحٌ ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ[١] .

ابْنُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا ابْنُ أبي زَرْعٍ ؟ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ ، وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ[٢] .

بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ؟ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا ، وَمِلْءُ كِسَائِهَا ، وَغَيْظُ جَارَتِهَا[٣] .

جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ؟ لاَ تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثاً ، وَلاَ تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثاً ، وَلاَ تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشاً[٤] .

قَالَتْ : خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا ، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلاً سَرِياً ، رَكِبَ شَرِياً ، وَأَخَذَ خَطِّياً ، وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِياً ، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ : كُلِي أُمَّ زَرْعٍ ، وَمِيرِي أَهْلَكِ ، قَالَتْ : فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ[٥] .

= عليها جميع أنواع النعم ، وسرَّني وفرَّحني بحسن معاملته ، فعظمت نفسي في عيني ، وجدني في أهلِ فقراء ، ليس لهم من الغنم إلا القليل ، فجعلني في أهل الثراء ، مع الخيل التي تصهل ، ومع الإبل ، والزرع ، والخدم ، والدجاج ، والوز ، وسائر النعم ، فإذا تحدثت عنده لم يقبِّحْ قولي ، وإذا نمت لا يزعجني أحد حتى أستيقظ عند الصباح ، وإذا شربت أرتوي من الشرب ، لأنها في بيت كريمٍ ، ومع رجل فاضل يدللها ويريد لها السعادة والهناءة .

(١) تتحدث عن أم أبي زرع ، حقيبتها كبيرة ، وبيتها فسيحٌ ، وهي تمدحها مع ما جُبل عليه النساء من كراهية أم الزوج .

(٢) ابن أبي زرع ، كسيف سل من غمده ، كناية عن شبابه وحركته ونضارته وخفته ودقة خصره ، أو مضجعه الذي ينام فيه ، وهو صغيرٌ كشطبةٍ مسْلُوكةٍ من جريد النخل ، وهي السعفة ، فابن زوجها خفيف الوطأة عليها ، فإذا دخل بيتها وقت القيلولة مثلاً لم يضطجع إلا قدر ما يسل السيف من غمده ، وأنه لا يحتاج طعاماً من عندها ، فلو طعم لاكتفى باليسير الذي يسد الرمق من المأكول أو المشروب ، فهو ظريف لطيف .

(٣) بنت أبي زرع ، مطيعة بارة بأمها وأبيها مملوءة الكساء كناية عن جمال جسمها وتغيظ جارتها لما عليها من نعم وخير .

(٤) جارية أبي زرع ، كتومة الحديث ، لا تفشي سراً ولا تنشر كلامنا ، وتحسن صنع الطعام ، ولا تذهبه بالسرقة أو الضياع ، مهتمة بالبيت ، وبتنظيمه وتنظيفه .

(٥) ولكن الأيام لم تبق على حالها ، والسعادة لم تدم لها ، فقد خرج زوجها ذات يوم من أيام الربيع ، والناس يستخرجون الزبد من الحليب ، فرأى امرأة جميلة ، معها ولدان يشبهان البدر في الجمال ، والفهد في الحيوية والنشاط ، يلعبان بثديي أمهما ، اللذين يشبهان الرمانتين ، فطلقني ونكحها ، تقول : فتزوجت=

قَالَتْ عَائِشَةُ : فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ ، لكني لا أطلِّق النساء »[1] .

وفي رواية قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « يا رسول الله أنت خير لي من أبي زرع »[2] .

ويمكن استخلاص العديد من الأحكام من هذا الحديث ، منها :

ـ جواز إخبار الرجل زوجته وأهله بصورة حاله معهم ، وحسن صحبته إياهم وإحسانه إليهم ، وتذكيرهم بذلك كما فعل الرسول ﷺ مع عائشة رضي الله عنها .

ـ وجواز تحديث النساء بهذا الحديث منفعة في الحض على الوفاء للزوج ، كما في كلام أم زرع ، والصبر على الأزواج كما في حديث غيرها .

ـ وفيه جواز الإخبار عن الأمم الماضية ، بما فيه منفعة وخير .

ـ وفيه أنَّ المحبة تستر الإساءة ، لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه إلى أن بلغت حد الإفراط والغلو ، فالطلاق لم يمنعها أن تذكر محاسنه وتبالغ بها .

ـ وفي الحديث أن ذكر مساوىء من ليس بمعروف عند المتكلم والسامع لا يسمى غيبة .

ـ والحديث ذكر الأخلاق والطباع ، ونهى الرسول ﷺ عن وصف المرأة في خلقتها

= رجلاً شهماً شريفاً ، فارساً ، يضرب بالرمح ، وهو كريم لا يبخل عليها بشيء ، وأعطاها كل أنواع النَّعم ، من الإبل والبقر والغنم ، وقال لها : تمتعي وكلي ، وأعطي أهلك ما تشائين من أنواع الخيرات ، تقول : فلو جمعت كل شيء أعطانيه هذا الزوج الثاني ما بلغ أصغر آنية من أواني أبي زرع ، لحبها لزوجها الأول .

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ، رقم (٥١٨٩) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب فضائل الصحابة ، باب حديث أم زرع ، رقم (٦٤٥٨) ، ما عدا (لكني لا أطلق النساء) ، **كنز العمال** ، **المتقي الهندي علي بن حسام** ، رقم (٤٤٩٣٩) ، (١٦/ ٤٥٥) ، وكلها عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) **سنن النسائي الكبرى** ، كتاب عِشرة النساء ، باب شكر المرأة لزوجها ، رقم (٩١٣٩) ، **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، باب ذكر أزواج النبي ﷺ ، رقم (٢٧٢) ، **مجمع الزوائد** ، **الهيثمي** ، كتاب النكاح ، باب عشرة النساء ، رقم (٧٦٨٧) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال : رجاله رجال الصحيح .

وحسنها لزوجها أو محارمها أو لغيرهم ، ففي الحديث : « لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها »[1] .

ثانياً ـ وصيةِ أم لابنتها :

عندما تزوّج عمرو بن حُجر ابنة عوف بن محلم الشيباني ابنته أمَّ إياس. . . فلما كان بناؤه خلت بها أمها وأوصتها قائلةً : (أي بنيَّةَ ، إنك فارقتِ بيتك الذي منه خرجتِ ، وعُشَّك الذي فيه دَرجْتِ ، إلى رجلٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فكوني له أمةً ، يكن لك عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً ، أما الأولى والثانية : فالخشوعُ له بالقناعةِ ، وحسنُ السمعِ له والطاعةِ ، وأما الثالثة والرابعة : فالتفقدُ لموضعِ عينِه وأنفِه ، فلا تقع عينُه منك على قبيحٍ ، ولايشمُّ منك إلا أطيب ريحٍ .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقدُ لوقتِ منامِه وطعامِه ، فإن حرارةَ الجوعِ ملْهبةٌ ، وتنغيصَ النومِ مغضبةٌ .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظُ بماله ، والإرعاءُ ـ الحفاظ والرعاية ـ على حشمِه وعيالِه ، وملاكُ الأمر في المال حُسْنُ التقديرِ ، وفي العيال حُسْنُ التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تَعصِينَّ له أمراً ، ولا تُفْشِنَّ له سراً ، فإنك إن خالفت أمرَه أوغَرتِ صدره ـ أوقدت صدره من الغيظ ـ وإن أفشيتَ سرَّه لم تأمني غدرَه ، ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً ـ مهموماً ـ والكآبةَ بين يديه إذا كان فرحاً)[2] .

* * *

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا تباشر المرأة المرأة ، رقم (٤٩٤٢) ؛ سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب فيما يؤمر من غض البصر ، رقم (٢١٥٠) ، عن عبد الله بن مسعود .

(٢) العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨) ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩م) ، (٧/ ٨١ـ٨٢) .

المبحث الخامس

المرأة في بيت النبوة

المطلب الأول : شهادة زوجات الرسول به .

المطلب الثاني : تكريم الله ورسوله لزوجات الرسول .

المطلب الثالث : عدد زوجات الرسول .

المطلب الرابع : الحكمة من هذا التعدد .

المطلب الخامس : الحكمة من أن النبي لم يخلّف ذكوراً .

المطلب السادس : زوجات النبي ﷺ .





المبحث الخامس
المرأة في بيت النبوة

المطلب الأول : شهادة زوجات الرسول به

إذا أراد العاقل أن يعرف عظمة الرجال فليبحث عن معاملتهم لأهل بيئتهم ، وممارستهم لحياتهم البشرية البيتية ، ولقد كان الرسول ﷺ الأسوة الحسنة للبشرية كما وصفه الله تعالى ، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٢١] .

لقد اختار سبحانه وتعالى زوجات الرسول ﷺ ، وخصَّه بأكثر من أربعة ، ليشهدن أخلاق الرسول ﷺ ومعاملته مع أهل بيته ، ليحدثنَ بها الناس ، وليسجّلنَ تاريخ الدعوة ومسيرتها ، وقد أجمعنَ مع كثرتهن على أنه بلغ الذروة للبشرية في الأسوة الحسنة ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٦٨/ ٤] ، أجمع أهل بيته على ذلك مع اختلاف انتماءاتهم القبلية والدينية ، فمنهم ابنة أحبِّ الناس إليه ، ومنهم ابنة أعدى الناس إليه ، منهم القرشية والهاشمية واليهودية والنصرانية ، والعربية والقبطية ، الحضرية والأعرابية ، الصغيرة والكبيرة ، البكر والثيب ، الأرملة واليائس ، من كانت بالأمس عدوّة للرسول ، فغدت بعد المعركة زوجة للرسول ، أجمعن كلهن بلا استثناء ولا شذوذ وبلا خوف أو استحياء ، أنه خير الرجال لأهله ، وأنه على خلق عظيم ، لقد تركت سيرة الرسول ﷺ مثلاً أعلى لمعاملة المسلم لزوجته وأهل بيته وخَدَمه ، ومثلاً أعلى للعدل بين الزوجات وللتعليم والتأديب ، وكنّ سجلاً لحياة الرسول في بيته ، وتعامله مع أهل بيته وخَدَمه ، وهذا لا يستطيع نقله إلا خَدَمه ، وتشريعاً لمعاملة الزوج لزوجته وأهل بيته في جوٍّ من الضرائر ، وما أدراك ما الضرائر اللاتي يجمعن الغيرة وعاطفة الحب والغضب ، والمنع والعطاء والتضحية والأَثَرة ، لقد كانت زوجات الرسول بحقٍّ أمهات المؤمنين ، كنَّ كتاباً يحفظن به أمانة الوحي وسيرة الرسول ﷺ ، وكان لهن دور هام في نشر العلم بصفة عامة ، ونقل الأحكام الخاصة بالنساء على وجه الخصوص ، لقد رَوينَ عن

النبي ﷺ (أكثر من ألف وخمس مئة حديث ، منها أكثر من ألف ومئتين من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها ، فلقد جاء عن الصحابة : (ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديث قط ، فسألناه عائشة إلا وجدنا عندها علماً)[(١)] ، واقتصرت رواية السيدة أم سلمة على حوالي مئتي حديث ، تلتها في الكثرة السيدة ميمونة ، وقد روت اثنين وثلاثين حديثاً ، والسيدة حفصة سبعة وعشرين حديثاً ، والسيدة أم حبيبة ستة وعشرين حديثاً ، والسيدة زينب بنت جحش أحد عشر حديثاً ، والسيدتان صفية بنت حيي ، وجويرية بنت الحارث ولكل منهما ثمانية أحاديث ، وأخيراً تأتي السيدة سودة ولها ستة أحاديث ، ولهذه الإحصائية دلالتها على نشاط أمهات المؤمنين واجتهادهن في رواية أحوال البيت الذي عَمَرْنَه ، وحملن أمانته ، ومنهن من لم ترو حرفاً واحداً كالسيدة مارية القبطية نظراً إلى جهلها باللسان العربي في رأينا ، فأما السيدة زينب بنت خزيمة ، فقد ماتت مبكرة في حياة رسول الله ﷺ في العام الرابع للهجرة ، ومثلها السيدة ريحانة بنت زيد التي ماتت عند عودة الرسول من حجة الوداع آخر العام العاشر للهجرة ، وطبيعي ألا يأتي اسم السيدة خديجة بين الروايات لموتها في العام العاشر للبعثة)[(٢)] .

المطلب الثاني : تكريم الله ورسوله لزوجات الرسول

لقد خص الله تعالى زوجات النبي ﷺ ، بآيات تتلى إلى يوم القيامة ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة ، رقم (٤٢٥٧) ، انفرد به الترمذي عن أبي موسى الأشعري ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) موسوعة أمهات المؤمنين ، د . عبد الصبور شاهين ، إصلاح عبد السلام الرفاعي ، (الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١) ، ص (١٠ـ١١) .

﴿ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٢٨ـ٣٤] .

هذه الآيات تبيّن مكانة نساء النبي رضي الله عنهن ، وعِظَم قدرهنّ ، وتميّزهن عن باقي نساء الأرض ، وتُعلي من شأنهن ، وتضعهن أمام مسؤولية كبيرة ، ففي مستهلّ الآيات خطاب للنبي ﷺ أن قُل لزوجاتك اللاتي تأذّيت منهن بسبب سؤالهن إياك الزيادة في النفقة ، إن رغبتنّ في سعة الدنيا ونعيمها وبهرجها الزائل فتعالين حتى أدفع لكنَّ متعة الطلاق وأطلقكُنَّ طلاقاً من غير ضرار ، وإن كنتُنَّ ترغبن في رضوان الله ورسوله والفوز بالنعيم الوافر في الدار الآخرة ، فإن الله تعالى قد هيّأ للمحسنات منكنّ بمقابلة إحسانهن ثواباً كبيراً لا يوصف في الجنة ، ثم من تفعل منكنَّ كبيرة من الكبائر أو ذنباً تجاوز الحد في القبح ، أو نشزت ، أو أبدت سوء خلق فسيكون جزاؤها ضعف جزاء غيرها من النساء ، وكان ذلك العقاب سهلاً يسيراً على الله ، فهذه الآيات تُظهر فضل نساء النبي ﷺ وعِظم قدرهن عند الله ، لأن العتاب أو التشديد في الخطاب مشعرٌ برفعة رتبتهنّ ، لشدة قربهنَّ من رسول الله ﷺ ، ولأنهن أزواجه في الجنة ، ثم تحدَّث عن ثوابهن عند طاعة الله ورسوله وعملهنَّ الصالح ، فيكون ثوابهنَّ مضاعفاً ، لأنهن يختلفن ويتميزن عن نساء العالمين إن اتقَينَ الله تعالى ، وطالما هذه مكانتهن فيوجَّه الخطاب لهن بأن لا يترقق الكلام عند مخاطبة الرجال فيطمع الذي في قلبه مرض من فجور وريبة ، وقلن قولاً حسناً عفيفاً لا ريب فيه ، والزَمْنَ بيوتكن ، ولا تخرجن لغير حاجة ، ولا تُظهرن زينتكن ومحاسنكنّ للأجانب مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن ، وحافظْن على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأطِعْن الله ورسوله ، إنما يريد الله أن يخلّصكن من دنَسِ المعاصي ، ويطهركنَّ من الآثام ، وأنتنَّ أهل بيت النبوة ، ويطهركنَّ تطهيراً من الذنوب والمعاصي ، واقرأن آيات القرآن ، واحفظن سنة النبي ﷺ ، وإن الله عليم بما يصلح لأمر عباده ، وخبير بمصالحهم ، ثم يخبر الله تعالى أن المرأة والرجل في الجزاء والثواب سواء .

وأهل بيت الرسول يشمل زوجات النبي ﷺ وبناته ، والحسن والحسين ، وسيدنا علياً ، على التخصيص وتأكيداً لذلك قول الله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه ٢٠/ ١٣٢] ، ويمكن أن يشملَ أهل البيت كل من ضمهم البيت النبوي على التخصيص ، ويمكن أن يدخل في عمومه أمتُه المؤمنة ، فالقرآن

الكريم يضع معياراً إيمانياً لثبوت الأهلية ، يقتصر على العمل الصالح ، فقد جاء في قصة نوح ، فقد قال : ﴿ . . . فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود ٤٥/١١] ، فقال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود ٤٦/١١] ، وزوجة لوط ليست من أهله ، كما قال تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود ٧٣/١١] ، ووردت إضافة كلمة أهل إلى غيرها لتفيد الاختصاص مثل « أهل الكتاب » ، « ومن أهل المدينة » ، « يا أهل يثرب » ، « أهل هذه القرية » ، « وأتوني بأهلكم أجمعين » ، « وهو أهل التقوى وأهل المغفرة » ، ومثل أهل كلمة آل ، مثل « آل يعقوب » ، « آل إبراهيم » ، « آل عمران » ، « آل هارون » ، « آل موسى » ، « آل لوط » ، « آل داود » ، كما جاءت عبارة « آل فرعون » ، وورد حديث عائشة « ما شبع آل محمد من طعام »[١] ، وفي الصلاة الإبراهيمية في التشهد : (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت) ، وورد في الحديث : « لا تحلُّ الصدقة لآل محمد »[٢] ، فأهل البيت أو آل البيت هم كلُّ من ضمَّهم بيت النبوة من أهله وآله وذوي قرباه ، ويمكن أن يُتوسَّع فيقال : كلُّ تقي يدخل في هذا المعنى ، مثل سلمان وبلال وغيرهم ، وحسبنا قول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود ٧٣/١١] ، وفي الحديث : « أنا جَدُّ كل تقي »[٣] ، و« سلمان منا آل البيت »[٤] ، وجاء في قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب ٦/٣٣] .

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب الأطعمة ، باب ما كان النبي وأصحابه يأكلون ، رقم (٥٤١٦) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حدثنا قتيبة ، رقم (٧٦٣٥) ، وكلاهما عن السيدة عائشة .

(٢) **موطأ الإمام مالك** ، كتاب الصدقة ، ما يكره من الصدقة ، رقم (١٨٥٦) ، وانفرد به الإمام مالك ، ومالك لا يروي إلا الصحيح .

(٣) **قال العجلوني في كشف الخفاء** : (طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨م) ، أنه لا يُعرف ، وقال السيوطي : لا أصل له (٢٠٣/١) .

(٤) **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، باب السين ، حديث سهل بن حنظلة ، رقم (٦٠٤٠) ؛ **المستدرك على الصحيحين** ، **الحاكم النيسابوري** ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر عبد الله بن عباس ، رقم (٦٥٤١) ، عن عمرو بن عوف المزني ، وقال الذهبي : سنده ضعيف .

المطلب الثالث : عدد زوجات الرسول

(لقد تزوّج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة زوجة في حياته ، غير أنه لم يجمع في وقت واحد أكثر من تسع زوجات ، وكانت الزوجة الأولى قبل البعثة السيدة خديجة بنت خويلد ، تزوّجها ﷺ وهو في سن الخامسة والعشرين ، وعاش معها حتى توفيت عام الحزن ، قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ولم يتزوج غيرها طوال حياتها ، ثم خطب السيدة سودة بنت زمعة ، ودخل بها في مكة قبل الهجرة ، وخطب السيدة عائشة ابنة صاحبه أبي بكر ، وأرجأ الدخول بها نظراً لصغر سنها ، ثم تزوجها بعد الهجرة في المدينة ، وتتابعت الزيجات من قرشيات وغير قرشيات ، مسلمات وكتابيات ، حتى بلغ عدد من بنى بهنَّ بعد الهجرة إحدى عشرة زوجة وسرية ـ الجارية المملوكة ـ ، وأم ولد ، توفيت اثنتان منهن في حياته ، هي : السيدة زينب بنت خزيمة ، والسيدة ريحانة بنت زيد)[1] .

المطلب الرابع : الحكمة من التعدد

لقد أدرك كل العقلاء أن هذا التعدد كان لحكمة بليغة ، فمع اختلاف قبائلهنَّ وعشائرهنَّ ، وأديانهنَّ ، وحبهنَّ وبغضهنَّ للرسول والرسالة قبل زواجهنَّ ، فقد أجمعنَ على عُلوِّ أخلاق الرسول ﷺ ، ونقلنَ صورة صادقة عن حياة الرسول ﷺ في بيته ، وكيف كان يدبِّر أمرهن ، ويقوم على حقوقهن على كثرة أعبائه ، فمن تبليغ الرسالة ، وإدارة الدولة في المدينة ، والجهاد والفتح ، ونشر الدعوة ، وتطبيق الأحكام ، فمع كل أعبائه استطاع أن يجمع بينهنَّ وأن يكرمهن ، وهذا يدلّ على عظمة الرسول ﷺ وجلال النبوة ، وشمول الرسالة ، وشخصية الرسول ﷺ ، التي تمثلت كل جوانب الحياة ، فهو القدوة في كل شيء لكل المؤمنين ، قدوة معصومة من كل خطأ وعيب ، قدوة أعطت للمرأة حقها بعد ما كانت سلعة بيد الرجل ، وعظمة الرسول تكمن أيضاً في أنه استطاع أن يعطي لكل أمر حقه ، فهو الرسول والمبلِّغ وقائد الدولة وهو الزوج الوفي والأب الرحيم ، (لقد عاش رسول الله ﷺ معهن حياته ببشرية سوية ، لم تجردها النبوة من العواطف والرغبات ، بل زوّدتها بفطرة سليمة ، وأدب رباني عالٍ ، وعشن معه الحياة بحلوها ومرِّها ، يتنسَّمن أنفاس الوحي ، وينقلن آيات الله والحكمة ، كان النبي ﷺ يتصرف

---

(١) موسوعة أمهات المؤمنين ، د . عبد الصبور شاهين ، إصلاح عبد السلام الرفاعي ، ص (٢٩) .

كإنسان وكزوج ، فكانت حياته ﷺ وبشريته المثالية وأبوّته الرحيمة ، وزوجيته العطوفة الودودة مرآة لنا نسير على هواها. . . ولقد كان لتعدد زوجاته ﷺ حِكَم كثيرة ، من أهمها : أن بعض النساء كانت لهن مواقف عظيمة في الإسلام يستحققن لأجلها التكريم ، فكان زواج الرسول ﷺ منهن بمثابة وسام على صدورهن ، يشعرن بالمكانة التي بلغنها ، وبعض هؤلاء كنَّ يحتجن إلى مزيد من الألفة ينزع من صدورهن الحرج والحنق على الإسلام ، بعد أن ذاق أقوامهن الهزيمة على يد النبي ﷺ وأصحابه ، ولم يخلُ زواج الرسول من بعض زوجاته من مكافأة قصد بها بعض صحابته ، ممن أبلوا البلاء الأمثل في الجهاد والدعوة. . . وأخطر ما قمن به نهوضهن بمهمة التبليغ فيما يخص الجانب الأسري في حياة الرسول ﷺ. . .)[1] .

وهناك حكمة اجتماعية من تعدد زوجات النبي ﷺ ، فقد كان ﷺ حريصاً كل الحرص على توثيق الصِّلاَت ودعمها وتأليف القلوب بأساليب شتى من بينها المصاهرة التي تعدُّ من أحد أسباب الألفة والمودة .

ولكل زيجة للنبي ﷺ من زوجاته حكمة وعبرة ، فلقد تزوجت خديجة رضي الله عنها الأرملة مرتين قبل زواجها بالنبي ﷺ ، والتي تكبره خمس عشرة سنة ، فكانت أول من آمن به وصدقته ، ووقفت بجانبه .

ولقد تزوج رسول الله ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان هذا الزواج زيادة في توثيق الصلة وتعميق المحبة بين النبي ﷺ وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

كما كان زواجُ الرسول ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنه تكريماً له وبراً به وتوثيقاً وتعميقاً للصلة .

هذا ولقد تزوّج رسول الله ﷺ بالسيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وكانت من المؤمنات المهاجرات : أسلمت وهاجرت مع زوجها ـ السكران بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه ـ إلى الحبشة ، ومات بعد الرجوع من الهجرة الثانية ، فصارت وحيدة فريدة لا ناصر لها ولا معين ، ولو عادت إلى أهلها بعد وفاة زوجها لعذّبوها عذاباً شديداً ليفتنوها عن دينها ، فبادر رسول الله ﷺ إلى نكاحها رحمة بها ورأفة بشأنها وحماية لها

---

(١) موسوعة أمهات المؤمنين ، د . عبد الصبور شاهين ، إصلاح عبد السلام الرفاعي ، ص (٣١) وما بعدها.

وتكريماً لصدق إيمانها وإخلاصها وتضحيتها ، ولقد كان لزواج الرسول ﷺ منها أثر طيب في نفوس قومها ، ولم تكن سودة رضي الله عنها ذات جمال ، بل كانت عجوزاً ، وفي هذا دحضٌ لمفتريات أعداء الإسلام الذين يزعمون أن زواج الرسول من أمهات المؤمنين كان من أجل إشباع الشهوات ، ولو كان كذلك فكيف يتزوج الرسول ﷺ بأمِّ المؤمنين سودة وهي ليست ذات جمال ، بل إنها عجوز .

كما تزوّج ﷺ بأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، وهي من المؤمنات المهاجرات ، آمنت وهاجرت مع زوجها ، واستشهد رضي الله عنه في غزوة أحد ، فبقيت هي وأيتامها الأربعة ، فتزوّجها رسول الله ﷺ شفقة بها وبأولادها الأيتام وتكريماً لها رضي الله عنها ، فقد جاء في الحديث (عن أم سلمة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم اؤْجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها ، قالت : فلما تُوفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ ، فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ »[1] .

كما تزوّج رسول الله ﷺ بأم حبيبة ، رَمْلة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وهي من المؤمنات المهاجرات ، أسلمت وهاجرت مع زوجها (عبد الله بن جحش) إلى الحبشة ولكنه فُتن في دينه وارتدَّ عن الإسلام ودخل في النصرانية ، فحاولت أم حبيبة رضي الله عنها أن تعيده إلى رشده ، لكنه أعرض عن الحق وآثر الكفر على الإيمان ، وخيّرها بين الردة والطلاق ، فاختارت الطلاق فطلقها ، وصارت وحيدة فريدة حائرة لا تدري ماذا تصنع ؟ أتعود إلى قومها فيبطشوا بها ويشمتوا فيها ؟ أم تظلُّ في ديار الغربة والمحنة والفتنة ، وعلم رسول الله ﷺ بحالها فرقَّ لها ، وأشفق عليها ، وأراد أن يجازيها على صبرها وثباتها ، فأرسل إلى النجاشي رضي الله عنه ملك الحبشة ووكّله في أمر زواجها ، فأصدقها النجاشي وجهّزها من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه في السنة السابعة من الهجرة ، ولقد كان لزواج رسول الله ﷺ بأم حبيبة رضي الله عنها وقع طيب وأثر حسن في نفس أبيها أبي سفيان الذي قال حين بلغه خبر هذا الزواج المبارك : هذا الفحل لا يجدع أنفه[2] .

---

(١) **صحيح مسلم** ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة ، رقم (٩١٨) ؛ **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث أم سلمة ، رقم (٢٦٦٧٧) ، وكلاهما عن أم سلمة .

(٢) أي أنه كفء كريم لا يرد .

وتزوّج رسول الله ﷺ من السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها ، التي استشهد زوجها في غزوة بدر ، وكانت رضي الله عنها تقوم بإسعاف الجرحى وتضميد جراحهم ، ولم يشغلها استشهاد زوجها عن القيام بواجباتها حتى كتب الله النصر على المؤمنين في غزوة بدر ، وكان عمرها رضي الله عنها حين تزوجها رسول الله ﷺ ستين عاماً ، ولم يَطل بها المقام في بيت النبوة حيث تُوفيت بعد زواجها من الرسول ﷺ بزمن يسير)[1] .

وهناك حكمة سياسية ، (فقد سعى رسول الله ﷺ إلى تأليف قلوب القبائل العربية لكسر الحواجز وإزالة الضغائن وكسب العواطف وجمع الشمل وفتح آفاق جديدة للدعوة الإسلامية .

ولقد تجلَّت هذه الحكمة الرشيدة والسياسة الحكيمة في زواج رسول الله ﷺ من جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق رضي الله عنها ، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه أو ابن عم له فكاتبته على نفسها ، وذهبت إلى رسول الله ﷺ تسأله في كتابتها ، فدخلت عليه وقالت له يا رسول الله : أنا جويرية بنت الحارث ، وإنه كان من أمري ما لا يخفى عليك ، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، وإني كاتبت على نفسي فجئتك أسألك في كتابتي ، فقال لها رسول الله ﷺ : فهل لك إلى ما هو خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أؤدي عنك كتابك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، فقال ﷺ : قد فعلت ، فتسامع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوّج جويرية ، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ يُستَرقُّون ؟ فأعتقوا ما في أيديهم ، تقول السيدة عائشة : (ما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أعتقت بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق)[2] .

ومن ذلك أيضاً زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، (وكانت قد وقعت في سهم بعض المسلمين بعد غزوة خيبر ، فقال بعض الصحابة : إنها لا تصلح إلا لرسول الله فعرضوا الأمر على رسول الله ﷺ فدعاها وخيّرها بين أمرين : إما أن يعتقها ويتزوّجها فتكون زوجة له ، وإما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها فاختارت أن

---

(١) **المرأة في القصص القرآني** ، د . الشرقاوي ، (٢/ ٨٢٨ـ ٨٣٠) .

(٢) **سنن أبي داود** ، كتاب العتق ، باب في بيع المكاتب ، رقم (٣٩٣١) ؛ **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٦٤٠٨) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

يعتقها وتكون زوجة له ، وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته وحسن معاملته ، وقد أكرمها المولى عزوجل بالإسلام ، ووصل رسول الله ﷺ بهذا الزواج قومها الذين دأبوا على مخاصمته طوال حياتهم)[1] .

مما سبق يتضح لنا ما في زواج رسول الله ﷺ من حِكَم بالغة وأحكام بليغة .

إن رسول الله ﷺ كان بشراً ، ولكن ليس كالبشر لأنه كان يوحى إليه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت ٤١/٦] ، فكل أعمالهِ وحي من عند الله ، وهو أب رحيم بالمؤمنين وزوجاته أمهات المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ . . . ﴾ [الأحزاب ٣٣/٦] ، وفي رواية (وهو أبوهم) ، فالرسول ﷺ له الولاية على أمته المؤمنة ، ونساء النبي لهن الأمومة على المؤمنين ، فقد أضْفَت الآية عليهن من الجلال ومن القداسة ما لم تظفر به امرأة في أي مجتمع ، ومن أجل هذه القداسة ، وتلك المرتبة السامية ، جعل لهنَّ منهجاً ليرضينَ بالعيش الكفاف والزهد ، وليستعلين عن متاع الدنيا ، ويرغبن فيما عند الله في الآخرة ، وهن أزواج خاتم النبيين ، ويملك ما يملك ، ولو أراد أن تكون له الجبال ذهباً لكانت ، ولكنه آثر الحياة الأخرى[2] ، وكان يكثر من الدعاء : « اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين »[3] .

وأراد الرسول ﷺ لزوجاته أن يعشنَ معه هذه العيشة ، دون سائر المسلمين ، (دخل أبو بكر يستأذن رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر ، فدخل ، ثم جاء عمر فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه ، واجماً ساكناً ، قال : فقال : والله لأقولن شيئاً أضحك رسول الله ، فقال ـ أي أبو بكر ـ : يا رسول الله ، لو رأيت بنتاً خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها ـ أي ضربت

---

(١) **المرأة في القصص القرآني** ، د . **الشرقاوي** ، (٢/ ٨٣١) .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ دِينَارٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ » ، **صحيح مسلم** ، كتاب الزكاة ، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ، رقم (٢٣٤٩) ، **مسند الإمام أحمد** ، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، باب مسند أبي هريرة ، رقم (١٠٠٣) .

(٣) **سنن الترمذي** ، كتاب الزهد ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، رقم (٢٥٢٦) ، **سنن ابن ماجة** ، كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء ، رقم (٤٢٦٥) ، عن أنس ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وقال الألباني : صحيح .

عنقها ـ ، فضحك رسول الله ﷺ ، وقال : هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة ، وفجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة وفجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ، فقلن : والله ما نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ، ثم اعتزلهنّ شهراً أو تسعاً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/٢٨ـ٢٩] ، قال : فبدأ بعائشة ، فقال : يا عائشة ، إني أريد أن أعرض أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ، فتلا الآية : قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبويّ ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت ، قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنّتاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً ، وفعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت)[1] .

ولأن زوجات النبي ﷺ خصهن الله بأنهن أمهات المؤمنين ، ولشرف المنزلة التي ارتقين لها ، والدرجة التي نِلنَها ، ضاعف لهن العذاب والثواب ، قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٠ـ٣١] .

ولأنهن أمهات المؤمنين ، ولهن هذه المنزلة ، ولأنهن مرجع لهذه الأمة في الإخبار عن حياة الرسول ﷺ البيتية ، ومن أجل المحافظة على بيت النبوة وصيانته من الرجس ، قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٢ـ ٣٤] ، فمن أجل علو منزلتكن وأنكن أمهات المؤمنين ، وأنكن مرجع لهن ، فعليكن أولاً : ألا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، كي لا يثير

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، رقم (٣٧٦٣) ، مسند أبي يعلى الموصلي ، كتاب مسند جابر بن عبد الله ، باب يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً ، رقم (٢١٩٩) ، وكلاهما عن جابر بن عبد الله .

قولهن الرقيق ، ولهجتهن اللينة أصحاب القلوب المريضة ، وثانياً : ﴿ . . . وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ، فعليكن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليكن جميع قولكنَّ معروفاً ، وثالثاً : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ . . .﴾ ، فأقمنَ في بيوتكن ولازمْنَها ، وعدم الخروج منها إلا للضرورة القصوى ، ورابعاً : ﴿ . . . وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ، فعليكن بالاحتشام وإياكن والتبرج ، كما كانت تفعل النساء في الجاهلية ، فتظهر صدرها والقرط والعنق ، وذوائب الشعر عند الخروج من البيت ، أما في البيت فمأذون لها أن تتبرج ، خامساً : ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ ، وهذا السلوك الذي يجب أن يكون دائماً في حياة نساء النبي ﷺ ، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله ، فإن فعلن ماذُكر من تلك الوصايا الخمسة ، كانت مكافأة الله لهنَّ بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، فيطلق عليهن : ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ تشريفاً وتكريماً وتعظيماً لهن ، ويذهب عنهن كل ما يسوء ، ويرعاهن رعاية علوية ، ثم يختم الآيات بوصية لهن ، بأن يذكرن القرآن ، الذي فيه آيات الله والحكمة ، قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ، فأمرَهن بحفظ ما يتلى عليهن في بيت النبوة والقراءة ، لأنهن سيُخبرنَ الناس بما ينزل من القرآن الكريم في بيوتهن ، ويذكرنَ فعل رسول الله ﷺ في بيته ، ليعلم البشرُ ما نزل في بيت النبوة وليعلموا سيرة الرسول ﷺ ، ليقتدوا بها ، ومن أجل أن يكون لهنّ دور هام في تبليغ القرآن وسنة الرسول ﷺ للمسلمين .

وقد نظَّم القرآن العلاقة بين أزواج النبي ﷺ وبين المسلمين في حياة الرسول وبعد مماته ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٣ـ٥٤] ، وجاء في الحديث : عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : « بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوه فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ قَالَ : ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ ، وَبَقِي ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي

الْبَيْتِ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فانطلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فقَالَتْ : وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فإِذَا ثلاَثَةٌ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَمَا أَدْرِي آخبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا ، فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ »[1] . وهي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٣] ، وذكرت الآيات خصوصيةَ لنساء النبي ﷺ ، وهو أمرهن بالحجاب ، فلا يلتقين بأحد من الرجال ، إلا وهنَّ وراء حجاب ، لا يرى شبحهن ولا يسمع إلا صوتهن ، وهذا أطهر لقلوب الجميع ، وأمرهن ألا يتزوّجن أحداً بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، لأنهن أمهات المؤمنين ، وكي لا تؤذوا رسول الله ﷺ ، وأزواج النبي ﷺ هن أزواجه في الجنة ، واستثني رسول الله ﷺ من عدد الزوجات الأربع ، ولما نزلت آية التحديد بأربع كان في عصمة النبي ﷺ عندئذ تسع نساء ، فأحلَّ الله له استبقاء زوجاته جميعاً في عصمته ، وجعلهن كلهن زوجاته ، وأمره الله تعالى أن لا يزيد عليهن ولا يستبدل بواحدة منهن أخرى ، قال تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٢] ، وتأتي آيات عامة تشمل نساء النبي ونساء المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٩] ، ولعل هذه الآيات نزلت قبل آية حجاب زوجات النبي ﷺ : ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٣] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب لا تدخلوا بيوت النبي ، رقم (٤٧٩٣) ، مسند أبي يعلى الموصلي ، كتاب مسند أنس بن مالك ، باب بنى رسول الله بزينب بنت جحش ، رقم (٣٨١٢) ، وكلاهما عن أنس بن مالك .

المطلب الخامس : الحكمة من أن النبي ﷺ لم يخلّف ذكوراً

لم ينجب للرسول أولاداً إلا مارية وخديجة ، أما مارية ، فقد أنجبت له ذكراً أسماه الرسول إبراهيم في الثامنة للهجرة ، وعاش سنتين ثم توفي في السنة العاشرة الهجرية ، وأنجبت السيدة خديجة للرسول ، أربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وولدَين القاسم وعبد الله ، وقد توفيا في حياته ، ولعل الحكمة من عدم وجود أبناء ذكور للنبي ﷺ ، له حكمة بالغة ، بل حِكَم ، ليتركوا لأمته الشورى ليختاروا خليفتهم ، ولكي لا يُقدَّس الأبناء تقديساً يخرج عن الدين ، كما حصل في تقديس بعض الأشخاص في الأمم السابقة ، وكذلك فإن الرسول هو خاتم النبيين ، والنبوة لا تورَّث ، فلو خلَّف أبناءً ذكوراً فلعل أقواماً يقدسون الأبناء أو يضفون عليهم من صفات النبوة ، وهناك بعض الناس يقدسون أبناء الدم والجسد ولو لم يلتزم هؤلاء بمنهج الإسلام والدين ، والنبي ﷺ قال : « يا عائشة اشتري نفسك من الله ، فأنا لا أغني عنك شيئاً »[1] ، وقال ﷺ : « لا يأتني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقولون : يا محمد فأقول هكذا ثم تقولون يا محمد فأقول هكذا ـ أعرض بوجهي عنكم فتقولون : يا محمد أنا فلان ابن فلان فأقول : أما النسب فأعرف وأما العمل فلا أعرف نبذتم الكتاب فارجعوا فلا قرابة بيني وبينكم »[2] ، وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها »[3] ، فلوحظ أن في التاريخ الإسلامي كانت تقع الخلافات والانقسامات والمخاصمات ، فمن يُورث الحاكم أو العالم بعد وفاته ، فيصبح الحكم ملكياً وراثياً ، ويصبح توريث العالم أو المؤسسة أو الجماعة لأولاد الرئيس أو العالم أو الشيخ دون مراعاة الأصلح والأكفأ والأفضل ، والأدهى والأمرّ إذا وقع الخلاف بين الأبناء أنفسهم ، ويظهر الأمر بوضوح عند بعض أولئك الجهلة الذين يضفون على بعض شيوخ التصوف هالة من القداسة ، وينقلون تلك الهالة والقداسة إلى أبنائهم من بعدهم ، وإن كانوا غير

---

(١) **شعب الإيمان** ، **البيهقي** ، الباب الثاني والعشرون من شعب الإيمان ، في كراهية ما جاء في رد السائل ، رقم (٣٤٠١) ؛ **مجمع الزوائد** ، **الهيثمي** ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ، رقم (٤٥٨٨) ، وكلاهما عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي : فيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف .

(٢) **كنز العمال** ، **المتقي الهندي** ، كتاب الموت ، باب الترهيب ، رقم (٤٣٧٤٨) ، عن أبي هريرة ، وقال : رواه الحكيم الترمذي .

(٣) **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب من شهد الفتح ، رقم (٤٠٥٣) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف ، رقم (٤٥٠٦) ، وكلاهما عن عائشة رضي الله عنها .

أكفاء إيماناً وعلماً وسلوكاً ، ولقد كانت أكبر مؤسسة إسلامية في دمشق في مطلع القرن الحاضر ، قام على تأسيسها عالم مربٍّ حكيم ، فَهِمَ عصرَه وزمانه ، فوقعت هذه المؤسسة في صراع بعد مرضه ثم وفاته ، بين أولاده على إدارة هذه المؤسسة وخلافته ، وإن لم يكن أحدٌ منهم كفئاً لها ، فقام أحدهم بزعامتها ، وهو لم يحصِّل العلوم الشرعية ولا حتى الثانوية العامة ، وانصاع له البسطاء والسذج معتبرينه بركة والده ، فأضفوا عليه هالة من التقديس والاحترام ، والأمثلة كثيرة لا تحصى .

المطلب السادس : زوجات النبي ﷺ

أولاً : خديجة بنت خويلد :

هي أولى زوجات الرسول ﷺ ، وهي سيدة نساء قريش ، كان أبوها من أشراف مكة وموسريها ، ثم مات في حرب الفجار[1] ، تزوجت قبل النبي ﷺ أبا هالة النباش ، وأنجبت منه ولداً هو هالة ، وبعد وفاته تزوجت بعتيق بن عائذ وولدت له بنتاً وهي هند ، ثم ترملت ، فتفرغت لتربية أولادها ، وتاجرت بمالها ، واستأجرت الرجال لتجارتها في رحلتَي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، وأُعجبت بأخلاق النبي ﷺ وسيرته ، وصدقه وكرم أخلاقه ، واستأجرَتْه ليخرج بمال لها إلى الشام تاجراً ، ووصل إلى بصرى ، ثم عاد ، وأخبرها غلامها ميسرة بأخلاقه وما رآه من محمد ﷺ فبعثت نفيسة بنت أمية لتذكرها عند محمد ﷺ ، فقد جاء على لسانها : (كانت خديجة امرأة شريفة جلدة كثيرة المال ، ولما تأيمت ـ صارت بلا زوج ـ كان كل شريف من قريش يتمنى أن يتزوجها ، فلما سافر النبي ﷺ قبل المبعث في تجارتها ، ورجع بربح وافر رغبت فيه ، فأرسلتني سعياً إليه ، فقلت له : ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما في يدي شيء ، فقلت : فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والكفاءة ؟ قال : من ؟ قلت خديجة ، فأجاب)[2] .

وتمَّ الزواج ، وزوّج خديجةَ عمُّها عمرو بن أسد ، وزوَّج الرسولَ ﷺ عمُّه أبو طالب ، وكان يصحبه عمه حمزة ، وكانت هي في سن الأربعين ، والرسول ﷺ ابن

---

(١) حرب الفجار : قامت في الجاهلية وفي الأشهر الحرم بين قريش وقيس عيلان ، وكان عمر النبي ﷺ خمس عشرة سنة ، قال : كنت أنبل مع أعمامي .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، (٦٠٢/٥) .

خمس وعشرين سنة ، ورُزق الرسول ﷺ أولاده منها على الترتيب زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وتوفي لهما القاسم وعبد الله .

ثم بدأت تباشير بعثته ﷺ ، فكان أول ما بُدئ طريق النبوة الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح(١) ، ثم حُبِّب إليه الخلوة ، ثم صار يعتكف في غار حراء في كل سنة شهراً ، وتذهب زوجته خديجة إلى ابن عمها النصراني ورقة بن نوفل ، وكان شيخاً قد عمي ، (فذكرت له ما يفعله زوجها من الاختلاء بنفسه ، وما حدَّثها به غلامها ميسرة من بضع عشرة سنة عندما كان مع رسول الله ﷺ في رحلة الشام التي سبقت زواجها ، وما قاله الراهب النصراني في بصرى عندما شاهد محمداً يجلس تحت هذه الشجرة بأنه : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ، فما كان من ورقة إلا أن قال : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر وهذا زمانه)(٢) .

(وكان النبي ﷺ عندما ينتهي شهر تحنُّثه وتعبُّده في الغار ، ينزل إلى الحرم فيطوف بالبيت سبعاً ثم يرجع إلى بيته)(٣) ، وفي شهر رمضان وبينما هو لا يزال في الغار لمّا ينزل بعد ، وفي ليلة القدر ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر من الله تعالى ، وقال له : اقرأ ، فقال الرسول ﷺ : ما أنا بقارئ ، فشده وغطَّه ، ثلاث مرات ثم يرسله ، ثم قال له : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق ٩٦/١ـ٥] ، فارتاع محمد ﷺ ، ونزل من الغار وهو يسمع جبريل فيناديه : يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، ونزل إلى زوجته خديجة ، فتطمئنه وتهدِّئ من رَوعه ، وتقول له : (أبشِر يابن العم ، والله لا يُخزيك أبداً ، إنك لَتصلُ الرحم ، وتَصدُق الحديث ، وتؤدّي الأمانة ، وتحمِل الكَلّ ، وتَقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر)(٤) .

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا يحيى بن بكير ، رقم (٣) ، **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي ، رقم (٤٢٢) ، وكلاهما عن السيدة عائشة .

(٢) **سيرة ابن هشام** ، (١/ ٢٠٧) .

(٣) **موسوعة أمهات المؤمنين** ، د . **عبد الصبور شاهين** ، **إصلاح عبد السلام الرفاعي** ، ص (٧٩) وما بعدها .

(٤) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، **القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي** ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م) ، (١/ ٢٩) .

فكانت أول من آمنت بالرسول ، وصدّقته ، ووقفت بجانبه ، تثبّته وتخفف عنه ، وتنفق عليه مالها ، وتخبر ابن عمها النصراني ، ورقة بن نوفل ، فيقول للنبي ﷺ : (والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، وَلَتُكَذَّبَنَّهْ ، ولَتُؤْذَيَنَّهْ ، ولَتُخْرَجَنَّهْ ، ولَتُقَاتلنَّهْ ، لئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبّل يافوخه ـ وسط رأس النبي ﷺ ـ)[١] .

ثم أسلم علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وأبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وغيرهم ، وجهر الرسول بدعوته بعد ثلاث سنوات ، فأعلنت قريش حربها على الرسول وصحابته ، فهاجر بعض الصحابة إلى الحبشة فراراً بدينهم ، وسلامة لأرواحهم ، وحاصرت قريش الرسول وصحابته بشعب أبي طالب ، ومنعوا عنهم الطعام والشراب إلا ما كان يصل إليهم سراً ، وصاحبت خديجة رضي الله عنها زوجها في حصاره الذي امتد لثلاث سنين تقريباً ، وبموت أبي طالب الذي كان عوناً للرسول على قريش وبعده بثلاثة أيام تموت خديجة رضي الله عنها ، وهي بنت خمس وستين سنة ، في السنة العاشرة للبعثة ، حتى سمي ذلك العام بعام الحزن ، وقال الرسول ﷺ عنها : « أُمرت أن أبشِّر خديجة ببيت من قصب[٢] لا صخب فيه ولا نصب »[٣] ، وعندما قالت عائشة رضي الله عنها من كثرة ما كان يذكر الرسول خديجة : قد أبدلك الله خيراً منها ، قال الرسول ﷺ : « ما أبدلني خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدّقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عزوجل منها ولدها إذ حرمني أولاد النساء »[٤] .

لقد كانت مثالاً للزوجة مع زوجها ، في الجاهلية والإسلام ، والتي شاركت زوجها في دعوته وجهاده ، ومشاركته في رأيه ، فكان الرسول يشاورها ويسألها رأيها ، وهذا يدل على مكانة المرأة في الإسلام ، كما لابد من الإشارة إلى وجود بعض القيم الأخلاقية عند العرب في جاهليتهم تجاه المرأة ، فكانت خديجة سيدة وشريفة وطاهرة وتاجرة لها

---

(١) سيرة ابن هشام ، (١/٢٥٧) .

(٢) القصب : اللؤلؤ المجوف .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي خديجة ، رقم (٣٨١٦) ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة ، رقم (٦٤٣٠) ، وكلاهما عن السيدة عائشة .

(٤) مسند الإمام أحمد ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٤٩٠٨) ، المعجم الكبير للطبراني ، باب ذكر أزواج النبي ، ذكر بنات النبي ﷺ ، رقم (٢٢) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح .

مكانتها في قومها ، ترمّلت مرتين قبل أن يتزوجها الرسول ﷺ ، وهي التي خطبت رسول الله لأخلاقه وسيرته الحميدة ، والزواج آنئذ تنظمه أخلاق عالية ، فكان مع الرسول عمه أبو طالب الذي زوّجه ، وشهود عمه حمزة ، وزوّج خديجة عمها عروة بن أسد ، وكان صَداق السيدة خديجة أربعمائة درهم ، وكانت هناك وليمة ، وأن العرب كان منهم من آمن بالنصرانية ، وهو ابن عم خديجة ورقة بن نوفل ، وهو أول من آمن بالإسلام ، وثبَّت قلب الرسول ﷺ ، ومن قبله الراهب النصراني بحيرا ، عندما ذهب محمد ﷺ مع ميسرة غلام خديجة إلى بصرى على حدود الشام ، وبشَّر أنه نبي هذه الأمة ، فأول من نصر الرسول ﷺ النصارى كبحيرا الراهب ، وورقة بن نوفل ، والنجاشي في الحبشة .

المستشرقون والأعداء ومن لفَّ لفَّهم : (يريدون أن يلصقوا به ﷺ صفة الرجل الشهواني الغارق في لذّات الجسد ، وموضوع زواجه عليه الصلاة والسلام هو وحده الدليل الكافي على عكس ذلك تماماً ، فالرجل الشهوان لا يعيش إلى الخامسة والعشرين في بيئة مثل بيئة العرب في الجاهلية ، عفيف النفس ، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج من حوله ، والرجل الشهوان لا يقبل بعد ذلك أن يتزوج من أيّم لها ما يقارب ضعف عمره ، ثم يعيش من دون أن تمتد عيناه إلى شيء مما حوله ، وإن من حوله الكثير ، وله إلى ذلك أكثر من سبيل ، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب ثم الكهولة ، ويدخل في مدارج الشيخوخة)[١] .

وكل أولاد النبي ﷺ من خديجة ، فأولى الأولاد زينب وتزوّجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد ، ولم تهاجر مع النبي ﷺ حتى كانت معركة بدر ويؤسرَ أبو العاص المشرك ، وتفديه زوجته زينب بقلادة أمها خديجة ، وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يخلِّي سبيل زينب فوعده بذلك ، وتهاجر زينب إلى المدينة ، ويفرِّق الرسول بينها وبين زوجها ، حتى السنة السابعة من الهجرة ، فيأتي أبو العاص ويدخل على زينب فتجيره ويُسلم ، ويردُّ الرسول له زوجته ، وفي السنة الثامنة للهجرة توفيت زينب رضي الله عنها ودُفنت بالبقيع عن عُمر يقارب خمساً وثلاثين سنة ، وتركت ابنتها أمامة التي كانت من أحبِّ الأطفال إلى رسول الله ﷺ ، وقد تزوَّجها فيما بعد علي رضي الله عنه بعد وفاة خالتها فاطمة رضي الله عنها .

---

(١) البوطي ، فقه السيرة ، ص (٧٢) .

والبنت الثانية لخديجة رقية ، تزوّجها قبل البعثة عتبة بن أبي لهب ، وتزوج أختها أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب ، ولما جاء الإسلام ، وقف أبو لهب في وجه الدعوة الإسلامية ، وشاركته زوجته أم جميل بعداوتها للرسول والرسالة ، ونزل في حق أبي لهب وزوجته سورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد ١١١/١] ، فطلّق عتبة وعتيبة رقية وأم كلثوم ثم خطب عثمان بن عفان أحدُ العشرة المبشرين بالجنة رقيةَ وتزوجها ، فهاجرت معه إلى الحبشة ثم عادت في عام الحزن بعد وفاة أمها ، ثم هاجرت إلى المدينة ، وعندما كان المسلمون يتجهّزون لمعركة بدر مرضت رقية فأذن الرسول ﷺ لعثمان بن عفان أن يتخلف عن بدر لمرضها ، فبينما كان النبي ﷺ في بدر توفيت ، وواراها زوجها التراب في غياب النبي ﷺ ، فلما عاد النبي ﷺ من بدر حزن على ابنته رقية ، فزَوَّج الرسولُ ﷺ ابنته الثانية أم كلثوم لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت قد فارقت عتيبة بن أبي لهب الذي تزوّجها قبل البعثة ، ثم طلقها كما فعل أخوه عتبة بأختها رقية ، وجاء في الحديث : « لو كن عشراً لزوجتهن عثمان »[1] ، ولهذا سمي بذي النورين ، ثم توفاها الله في السنة التاسعة ، وهي دون الثلاثين سنة ، ودفنت مع أختها في البقيع .

والابنة الرابعة لخديجة فاطمة الزهراء ، تزوّجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد رجوع المسلمين من بدر ، وعاشت معه على الكفاف ، وأنجبت الحسن والحسين ثم زينب وأم كلثوم رضي الله عنهم ، وكانت أول أهل الرسول ﷺ لحوقاً به بعد أربعين يوماً تقريباً ، فلقيت ربها وهي ابنة الثلاثين عاماً تقريباً ودفنت بالبقيع .

إن بنات النبي ﷺ ضربن أروع الأمثال عن المرأة البنت والزوجة والأم ، والوفية والصابرة والمهاجرة ، وذكرت السيرة النبوية الأحاديث العديدة عن معاملة الرسول ﷺ الجد لأحفاده وهم أمامة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، رعاية ورحمة ومداعبة وتواضعاً لهم .

ثانياً : الزوجة سودة بنت زمعة :

والدها قرشي وأمها من بني النجار من الخزرج ، أسلمت مع زوجها وأخيها مالك ، وهاجروا إلى الحبشة ، ثم عادت مع زوجها إلى مكة ، وتوفي زوجها بعد وفاة خديجة في

---

(١) **المعجم الكبير ، الطبراني** ، باب ذكر بنات النبي ﷺ ، ذكر أم كلثوم ، رقم (١٠٦٣) ، **مجمع الزوائد ، الهيثمي** ، كتاب البر والصلة ، باب غزوة بدر ، رقم (١٤٥٠٩) ، كلاهما عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن أبي زناد وهو لين وبقية رجاله وثقوا .

عام الحزن ، وكانت خديجة رضي الله عنها خلَّفت للرسول ﷺ ابنتيه أم كلثوم وفاطمة وهم صغار يحتاجون إلى رعاية وعناية ، فتجرَّأت خولة بنت حكيم زوج عثمان بن مظعون ، وحدثت النبي ﷺ بالزواج ، وحدثت سودة وتم الزواج في رمضان سنة عشر من البعثة ، وهاجر الرسول ﷺ مع أبي بكر وترك زوجته وابنتيه في مكة ، وعندما استقرّ وبنى مسجده وبيوته بعث إلى زوجته وابنتيه فهاجرن إليه ، ولما تعددت زوجات الرسول ﷺ بعدها كعائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وميمونة ، وهبت سودة ليلتها لعائشة ، لأنها قد أسنَّت ، وكانت ثبطة ثقيلة ، وحجت مع رسول الله ﷺ ، وقد أذن لها الرسول ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع قبل الناس لأنها كانت ضخمة ثبطة ، ولها خمسة أحاديث منها عند البخاري حديث ، وعند مسلم حديث ، وتوفيت في آخر زمان عمر رضي الله عنه ودفنت في البقيع .

ثالثاً : الزوجة عائشة بنت أبي بكر :

أبوها أبو بكر وأمها زينب أم رومان من أوائل المسلمات المهاجرات ، نشأت وأختها لأبيها أسماء ذات النطاقين على الإسلام ، وأخوها الشقيق عبد الرحمن ، واحدٌ من أبطال الإسلام ، وأخوها لأبيها عبد الله ومحمد ، من فرسان الإسلام ، وُلدت قريب البعثة ، خطبها النبي ﷺ في مكة بعد وفاة السيدة خديجة ، ودخل بها في المدينة ، ورويت عدة روايات عن سنها والأقرب هو الثالثة عشرة .

لقد كان تزويج النبي ﷺ عائشة بوحي من الله ، وجاء في الحديث : « أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ ، أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَاكْشِفْ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ ، فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ »(1) .

وتمَّ زفاف عائشة إلى رسول الله ﷺ في شوال من السنة الأولى للهجرة ، بعد سبعة أشهر من قدومه للمدينة ، وهي السجلّ الذي روى لنا حياة النبي ﷺ في بيته في الفترة المدنية ، وقد ذكرت أنها كانت تلعب بالدمى كبقية الصبايا في مثل سنها ، فهي أصغر زوجات الرسول سناً ، وأقربهن إلى قلبه ، وهي البكر ، وهي ابنة أحب الناس لرسول ﷺ ، (كان الرسول في مستهل زواجه بعائشة يمزج حبه لها بشعور أب رحيم

---

(1) **صحيح البخاري** ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي عائشة ، رقم (٣٨٩٥) ، **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٤١٨٨) ، وكلاهما عن السيدة عائشة .

وزوج بر حليم ، إذ كان في عمر أبيها ، فلقيت عنده الرفاهية والدلال ، ونَعِمت بمودته وحديثه ، فأفادت خيراً كثيراً ، ولم تلبث هذه العِشْرة أن مضت فإذا بعائشة ناعمة الملامح ، ظريفة الكلام ، متألقة الأنوثة والذكاء ، وما كانت لتبقى في لهْوِ الحداثة ، وهي في عِشرة الرسول ووقاره ، وفي تفكير عميق يتوقّد ، فأخذت تحفظ القرآن وتتفقّه في الدين ، ولا يفوتها مجلس الرسول الذي اختص به المؤمنات يجيب السائلة ويعلم الجاهلة ، حتى وعت عائشة أحكام الدين وآداب القرآن ، فكانت تنوب عن النبي ﷺ في كل فتوى سئلت عنها وتحرّجت منها النساء)[1] ، ولما مرض الرسول ﷺ استأذن زوجاته أن يُمرَّض في بيت عائشة فأذنَّ له ، وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وهو على صدر عائشة ، ودفن في حجرتها ، وتوفيت السيدة عائشة بعد رسول الله ﷺ بسبع وأربعين سنة .

وامتحن الله السيدة عائشة رضي الله عنها بحديث الإفك وبرَّأها الله تعالى في كتابه العزيز[2] .

وبعد وفاة النبي ﷺ كانت مرجعاً للصحابة ، وملاذاً يلجؤون إليه ، فقال أحدهم : (ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا بفقه ولا بشِعر من عائشة)[3] ، وبعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وتولية علي بن أبي طالب ، افترق المسلمون فرقتين ، إحداهما تطالب بالقصاص من قتلَة عثمان الذين انضمُّوا إلى جيش علي رضي الله عنه ، والثانية مع علي بن أبي طالب ، ويتدخل بينهما المنافقون ، وتقع حرب الجمل في العراق ، ويعيدها سيدنا علي كرم الله وجهه مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر مع ثلاثين رجلاً وما يقابلهن من النساء إلى المدينة ، ويشيعها علي مع جنوده .

وندمت السيدة عائشة رضي الله عنها لخروجها ، وتوفيت في السابع من رمضان في السنة الثامنة والخمسين للهجرة ، وقد تجاوزت السبعين من عمرها ودفنت في البقيع .

---

(١) **أمهات المؤمنين وبنات الرسول** ، وداد سكاكيني ، (دار الفكر ، دمشق ، ط٤ ، ١٩٦٦م) ، ص (٦٠) .

(٢) سبق الحديث عن حادثة الإفك في المبحث الثاني المطلب الأول .

(٣) **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، باب ذكر أزواج النبي ﷺ ، رقم (١٩٢٤٨) ، **مجمع الزوائد** ، **الهيثمي** ، كتاب البر والصلة ، باب منه ، رقم (١٥٣١٧) ، وكلاهما عن عروة ، وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

وكانت أفقه نساء المؤمنين وأعلمهن بالدين ، وأحب نساء سيدنا رسول الله ﷺ ، وأكثرهن رواية للحديث ، فلها في كتب السنة (٢٣٨٣) حديثاً وفي الصحيحين (٣١٦) حديثاً منها (١٩٤) متفق عليه و(٥٤) انفرد به البخاري و(٦٨) انفرد به مسلم ، وكان الصحابة يسألونها في أمور الدين ، لأنها كانت من أفقه الناس وأعلمهم وأحسنهم رأياً ، وكانت عالمة بالشِّعر والطب ، كريمة سخية .

رابعاً : حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها :

حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأمها زينب بنت مظعون ، ولدت بمكة في السنة الخامسة أو السابعة للبعثة ، وشبَّت في بيت أبيها ، وتزوجها خُنَيْسُ بن حذافة بن قيس بن سعد السهمي ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وكان من المهاجرين إلى الحبشة ، وتوفي زوجها بعد غزوة بدر حين أصيب بجراح في جسده ، فلما عاد إلى المدينة مات متأثراً بجراحه ، وعرضها والدها على عثمان قبل زواجه برقية ابنة رسول الله ﷺ فامتنع ، ثم عرضها على أبي بكر فامتنع ، فشكى عمر أمره إلى النبي ﷺ ، بأنه عرضها على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما ، فامتنعا ، فقال له رسول الله ﷺ : قد زوّج الله عثمان خيراً من ابنتك ، وزوّج ابنتك خيراً من عثمان ، فتزوّج عثمان أم كلثوم ، وتزوّج الرسول ﷺ حفصة سنة ثلاث من الهجرة قبل غزوة أحد ، فكانت ذكية تعلمت الكتابة ، وكانت صوّامة قوّامة ، وتذكر بعض الروايات أن رسول الله ﷺ طلقها أو همَّ بطلاقها ، ورد أن النبي ﷺ طلَّق حفصة تطليقة ثم راجعها بأمرٍ من جبريل عليه السلام بذلك ، وقال : « راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة »[1] ، وعندما جُمع القرآن في عهد والدها ، وضعت نسخة القرآن وحفظت في بيتها ، حتى طلبها عثمان بن عفان ونسخ منها المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار ، ثم ردّها إلى حفصة ، وكان الصحابة يستشيرونها ، حتى والدها عمر بن الخطاب ، ولها (٦٠) ستون حديثاً في مسند بقي بن مخلد ، ولها في الصحيحين (١١) حديثاً اتفقا على أربعة وانفرد مسلم بستة ، وعاشت مدة مديدة قرابة الثلاثة والستين عاماً حتى توفيت في السنة الخامسة والأربعين ، وصلى عليها مروان بن الحكم في زمن معاوية ، ودفنت بالبقيع .

---

(١) **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، باب القاف ، قيس بن يزيد ، رقم (١٨٨٢٧) ، **مجمع الزوائد** ، **الهيثمي** ، كتاب المناقب ، باب فضل حفصة ، رقم (١٥٣٣٤) ، وكلاهما عن قيس بن يزيد ، وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

خامساً : زينب بنت خزيمة القيسية الهلالية :

ولدت قبل البعثة في مكة ، ثم تزوجت من الطفيل بن الحارث القرشي ، ثم طلقها فتزوجها بعده أخوه عبيدة بن الحارث ، الذي أسلم في مكة ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدراً ، ثم ترمّلت ، فتزوّجها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة للهجرة ، وعاشت مع رسول الله ﷺ فترة قصيرة ، حيث توفيت بعد ثمانية أشهر من زواجها في السنة الرابعة للهجرة وعمرها في الثلاثين ، وصلى عليها الرسول ﷺ ودفنت في البقيع ، فكانت ثاني زوجة توفيت في حياة الرسول ﷺ ، الأولى خديجة رضي الله عنها ، والثانية زينب ، وعرفت بكرمها وسخائها حتى سميت أم المساكين .

سادساً : أم سلمة بنت زاد الراكب :

هند بنت سهل أبي أمية المخزومية القرشية ، ولقِّب أبوها بزاد الراكب لجوده وكرمه ، وأمها عاتكة ، وقيل أنها عاتكة بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ ، وتزوجت أم سلمة ابن عمها أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة ، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ برة بنت عبد المطلب ، وكانت أم سلمة وزوجها من أوائل مَن أسلم وهاجر للحبشة ، وجاءت في كتب السيرة نقلاً عنها هجرتها للحبشة ، وما لاقت مع المسلمين ، وما حصل معهم مع النجاشي ، وإسلام النجاشي ، بعد كلمة جعفر بن أبي طالب وقراءته لسورة مريم ، ثم عادت مع زوجها إلى مكة ، ثم هاجرت إلى المدينة (يثرب) ، وكان ذلك قبل بيعة العقبة بسنة ، وتروي كتب السيرة عذابها عندما أرادت الهجرة مع زوجها إلى المدينة ، بعد وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ ، وعندما همَّ أبو سلمة بالهجرة ، قام رجال من بني المغيرة ففرّقوا بينها وبين زوجها ، وتقول أم سلمة : (فنزعوا خطام البعير من يده ـ زوجها ـ فأخذوني منه ، وغضب عند ذلك بنو عبد أسد رهط أبي سلمة ، قالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها ، إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا كتفه ، وانطلق به بنو أسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، فُفرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني ، فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها ، حتى مرَّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تُخرجون من هذه المسكينة ، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ، فقالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت ، وردَّ بنو عبد أسد عند ذلك ابني ، فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد

زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار ، فقال : إلى أين يا بنت أبي أمية ، قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة ، قال : أو ما معك أحد ؟ فقلت : لا والله إلا الله وابني هذا ، قال : والله مالك من مترك ، فأخذ خطام البعير فانطلق يهوي بي ، فو الله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عامر بن عوف بقباء ، قال : زوجك في ـ هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، وكانت أم سلمة تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن أبي طلحة)[١] .

وكان أبو سلمة من المسلمين الصادقين ، حضر بدراً وأصيب بأُحُد بجرح وظلَّ يداويه ما يقارب الشهر حتى شُفي ، وبعثه بعدها رسول الله ﷺ في سرية ، ولما عاد انتقض الجرح ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وكان ذلك في السنة الرابعة للهجرة ، ولما احتضر أبو سلمة قال : اللهم اخلفني في أهلي بخير ، فلما قبض قالت أم سلمة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أحتسب عندك مصيبتي ، وأردت أن أقول ، وأبدلني بها خيراً منها ، فقلت : ومَن خير من أبي سلمة ؟ قالت : فما زلت حتى قلتها[٢] ، وترمَّلت أم سلمة صاحبة الهجرتين ، ولها من أبي سلمة أربعة أولاد ، ولما انقضت عدتها ، خطبها العديد مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فرفضت .

أرسل رسول الله ﷺ مَن يخطبها ، فقالت أم سلمة : (مرحباً رسول الله وأخبر رسول الله أني فيّ خلال ، لا ينبغي لي أن أتزوج رسول الله ، وهي : أني امرأة مصبيّة ـ أي ذات أولاد ـ وأني غيرى ، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً ، فبعث إليها رسول الله ﷺ : أما قولك إني مصبِيّة ، فإن الله سيكفيك صبيانك ، وأما قولك إني غيرى ، فسأدعو الله أن يذهب عنك غيرتك ، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهداً ولا غائباً إلا سيرضاني)[٣] ؛ وتمَّ الزواج في العشر الأواخر من شوال سنة أربع للهجرة وهي دون الثلاثين من العمر ،

---

(١) **سيرة ابن هشام** ، (٢/ ٧٨) .

(٢) **الطبقات الكبرى** ، ابن سعد ، (٨/ ٨٧) .

(٣) **سنن النسائي** ، كتاب النكاح ، باب إنكاح الابن لأمه ، رقم (٣٢٦٧) ، **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ ، رقم (٢٦٧٣٩) ، وكلاهما عن أم سلمة وقال شعيب الأرنؤوط : بعضه صحيح .

وسكنت في دار أم المؤمنين زينب بنت خزيمة المتوفاة ، ومعها رضيعتها زينب ، وكان لها منزلة خاصة من بين زوجات الرسول ، فروت أحاديث الرسول وأخباره ، وذكر أنها روت ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً[1] ، وكانت تكلِّم رسول الله ﷺ وتراجعه ، وتصف رسول الله معها ومع باقي زوجاته أنه كانت أطوع الأزواج ، فلقد جاء في الحديث : « قام عمر بن الخطاب ودخل على حفصة فقال لها : يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى ليظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصة : إنا لنراجعه ، فقال : تعلمين أني أحذرك عقوبة الله ، وغضب رسوله ﷺ ، يا بنية لا يغرنَّك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله إياها ـ يريد عائشة ـ ، ثم ذهب إلى أم سلمة وهي قريبة ، فقال لها مثلما قال لابنته حفصة ، فردّت عليه أم سلمة : عجباً لك يابن الخطاب ، دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين الرسول وأزواجه ؟ فقال عمر : فأخذَتني والله أخذاً كسرَتني عن بعض ما كنتُ أجد ، فخرجت من عندها »[2] ، وفي رواية ، ردت أم سلمة على عمر رضي الله عنه : « أي والله إنا لنكلمه ، فإن حمل ذلك كان أولى به ، وإن نهانا كان أطوع عندنا فيك ، قال عمر : فندمت على كلامي لنساء النبي ﷺ بما قلت »[3] .

ولقد دعا رسول الله ﷺ لأم سلمة ليُذهب عنها الغيرة ، فاستجاب الله دعاءه ، ولما كان يوم الحديبية ، وأمر رسول الله صحابته بالنحر والتحلل من لباس الإحرام ، ولم يستجب أحد ، ودخل الرسول على أم سلمة وقد غضب ، فأشارت على الرسول ﷺ بأن يذبح أمام أصحابه ، فلما رأوا ذبح الرسول قاموا فنحروا[4] .

وقد مرضت في حجة الوداع فأذن لها رسول الله ﷺ بالطواف على بعيرها من وراء الناس ، فكان ذلك توسعة ورخصة لكل المسلمين غير القادرين على ذلك ، وقد عمَّرت حتى بلغت الرابعة والثمانين ، وروت أحاديث الرسول ﷺ وقصت على الصحابة والتابعين حياته في بيته ، فروت (٣٧٨) حديثاً ، منها في الصحيحين (٢٩) حديثاً ، واتفق

---

(١) **شذرات الذهب** ، ابن العماد الحنبلي ، (دار الفكر ، بيروت ، د .ت) ، (١/ ٦٣) .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير ، باب سورة الطلاق ، رقم (٤٦٢٩) ، **صحيح مسلم** ، كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء ، رقم (٣٧٦٥) ، وكلاهما عن ابن عباس .

(٣) **الطبقات الكبرى** ، ابن سعد ، (٨/ ١٩٨) .

(٤) **صحيح البخاري** ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، رقم (٢٧٣١) ، **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث المسور بن مخرمة ، رقم (١٩٤٤٢) ، وكلاهما عن المسور بن مخرمة .

البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً منها ، وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر ، فكانت آخر أمهات المؤمنين وفاة سنة تسع وخمسين للهجرة ، وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع .

سابعاً : زينب بنت جحش[1] :

هي من بني خزيمة، وأمها عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، تزوجها زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، ثم طلقها ، ثم تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله[2] ، وكانت من أجمل النساء ، وكانت لها منزلة عند رسول الله ﷺ من بين زوجاته ، وكان عمرها حين زواجها بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، وجاء في رواية تقول : خطبني عدة من قريش ، فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله ﷺ أستشيره ، فقال لها : أين هي ممن يعلمها كتاب الله وسنة النبي ؟ قالت : ومَن هو يا رسول الله ؟ قال : زيد بن حارثة ، قالت : فغضبت حمنة غضباً شديداً ، فقالت : يا رسول الله أتزوّج ابنة عمتك من مولاك ؟ قالت : وجاءتني فأعلمتني فغضبتُ أشد من غضبها ، فقلت : أشد من قولها ، فأنزل الله عزوجل قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٦] ، قالت : فأرسلت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : « إني أستغفر الله وأطيع الله ورسوله ، افعل يا رسول الله ما رأيت ، فزوجني رسول الله ﷺ زيداً ، فكنت أرزأ عليه ـ أضايقه ـ ، فشكاني إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أمسك عليك زوجك واتقِ الله » ، فقال : أنا أطلقها ، قالت : فطلقني ، فلما انقضت عدتي لم أعلم إلا ورسول الله ﷺ قد دخل عليَّ بيتي وأنا مكشوفة الشعر ، فعلمت أنه أمر السماء ، فقلت : يا رسول الله بلا خطبة ولا إشهاد ؟ قال : الله زوّج وجبريل الشاهد »[3] ، وقد أوْلَمَ رسول الله ﷺ بوليمة حضرها جمع من الصحابة ، فجلسوا يتحدثون ، وأطالوا الجلوس فنزل في حقهم قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ

---

(١) فصلنا في الحديث عن زينب في المبحث الثاني ، المطلب الثاني ، ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر تفاصيل القصة في المبحث الثاني ، المطلب الثاني ، ص ٦٦ وما بعدها .

(٣) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، **أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني** ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ) ، (٢/ ٥٢) عن زينب بنت جحش ، والرواية لم توثق وانفرد بها الأصبهاني .

﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٥٣] ، ولزينب بنت جحش مكانة عظمى بين أمهات المؤمنين ، فقد زوّجها الله من فوق سمواته ، ونزل الأمر بالحجاب بسببها ، وكانت ورعة تقية ، تقول عائشة رضي الله عنها بعد حادثة الإفك : « إن الله عصمها فلم تقل إلا خيراً »[1] ، وتقول فيها أم سلمة : (كانت صوّامة قوّامة صناعاً ، تتصدق بذلك على المساكين)[2] .

وتقول عنها السيدة عائشة : (ذهبت حميدة ، فقيدة ، مفزع اليتامى والأرامل ، لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها من العمل ، الذي تتصدق به ، وتتقرب به إلى الله عزوجل)[3] .

روت عن النبي ﷺ أحد عشر حديثاً منها حديثان متفق عليهما في الصحيحين ، وانتقلت إلى ربها سنة عشرين للهجرة ، في خلافة عمر بن الخطاب ، وصلى عليها عمر .

لقد أبطل زواج النبي ﷺ من زينب عادة جاهلية مقررة هي التبني والادعاء عند العرب[4] ، وتزوّج من مطلقة ربيبه الذي تبناه وهو زيد بن حارثة ، وبيَّنَ هذا الزواج المساواة بين الناس ، وجعل أكرم الناس عند الله أتقاهم ، وتزوجت زينب زيداً استجابة لأمر الله ورسوله ، وهي الهاشمية الحرة ، وزيد العبد المعتق خادم رسول الله ﷺ ، فلم يحصل الوفاق بينهما ، وجاءت مرات تشتكي زيداً لرسول الله ، حتى نزل قول الله في طلاقها ، وأمرٌ للنبي بالزواج منها ، فالرسول يتزوج من مطلقة مدّعيه وقضى منها وطراً .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون﴾ ، رقم (٤٧٥٠) ؛ صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك ، رقم (٢٧٧٠) ، وكلاهما عن عائشة .

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، (٣/ ٤٩٤) .

(٣) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/ ١١٠) .

(٤) لقد كان زيد ابناً لحارثة بن شرحبيل سيد بني كلب وأمه سعدى من أشرف بيوت طيِّئ ، ونزل عنده جماعة على أنهم ضيفان ، وكان زيد مع أمه عند أخواله ، فأغار هؤلاء الصعاليك ، فسَبَوا أمه وحارثة ، ثم باعوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة ، فلما تزوجت الرسول ﷺ وهبت خديجة زيداً للرسول ، فقام على خدمته وأسلم ، وانتهى خبره إلى أهله فجاؤوا رسولَ الله بالفداء ، فخيَّره الرسول بغير فداء ولا عطاء ، فاختار الرسول ، عندها قال الرسول ﷺ : اشهدوا يا قوم أن زيداً ابني يرثني وأرثه .

وهناك من أعداء الإسلام مَن نسج روايات مدسوسة بأن النبي ﷺ أبصر زينب بعد زواجها ، فوقعت ، وقد رفعت الرياح ثوبها فانكشف مفاتنها وعورتها ، فوقع النبي ﷺ في حبها ، ونسجوا قصصاً وأقوالاً كاذبة ليشوِّهوا سيرة الرسول ، علماً أن النبي ﷺ لو أراد الزواج منها كان باستطاعته أن يتزوجها قبل مدَّعيه زيد ، وكان باستطاعته أن يتزوج الأبكار والحرائر ، فهو لم يتزوج بكراً إلا عائشة ، وجميع زوجاته كنَّ بعد وفاة خديجة التي قضى معها خمساً وعشرين سنة وتزوَّجها في الخامسة والعشرين وهي في الأربعين .

وكل زواجٍ للنبي ﷺ كانت من ورائه حكمة للدعوة والرسالة ، وهو الذي أعطى المرأة حقها وأمر بتكريمها وتحريرها برسالة ربانية عالمية ، وكانت المساواة التي لم يشهد مثلها التاريخ .

ثامناً : جويرية (برة) بنت الحارث الخزاعية :

كان أبوها زعيماً لبني المصطلق ، وقعت في الفيء الذي أفاء الله به على المسلمين في حرب بني المصطلق ، وكان أبوها قد تألَّب على الرسول ﷺ والرسالة ، وراح إلى القبائل المشركة يدعوها لقتال الرسول ﷺ ودس الفتنة ، وسارع مع قومه ومَن قدر من العرب لحرب الرسول ﷺ في سنة ست للهجرة في أول شعبان ، وانهزم بنو المصطلق ، ووقع في السبي (برة) بنت الحارث ، وقد قُتل زوجها في المعركة ، ووقعت في سهم الصحابي ثابت بن قيس وابن عمه عندما وزّع الرسول الفيء على المسلمين ، وجاءت إلى النبي ﷺ تقول : « يا رسول الله ، أنا برة بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك ، فوقعتُ في سهم الثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابي ، قال : فهل لك من خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضي عنك كتابك وأتزوجك ، قالت نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ، وخرج الخبر إلى الناس ، فقال الصحابة : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم ، تقول عائشة : فلقد أُعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها »[1] ، وجاء أبوها ومعه ديتها ، فلما أخبر ، فرح وبارك للرسول ﷺ بها ، ثم لما عاد النبي ﷺ إلى المدينة ، تزوجها ، وأعتق كلَّ مملوك من بني المصطلق ، وضرب

---

(١) سنن البيهقي ، كتاب السير ، باب من يجري عليه الرق ، رقم (١٨٥٣٥) ، عن عائشة ، **الطبقات الكبرى** ، ابن سعد ، (٨/ ١١٧) ، وقال الألباني : صحيح .

عليها الحجاب ، وتغيَّر اسمها من برّة إلى جويرية ، وصارت أماً للمؤمنين وهي في العشرين من عمرها .

لقد كانت تقية ، متعبدة ، صوامة ، قوّامة ، وروت سبعة أحاديث منها في الصحيحين حديث في البخاري وحديث عند مسلم ، وتوفيت في السنة السادسة والخمسين للهجرة في عهد معاوية وصلى عليها مروان بن الحكم ، ودفنت بالبقيع .

تاسعاً : أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان :

أبوها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي ، أمها صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشية ، وعُرف أبو سفيان بشدة عداوته للرسول ﷺ في مكة ، وأما رملة فقد تزوجها عبيد الله بن جحش ، فأسلما وهاجرا مع أول مَن هاجر إلى الحبشة ، وأنجبا ابنتهما حبيبة ، وارتدَّ زوجها عن الإسلام وأكبَّ على الخمر حتى مات ، فعلم الرسول ﷺ بقصتها ، فأرسل إليها مَن يخطبها ليجازيها أفضل الجزاء على صبرها ، وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة إلى المدينة ، وقد أرسل الرسول ﷺ كتاباً إلى النجاشي ، وتقول أم حبيبة : (أُريت في المنام كأن آتياً يقول : يا أم المؤمنين ، فأوّلتها وكأن رسول الله ﷺ يتزوجني فما أن انقضت عدتي ، فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن ، فإذا جارية يقال لها أبرهة ، فدخلت عليّ فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله كتب إليَّ أن أزوجكه ، فقلت : بشّرك الله بالخير ، فأمر النجاشي جعفراً بن أبي طالب ومَن هناك من المسلمين فحضروا فأخبرهم وأصدقها (٤٠٠) دينار ، ووصل الخبر إلى أبي سفيان في مكة ، وكان ما يزال على الشرك ، فقال عندئذ : ذلك الفحل لا يقرع أنفه)(١) ، وعاد المسلمون من الحبشة في السنة السابعة للهجرة إلى المدينة ، وعادت أم حبيبة معهم بعد حوالي خمسة عشر عاماً ومعها ابنتها حبيبة وهدايا من النجاشي ، وكان سن أم حبيبة تجاوز الثلاثين من عمرها ، وروت عن رسول الله ﷺ خمسة وستين حديثاً ، وعاشت مع النبي ﷺ زهاء ثلاث سنوات .

وجاء أبو سفيان إلى المدينة ليثبت صلح الحديبية التي نقضها بنو بكر حلفاء قريش بتعدِّيهم على خزاعة حلفاء الرسول ﷺ ، ودخل على ابنته أم المؤمنين ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته عنه ، فقال : (يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا

---

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/٩٨) .

الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ، ثم خرج)[1] .

ورجع أبو سفيان إلى مكة خائباً ، وحجَّت أم حبيبة مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ، وأذن رسول ﷺ لأم حبيبة وأم سلمة وسودة أن ينفرنَ قبل الفجر ، وروت (٦٥) حديثاً ، اتفق الشيخان على حديثين ، وانفرد مسلم بستة أحاديث ، وعاشت أم حبيبة إلى سنة أربع وأربعين للهجرة في زمن أخيها معاوية ، ودفنت في البقيع .

عاشراً : صفية بنت حيي النضرية اليهودية :

صفية بنت حيي بن أخطب ، وهي السرّية الثانية لرسول ﷺ التي أسلمت وأعتقها وتزوجها بعد جويرية بنت الحارث من بني المصطلق .

ولدت قبل البعثة بثلاث سنوات تقريباً ، تقول صفية : (كنت أَحبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقَهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونهم ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بني النجار وغدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر مغلسين ـ قبيل الغروب ـ فلم يرجعا حتى غروب الشمس ، فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ـ في ضعف وفتور ـ فهششت لهما كما كنت أصنع ، والله ما التفت واحد منهما مع ما بهما من الغم ، وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي : أهو هو ، قال : نعم والله ، قال أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ، قال أبي : عداوته والله ما بقيت)[2] .

قام حيي بن أخطب زعيم اليهود على دسِّ الخلاف والتنافر بين أهل المدينة ، وعلى نقض العهود والغدر وتدبير الفتن والكيد ، وراح يحزب الأحزاب ، ويقلِّب القبائل على نقض العهود مع النبي ﷺ والسير إلى المدينة للقضاء على الإسلام ، واجتمع لهم عشرة آلاف مقاتل ، وحفر المسلمون الخندق حول المدينة ، ومضى حيي بن أخطب إلى بني قريظة يحضهم على نقض المواثيق ، فأجابوه وأزمعوا الغدر ، وعندما انتصر الرسول ﷺ وزلزل الأحزاب وعادت قريش ومَن معها خائبة توجّه النبي ﷺ ومَن معه إلى بني قريظة

---

(١) سيرة ابن هشام ، (٢/٣٩٦) .

(٢) سيرة ابن هشام ، (١/٥١٧) .

ليحاسبهم على خيانتهم ، وحاصرهم رسول الله ﷺ واستسلموا ، وكان الحكم عليهم أن يقتّل الرجال وتقسّم الأموال ، وتسبى النساء والأولاد ، وكان حيي بن أخطب بين الرجال الذين ضربت أعناقهم جزاء لخيانتهم ، وكانت صفية قد تزوجت مرتين من زعماء اليهود من بني النضير سلام بن مشكم ، ثم كنانة بن الربيع ، وقد ضربها لأنها ذكرت محمداً بالخير أمامه .

وخرج النبي ﷺ إلى خيبر ووصل إلى حصن أبي الحقيق واستسلم أخيراً ، وكانت من نصيب رسول الله ﷺ صفية بنت حيي ، التي قُتل زوجها ابن أبي الحقيق مع قتلى الحصن ، ولما وقفت صفية بين يدي رسول الله ﷺ قال لها الرسول ﷺ : « اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بأهلك ، فقالت يا رسول الله : لقد هويت الإسلام ، وصدّقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك ، ومالي في اليهودية إرب ، وما لي فيها والد ولا أخ ، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي ، فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه »[1] .

واشتكت صفية لرسول الله ﷺ أن بعض زوجاته يفتخرن عليها ، فقال لها النبي ﷺ : أما قلت لهما : « كيف تكنَّ خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ »[2] ، وعندما اجتمعت نساء النبي ﷺ في مرضه الأخير ، قال النبي ﷺ : « والله إنها لصادقة ، ويقصد صفية »[3] .

وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بقيت على عبادتها ، وكانت مشهوداً لها الحلم والفضل والكرم وأنها تصل رحمها حتى ولو كانوا يهوداً ، ولها عشرة أحاديث منها واحد اتفق عليه الشيخان ، وتوفيت بعد ما تجاوزت اثنين وستين عاماً ، ودفنت بالبقيع .

حادي عشر : ميمونة بنت الحارث :

هي برة بنت الحارث من بني قيس عيلان من مضر ، سماها رسول الله ﷺ ميمونة ، وأمها هند بنت عوف الكنانية ، وقيل عنها أنها أكرم عجوز في الأرض أصهاراً ، تزوجت

---

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/ ١٢٣) .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ ، رقم (٤٢٦٦) ، المستدرك للحاكم ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر أم المؤمنين صفية ، رقم (٦٨٨٧) ، وكلاهما عن صفية ، وقال الترمذي : ليس إسناده بالقوي ، وصححه الحاكم .

(٣) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/ ١٢٣) .

مرتين قبل رسول الله ﷺ ، وقد أسلمت وبايعت الرسول ﷺ قبل هجرته ، وظلت في مكة حتى جاء الرسول ﷺ للعمرة بعد صلح الحديبية في السنة السابعة للهجرة ، وقيل أن الرسول أرسل في خطبتها وهو في المدينة ، وقيل أنها كانت قد وهبت نفسها للرسول ﷺ ، وتزوجها الرسول ﷺ في مكة بعد عمرة القضاء ، وكان عمرها فوق الخامسة والثلاثين ، وروت العديد من الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، وفي بعض الروايات أنها روت ستة وسبعين حديثاً ، منها سبعة أحاديث في الصحيحين ، وتنازلت لعائشة عن ليلتها عندما مرض رسول الله ﷺ مرض الموت ، وعندما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى حلقت شعر رأسها وفرضت على نفسها الحداد على رسول الله ﷺ ، وفي سنة الواحد والخمسين للهجرة ذهبت للحج ، وقد بلغت فوق الثمانين إلا أنها ظلت قوية جلدة ، فتوفيت ، ودفنت في سرف بمكة[1] .

ثاني عشر : ريحانة بنت زيد :

هي ريحانة بنت زيد بن حذافة ، من بني النضير ، تزوجت من رجل من بني قريظة ، فنسبت إليهم .

بعد انتصار المسلمين في الأحزاب ، حاصر المسلمون بني قريظة حتى أذعنوا ، وحكم على رجالهم بالقتل وقُسّمت أموالهم ، وسُبيت نساؤهم وأطفالهم ، وقتل مع مَن قُتل الحَكَم زوج ريحانة ، وأُسرت ريحانة الجميلة المليحة ، وكانت غنيمة للرسول ﷺ ، وفي رواية أنها أسلمت ، ثم تزوجها الرسول ﷺ بعد إسلامها وعتقها في المحرم سنة ستّ للهجرة ، وأجمعت الروايات أنها توفيت في حياة الرسول ﷺ في آخر السنة العاشرة للهجرة ودفنها ﷺ في البقيع[2] .

ثالث عشر : أم إبراهيم (مارية القبطية) :

بعد صلح الحديبية بعث الرسول ﷺ الرسل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ، وقد أرسل الصحابي الجليل حاطباً بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط في مصر برسالة يدعوه بها إلى الإسلام ، فقدر المقوقس هذه الدعوة وأرسل مع حاطب هدايا منها جاريتين ، إحداهما مارية القبطية ، وقد اتخذها رسول الله ﷺ سرية له ، وأسكنها

---

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/١٣٨-١٤٠) .

(٢) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/ ١٣٠) ، وسيرة ابن هشام ، (٣/ ٢٦٥) .

النبي ﷺ في العالية من أطراف المدينة ، وضرب عليها الحجاب .

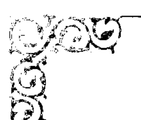
وقد بقيت جارية حتى حملت وأهدت للنبي ﷺ ابناً وهو في سن الستين ، فتحول وضعها من جارية إلى أم ولد حيث أصبحت أم إبراهيم وذلك في السنة الثامنة للهجرة .

عاش إبراهيم حتى السنة العاشرة للهجرة حيث توفي في شهر ربيع الأول ، وحزن عليه رسول الله ﷺ ، وضرب لأمته المثل الأعلى في الثبات أمام المصائب ، وفي الصبر عند الملمات .

وتوفيت بعد رسول الله ﷺ في السنة السادسة عشرة للهجرة في خلافة عمر ابن الخطاب ، وصلى عليها عمر ودفنت بالبقيع[1] .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، (٨/ ٢٢١) ، وسيرة ابن هشام ، (١/ ٤) .




المبحث السادس

أحاديث مؤولة أو باطلة وشبهات الأعداء عن المرأة






المبحث السادس

أحاديث مؤولة أو باطلة وشبهات الأعداء عن المرأة

لقد ذُكر سالفاً أنَّ الصراع قائم بين الخير والشر منذ أولاد آدم قابيل وهابيل ، وكان اختلافهم على امرأة ، ولا يزال هذا الصراع إلى يوم القيامة .

فكلما انحرف الإنسان عن تعاليم الله ورسله ضلَّت شهوتُه ، فانقلبت شهوةُ بقاء الجنس البشري إلى مصلحةٍ للرجل تحقق له اللذة مستعبداً أو مستذلاً أو محتقراً المرأة. . . فتصبح المرأة ألعوبة في يده وتحاول المرأة أن تنتقم من الرجل فتغريه وتغويه بمفاتن جسدها وتحقيق الشهوة للرجل وإمتاعه . . .

الغاية من هذا المبحث أن لا تستكين المرأة المسلمة ولا تقبل بأي إنقاصٍ لكرامتها وإنسانيتها التي منحها الله إياها ، ولا تقبل أن تعامل معاملة دونية من الرجل ، وأن لا تكون متعة للرجل ، بل هي أم الرجال وأم الحياة ، فلولا المرأة لعدمت الحياة ، وتوقَّف النسل ، وكلُّ ما أصيب به المجتمع الإسلامي من أمراض ناتجٌ عن ضعف الإيمان وعدم الالتزام بشرع الله مما جعله يقلد الغرب الذي بنى مدنيته على اللذة والمصلحة ، فأصبحت عنده المرأة سلعة لتحقيق لذته وشهوته ، فإذا قضى منها شهوته رماها للشوارع والطرقات ، حتى أصبحت المرأة العانس تحبذ أن يتخذ زوجها الخليلات على مرأى منها ولا يتركها بعد أن استنفد شبابها ونضارتها وقوتها ، وارتفع عدد الأولاد المشردين الذين لا يعرف آباؤهم حتى قارب في بعض الدول مثل الولايات المتحدة أكثر من ٤٠٪ .

فالمرأة هي الحياة التي خلقها الله فيجب أن تعود لدورها ، أن تكون مدرسة السعادة والخير

الأمُّ مـــدرســـةٌ إذا أعـــدَدْتَهـــا   أعـــدَدْتَ شعبـــاً طيِّـــبَ الأعـــرَاقِ

وقد ذُكر سابقاً أن الإسلام أعلى من شأن المرأة ، وأن القرآن جعل تكاملاً بين المرأة والرجل ، وأنهما اشتركا في الخطيئة التي أخرجتهما من الجنة ، وتسرَّبت أقوالٌ بحق المرأة من اليهودية والنصرانية ، وأن حواء أغوت آدم لكي يأكل من الشجرة التي أمرهما الله

بأن لا يقرباها ، وأن الحية هي التي أغوت حواء ، فلعنها الله ، وأن المرأة تحمل خطيئة أمها حواء إلى يوم القيامة ، وقد جاء في التوراة أن المرأة أشدُّ من الموت ، والمرأة في جميع نصوص التلمود هي الأداة التي يتخذها الشيطان وسيلة لإيقاع الإنسان في الشر ، ويقول اليهود : المرأة في المحيض نجسة تُحبس في البيت ، فكل ما تمسه من طعام أو كساء أو إنسان أو حيوان ينجس ، وفي التوراة : لقد بدأ الذنب من طرف المرأة ، والمرأة هي التي توجب موتنا ، وفي اليهودية كانت البنت تُخرج من ميراث أبيها إذا كان له عقب من الذكور ، وأن البنت التي يؤول إليها الميراث لا يجوز لها أن تتزوج من سبط آخر ، بينما كانت المرأة في مصر القديمة (تحظى بمكانة عالية فوق الأرض وفي السماء ، وكانت تُنسب إليها أطفالها ، وكانت إلهة العدل مؤنثة في مصر القديمة واسمها (معات) . . . حتى جاء أرسطو (٣٨٤ـ٣٢٢) قبل الميلاد ، الذي قَسَّم الموجودات في المجتمع إلى قسمين : أ ـ الأشخاص ، وهم الأسياد والرجال الملاك الذين خلقوا للأنشطة النبيلة والمعرفة الفكرية والفلسفية ، ب ـ الأشياء وهم العبيد والنساء والحيوانات الذين خلقوا للأعمال الجسدية حسب طبيعتهم ، وخلقت المرأة بطبيعتها من أجل الولادة لحفظ النوع)[1] ، وهناك أقوال كثيرة في المسيحية ، ترى أن المرأة مدخل الشيطان وشر لابد منه ، وفتنة مهلكة وشر عليه طلاء ، وجاء في مجمّع ماكون المنعقد في القرن الخامس الميلادي : ليقرر أن المرأة جسد لا روح فيها وأنها خالية من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا السيدة العذراء ، وعقد الفرنسيون مؤتمراً عام ٥٨٦م قرروا فيه أنها إنسان خلق لخدمة الرجل فقط ، حتى الثورة الفرنسية التي تفتخر بها أوربا المسيحية اعتبرت المرأة إنساناً قاصراً ، وبقيت المرأة المسيحية إلى سنة ١٨٨٢م محرومة من حقها الكامل في العطاءات وحرية المقاضاة ، كما كان تعلّم المرأة سبّة تشمئز منها النساء قبل الرجال ، وكان القانون الكنسي والقانون المدني عندهم يجيز ضرب الزوجة .

لقد تسربت أخطاء إهانة المرأة ، وأنها شيطان إلى الثقافة الإسلامية عن طريق الأحاديث المدسوسة والضعيفة ، والتي سنناقش بعضها فيما يلي .

ولقد أصيب المجتمع الإسلامي بانحرافٍ عن الدين ولا يزال ، وقد ظهرت فيه تأويلات خاطئة لأحاديث نبوية صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة أو أقوال لا سند لها تجاه

---

(١) المرأة والدين والأخلاق ، د . نوال السعداوي ، (دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م) ، ص (٢٣) وما بعدها .

المرأة ، وقصروا وظيفة المرأة على الجانب الحيواني والشهواني ، بهدف عزل المرأة عن الحياة وإبقائها متعة للرجل مسلوبة من كلِّ اختيار ، مزدرين فطرة الأنوثة ، ومهينين كرامة المرأة وإنسانيتها ، مرددين أقوالاً في حق المرأة استخفافاً بها مثل : النساء أكثر أهل النار ، وناقصات عقل ودين ، وخلقن من ضلعٍ أعوج ، وتعليمها حرام ومعصية ، وذهابها إلى المسجد محظور ، والمرأة لا تخرج إلا ثلاث مرات ، من بطن أمها إلى العالم ، ومن بيت أبيها إلى الزوج ، ومن بيت زوجها إلى القبر ، والمرأة يجب ألا ترى الرجال ولا يراها الرجال ، وحبسوا المرأة عن الحياة مؤولين لآيات وأحاديث ، وهي مأمورة بعبادة زوجها والسجود له مهما كان بعيداً عن الفطرة وتعاليم الدين ، ومخالفة المرأة بركة وخير ، فحُرمت من الميراث عند بعضهم ، وهضموا حقوقها ، واعتبروها كلها عورة حتى كلامها ، ولن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة ، وهناك أقوال نقلت من اليهود والمسيحين وكتبهم المحرَّفة ، فالمرأة أحبولة الشيطان ، وشبكة إبليس في الإغواء والإضلال وجرثومة لكل شر ، وهي التي أخرجت آدم من الجنة ، وأنها وراء كل شر ، وهي ليست بشرية فهي لا ترث ، ولا تدخل الجنة ، ويستشهدون بقول الشاعر :

إنَّ النساءَ شياطينٌ خُلقنَ لنا ... نعوذُ بالله من شرِّ الشياطينِ

ولقد رُدّ على هذا بقول الشاعر :

إن النساءَ رياحينٌ خُلقنَ لنا ... وكلُّنا يشتهي شمَّ الرياحينِ

وهذا المبحث هو مناقشة لهذه الآراء المكذوبة أو المحرَّفة المخالِفة للفطرة الإلهية الربانية .

المطلب الأول : النساء أكثر أهل النار ، وناقصات عقل ودين ، وخلقْنَ من ضلع أعوج

أولاً ـ الحديث الأول :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : انخسفت الشمسُ . . . فصلَّى رسولُ الله ﷺ فقام قياماً طويلاً . . . ثم انصرفَ وقد تجلَّت الشمسُ فقال ﷺ : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله لا يخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » ، قالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك

كعكعت[1] ، قال ﷺ : « إني رأيتُ الجنةَ فتناولتُ منها عنقوداً لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيتُ النَّار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء » ، قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : « بكفرهن » ، قيل : يكفرن بالله ؟ قال : « يكفرنَ العشيرَ ويكفرنَ الإحسان ، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدَّهرَ كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط »[2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمرَّ على النساء فقال : « يا معشر النساء تصدَّقنَ ـ وفي رواية مسلم : وأكثِرْنَ الاستغفار ـ فإني أُريتكُنَّ أكثر أهل النار ، فقلن : وبِمَ يا رسول الله ؟ قال : « تُكثرنَ اللعن وتَكفُرنَ العشير »[3] .

أولاً : الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم .

ثانياً : أكثر أهل النار النساء له عدة تفاسير ـ والله أعلم ـ

١ـ النساء أكثر من الرجال في واقع الحياة ، فقد أثبت العلم الحديث أنَّ نسبة النساء أعلى من الرجال ، فالنساء يشكلن ٥٢٪ من مجموع سكان الأرض والرجال يشكّلون ٤٨٪ ، فهذا الحديث يقرر حقيقة علمية اكتشفها العلم الحديث ، وبالتالي ستكون نسبة النساء أعلى من الرجال في الجنة والنار .

٢ـ (صدق الحافظ ابن حجر إذ يقول : ووقع في حديث جابر رضي الله عنه ما يدل أن المرئيَّ في النار من النساء من اتصف بصفاتٍ ذميمةٍ ، ذُكرت ، ولفظة : وأكثر من رأيت فيها من النساء اللاتي إن اؤتمنّ أفشينَ ، وإن سُئلْن بَخِلْنَ ، وإنْ سُئلن أَلحفنَ ، وإن أُعطين لم يشكرنَ)[4] ؛ (وهذا يذكر بقول الرسول ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »[5] فماذا قلل الأغنياء ؟ إنه بما كسبت أيديهم من أخذ مال حرام أو

---

(١) كعكعت : تأخرت . ينظر لسان العرب لابن منظور ، (٨/ ٣١٢) .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف جماعة ، رقم (١٠٠٤) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الكسوف ، باب ما عرض على النبي في صلاة الكسوف ، رقم (٩٠٧) ، عن ابن عباس .

(٣) **صحيح البخاري** ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، رقم (٢٩٨) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات ، رقم (٧٩) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٤) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، **ابن حجر العسقلاني** ، (٢/ ٥٤٢) .

(٥) **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب كفران العشير ، رقم (٤٩٠٢) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، رقم (٢٧٣٧) ، عن عمران بن حصين .

إنفاقه في حرام أو بخل به وحبسه عن وجوه الخير)[1] .

٣ـ والحديث الشريف يصف حالةً رآها النبي ﷺ في زمانه ، وقبل استكمال الشريعة الإسلامية ، فيحدد (ورأيت النار ، فلم أر منظراً كاليوم قط) فهو يصف حالة راهنة في ذلك الوقت ، ويعالج مرضاً كان بين الناس قبل الإسلام ، ليتقي المجتمع ما يؤدي إلى النار .

٤ـ والحديث الشريف يصف سبباً للنساء اللاتي رآهن النبي ﷺ في النار ، وجاءت أحاديث تؤيد ذلك (فالزوجة إما أن تكون جنةً للرجل أو ناراً) .

٥ـ والحديث الشريف ذكر مرضين (كفر العشير ، وكفر الإحسان) وهما يدلان على سرعة العاطفة عند النساء ، لأنّ عاطفة المرأة أشدُّ من الرجل هذه العاطفة هي التي جعلتها تحب الإنجاب مع شدة ما تلاقيه من عذاب الحمل والولادة وتحنو على أولادها ، بل تحنو على زوجها فتكون سكناً له ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم ٣٠/ ٢١] ، (كثير من البحوث التي استُخِدم فيها مقاييس التقدير الذاتي للشخصية ، والتي طُبِّقت على مجموعة من الذكور والإناث الكبار ، بينت أن هناك فروقاً بين الجنسين في النواحي الانفعالية . . . وكان من نتائج تطبيق أحد البحوث أنه تبين أن الرجال بالتأكيد أكثر ثباتاً من النساء ، وأنهم أقلُّ تعرضاً للعصاب . .)[2] .

٦ـ وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (أكثرنَ من الصدقة) ، وفي رواية مسلم (أكثرن من الاستغفار) ، ومن هنا عالج الحديث العاطفة إذا شذَّت أو مرضت أو انحرفت ، حيث إن هذه العاطفة المنحرفة تدفعُ إلى التملك والأنانية ، فعالج هذا المرض بأمرين بالصدقة وبالاستغفار . . .

فالحديث يقرر أنَّ نسبة النساء أكثر من الرجال في الدنيا وفي الآخرة ، وأنَّ المرئيَّ في النار من النساء من اتصف بصفات ذميمة ، وهو يصف حالة رآها النبي ﷺ في زمانه قبل استكمال الشريعة ، فالمرأة غير الملتزمة بتعاليم الله هي نارٌ لمن حولها .

---

(١) تحرير المرأة في عصر الرسالة ، عبد الحليم أبو شقة ، (دار القلم للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، (١/ ٢٤٣) .

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة ، أبو شقة ، (١/ ٢٨٢) .

كما يقرر الحديث أنّ المرأة تتميز عن الرجل بخلقِها العضوي الخَلْقي (الفيزيولوجي) ويظهر ذلك بشدة العاطفة على حساب عقلها ، لأنها سَكَن للزوج والأولاد ، ويتميز الرجل بشدة عقله لأنه مسؤول عن القوامة وعن مصارعة قسوة الحياة لتأمين الحاجيات ، فهو أقل عاطفة من النساء ، وقرر الحديث الشريف علاجاً للعاطفة الجامحة بالصدقة والاستغفار .

ثانياً ـ الحديث الثاني : ناقصات عقل ودين .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمرَّ على النساء فقال : « يا معشر النساء. . . ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب لِلُبِّ الرجلِ الحازمِ من إحداكن » ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل » ؟ قلن بلى ، قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم » ؟ قلن : بلى ، قال : « فذلك من نقصان دينها »[1] .

أولاً : الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم .

ثانياً : هذا الحديث هو منتهى المدح للمرأة لا الذم ، ويتحدث عن الخصائص العقلية والنفسية لكلٍّ من الرجل والمرأة التي أيدها العلم الحديث .

(إن النص يحتاج إلى دراسة وتأمُّل سواء من ناحية المناسبة التي قيل فيها أو من ناحية مَن وُجِّه إليه الخطاب ، أو من حيث الصياغة التي صيغ بها الخطاب وذلك حتى نتبين دلالته على معالم شخصية المرأة ، فمن ناحية المناسبة فقد قيل النَّص خلال عظةٍ للنساء في يوم عيد ، فهل نتوقع من الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم أن يغضَّ من شأن المرأة أو يحطَّ من كرامتها أو ينتقص من شخصيتها في هذه المناسبة البهيجة !! ومن ناحية من وجِّه إليه الخطاب فقد كنَّ جماعة من نساء المدينة ، وأغلبهن من الأنصار اللائي قال فيهن عمر بن الخطاب :

(فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، رقم (٢٨٩) ؛ صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات ، رقم (٨٠) ، عن أبي سعيد الخدري .

الأنصار)[1] ، وهذا يوضح لماذا قال الرسول الكريم : (ما رأيت أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن) .

أما من حيث صياغة النَّص فليست صيغة تقرير قاعدة عامة أو حكم عام ، وإنما هي أقرب إلى التعبير عن تعجُّب رسول الله ﷺ من التناقض القائم في ظاهرة تغلُّب النساء ـ وفيهن ضعف ـ على الرجال ذوي الحزم ، أي التعجب من حكمة الله ، كيف وضع القوة حيث مظنة الضعف ، وأخرج الضعف من مظنة القوة ! لذلك نتساءل : هل تحمل الصياغة معنىً من معاني الملاطفة العامة للنساء خلال العظة النبوية ؟ وهل تحمل تمهيداً لطيفاً لفقرة من فقرات العظة وكأنها تقول : أيتها النساء إذا كان الله قد منحكن القدرة على الذهاب بلُبِّ الرجل الحازم برغم ضعفكن فاتّقين الله ولا تستعملنهَا إلا في الخير والمعروف.

وهكذا كانت كلمة ـ ناقصات عقل ودين ـ إنما جاءت مرة واحدة وفي مجال إثارة الانتباه والتمهيد اللطيف لعظة خاصة بالنساء ، ولم تجئ قط مستقلة في صيغة تقريرية سواء أمام النساء أو أمام الرجال)[2] .

(إن من أوضح ما يدل عليه سياق الحديث ، أنه ﷺ وجّه إلى النساء ، فكلامه على وجه المباسطة التي يعرفها ويمارسها كلٌّ منا في المناسبات ، ولا أدل على ذلك من أنه جعل الحديث عن نقصان عقولهن توطئة وتمهيداً لما يناقض ذلك من القدرة التي أوتينها ، وهي خلب عقول الرجال والذهاب بلبِّ الأشداء من أولي العزيمة والكلمة النافذة منهم ، فهو كما يقول أحدنا لصاحبه : فقير ويتأتى منك كل هذا الذي يعجز عنه الآخرون)[3] .

ناقصات عقل ودين ، لقد ميز الله المرأة عن الرجل بغلبة عاطفتها على عقلها الحياتي ، وميَّز الله الرجل بغلبة عقله الحياتي على عاطفته ، ليتكاملا ، فالمرأة مسؤولة أن تكون سكناً للأسرة بعاطفتها وحنانها ، والرجل مسؤول أن يدير الحياة فيتطلب عقلاً حياتياً . .

ونقص الدين : يطرأ على المرأة ما لا يطرأ على الرجل من (حيض ونفاس وحمل وولادة ورضاعة) ، فكان لها أحكام خاصة في العبادات تتميز عن الرجل في صلاتها

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، رقم (٤٨٩٥) ؛ صحيح ابن حبان ، كتاب النكاح ، باب معاشر الزوجين ، رقم (٤١٨٧) ، عن ابن عباس .

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة ، أبو شقة ، (١/ ٢٧٥ـ٢٧٦) .

(٣) المرأة ، د . البوطي ، ص (١٧٣) .

وصومها وطواف الحج ، إذا كانت في حيض ونفاس ، فجاء الحديث النبوي يحدد ذلك : (أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم) كما يؤثِّر ذلك على نفسيتها وعاطفتها وعقلها ، فالمرأة والرجل متساويان في :

أ ـ المسؤولية الإنسانية ، أي تحمُّل الإنسان مسؤولية عمله ومحاسبته عليها في الآخرة وهذه مقررة في الكتاب العزيز .

ب ـ المسؤولية الجنائية ، وتحمُّل العقوبات الجزائية في الدنيا عن السلوك المنحرف وهذه مقررة في الكتاب العزيز .

ج ـ المسؤولية المدنية وحق التصرف في الأموال وعقد العقود والولاية على القصر وهذه يقرُّها عامة الفقهاء بأدلتها من الكتاب والسنة .

د ـ مسؤولية تولّي القضاء في الأموال وهذه يقرُّها أبو حنيفة .

هـ ـ مسؤولية رواية السنة المبينة للكتاب ، وهذه يجمع عليها علماء المسلمين . . .

(وقد تبين من هذا البحث أن الإناث حصلن على أعلى المتوسطات في كل من الميل الاجتماعي والجمالي والديني ، في حين اتضح اهتمام الذكور بالميل الاقتصادي والنظري والسياسي ، وطبيعي أن هذه النتائج يمكن تفسيرها في ضوء الظروف البيئية واختلاف التقاليد عند الجنسين ، وما ينتظره المجتمع من كلٍّ من الفريقين . . .

وقد تبين أن هناك فروقاً كبيرة بين الجنسين في معظم الصفات الجسمية ، ومنها بناء الجسم بما في ذلك الهيكل العظمي ، والتكوين العضلي العام سواء في ذلك العضلات الكبيرة أو الدقيقة ، وكذلك يختلف الجنسان في الوظائف الفسيولوجية والتكوين الكيميائي لبعض الإفرازات ، وربما يمكن أن ترجع بعض الاختلافات السيكولوجية إلى تلك الفروق الجسمية . . .)[1] .

ومن أجل هذه الفروق التي أثبتها العلم الحديث ، وخوفاً من النسيان والسهو اللذين قد يصيبان المرأة لتكوينها أو لما يطرأ عليها من آلام الحيض والولادة ، كانت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ، فلو كانت هناك حالة مستعجلة وبحاجة لشهادة المرأة ، وكانت المرأة في حالة ولادة وتعتريها آلام الطلق والولادة ، فكيف تكون شهادتها ، وهي في الأغلب تفقد إرادتها وتركيزها وضبطها لحركاتها وانفعالاتها . . . وكذلك كثير من النساء

---

(١) تحرير المرأة في عصر الرسالة ، أبو شقة ، (١/ ٢٧٦) وما بعدها .

عندما يعتريهن الحيض يصبنَ بوهنٍ وضعف واضطراب نفسي ، فيكون تفكيرهن منصبّاً على حالتهن التي هنَّ بها ، ويضعف تركيزهن . . . ولهذا كانت شهادة المرأة الثانية تعاضد شهادة المرأة الأولى ، قال تعالى : ﴿ . . . وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ . . . ﴾ [البقرة ٢/ ٢٨٢] ، أمّا ما يتصل بالنساء خاصة ، كالحيض والولادة وعيوب النساء والرضاع فهي مقبولة وخاصة بالنساء دون الرجال ، وظاهر الآية والأحاديث أنَّ شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في كل موضع تقبل فيه شهادة الرجل ، وهذا مذهب ابن حزم ، أمّا باقي المذاهب فهناك اختلافات في موضوع الديون والأموال والحدود والقصاص .

ثالثاً ـ الحديث الثالث : «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[١] :

وقيل في شرح الحديث : (أي لكثرة حقوقه عليها وعجزها عن القيام بشكرها ، وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها ، فإن السجدة لا تحل لغير الله)[٢] ، وقيل : (فيه تعليق الشرط بالمحال لأن السجود قسمان سجود عبادة وليس إلا لله وحده ولا يجوز لغيره أبداً ، وسجود تعظيم وذلك جائز ، فقد سجد الملائكة لآدم تعظيماً وأخبر المصطفى ﷺ أن ذلك لا يكون ولو كان لجُعل للمرأة في أداء حق الزوج . . . وفيه تأكيد على حق الزوج والحث على ما يجب من بره ووفاء عهده والقيام بحقه ولهنَّ على الأزواج ما للرجال عليهن)[٣] .

وفي رواية للحديث السابق فقد ورد عن النبي ﷺ « كان أهل بيتٍ من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ، وأنَّ الجملَ استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب الرضاع ، باب حق الزوج على الزوجة ، رقم (١١٥٩) ؛ سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج ، رقم (١٨٥٢) ، وقال الترمذي : حديث حسن ، وفي الباب عن معاذ بن جبل وسراقة بن مالك بن جعشم وعائشة وابن عباس وعبد الله بن أبي أوفى وطلق بن علي وأم سلمة وأنس وابن عمر ، وقال الألباني : حسن صحيح .

(٢) تحفة الأحوذي ، المباركفوري ، (المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٣هـ) ، (٤/ ٢٧١) .

(٣) فيض القدير ، المناوي ، (٥/ ٣٢٩) .

عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فقاموا ، فدخل الحائط والجمل في ناحية ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار : يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكَلِبِ ، وإنَّا نخاف عليك صولته ، فقال : ليس عليَّ منه بأس ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته ، أذلّ ما كانت قط حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال : لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه »[1] ، فهذا الحديث ورد فيما كان وروده في سياق الحديث عن معجزات النبي ﷺ ، وهو جاء من باب ضرب المثل للزوجة في طاعتها لزوجها ، ويجب فهم الحديث على ضوء وصية الزوجة بالزوج وبالعكس مثل قوله ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال »[2] ، وقوله : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي »[3] ، وفي رواية : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساءَ إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم »[4] ، وقوله ﷺ « إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله »[5] ، وقوله ﷺ : « اتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم

---

(١) **مسند الإمام أحمد** ، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، باب مسند أنس بن مالك ، رقم (١٢٦٣٥) ؛ **مجمع الزوائد** ، **الهيثمي** ، كتاب علامات النبوة ، باب في معجزاته ، رقم (١٤١٥٣) ، وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح دون قوله والذي نفسي بيده .

(٢) **سنن أبي داود** ، كتاب الطهارة ، باب الرجل يجد البلة ، رقم (٢٣٦) ؛ **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٦٢٣٨) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن لغيره .

(٣) **سنن الترمذي** ، كتاب المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ ، رقم (٤٢٩٦) ، عن السيدة عائشة ؛ **سنن ابن ماجة** ، كتاب النكاح ، باب حسن معاشرة النساء ، رقم (٢٠٥٣) ، عن ابن عباس ، وقال أبو عيسى : حديث حسن غريب صحيح .

(٤) **كنز العمال** ، **المتقي الهندي** ، كتاب المواعظ ، باب في حقوق متفرقة ، رقم (٤٤٩٤٣) ، وقال : رواه ابن عساكر عن علي ، وقال الألباني : حديث موضوع .

(٥) **سنن الترمذي** ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في استكمال الإيمان ، رقم (٢٨٢٠) ؛ **مسند الإمام أحمد** ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث السيدة عائشة ، رقم (٢٤٢٥٠) ، ، عن عائشة رضي الله عنها ، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح لغيره .

فروجهن بكلمة الله ، إن لكم عليهن حقاً ولهن عليكم حقاً »[1] .

رابعاً ـ الحديث الرابع : المرأة خلقت من ضلع أعوج :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء »[2] .

أولاً : الحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم .

ثانياً : الحديث يتضمن عدة أمور :

١ـ الوصية بالنساء وقد وردت في الحديث الوصية بالنساء مرتين في أوله وآخره وذلك للمبالغة في الوصية ، وستتأكد هذه الوصية في أحاديث كثيرة .

٢ـ خلقت من ضلع أعوج ، وهذا يؤكد على ما ورد في الحديث السابق (ناقصات عقل ودين) ، ويشير إلى تميز المرأة عن الرجل في الخَلق . . . وهي غلبة العاطفة عليها .

٣ـ لن يستقيم لك على طريقة . . . التأكيد على تغلُّب العاطفة ، وسرعة الانفعال كما مر سابقاً بالحديث (يكثرن اللعن ويكفرن العشير) . .

٤ـ جاء في أحاديث أن حواء خلقت من ضلع آدم ، فهي جزء منه وليست منفصلة عنه ، فهما يكمّلان بعضهما .

٥ـ خلقت من ضلع أعوج ، أي من عاطفة لرعاية زوجها وأولادها .

٦ـ التأكيد على الرجل بالصبر على زوجته ، لاختلاف الطباع والعاطفة والعقل ، فإن اختلاف الطباع والعاطفة لا يستوجب الطلاق ، وإن شدة العاطفة قد تصل إلى انفعال غير مضبوط من المرأة ، وجاء في الحديث : « لا يفركُ مؤمنٌ مؤمنةً ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر »[3] .

---

(١) **صحيح مسلم** ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ، رقم (٣٠٠٩) ؛ **سنن أبي داود** ، كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي ﷺ ، رقم (١٩٠٧) ، وكلاهما عن جابر بن عبد الله .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى ، رقم (٣١٥٣) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، رقم (١٤٦٨) ، عن أبي هريرة .

(٣) **صحيح مسلم** ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، رقم (١٤٦٩) ؛ **مسند الإمام أحمد** ، كتاب مسند المكثرين ، باب مسند أبي هريرة ، رقم (٨٣٤٥) ، عن أبي هريرة .

وأخيراً : فالأحاديث الأربعة الصحيحة يكمّل بعضها بعضاً ، وتتحدث عن المرأة وعاطفتها وتعالج انفعال العاطفة أو شذوذها إن حصل مع مطالبة الكل بالوصية بالنساء .

المطلب الثاني : أحاديث منسوبة للنبي ﷺ صحيحة ولكن لم يفهم معناها أو موضوعة أو ضعيفة وأقوال لا سند لها

وهي أحاديث يكثر تداولها على ألسنة الناس وتنمُّ عن الارتياب في عقل المرأة ودينها ، وهي من بقايا جاهلية قديمة وغيرها من النِّحل ، أو تسربت من أتباع اليهودية والنصرانية الذين أهانوا المرأة وسلبوا منها كرامتها ، وينبغي على المسلمين أن يتبرّؤا منها ، ولكنها ثابتة في عقول كثير من الناس مما أدى إلى طغيان كثير من التصوّرات الباطلة عن شخصية المرأة ، ومن هذه الأحاديث :

١ـ « لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة »[١] ، وهذا الحديث ذكر في معرض الحديث عن الأعداء وهم الروم عندما ولوا أمرهم امرأة ، فالروم ليسوا مسلمين وذكر هذا الحديث بحقهم .

٢ـ « لا تعلِّموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغُرَف »[٢] ؛ فهذا حديث موضوع مكذوب وهو يتعارض مع أحاديث صحيحة مثل قوله ﷺ : « طلب العلم فريضة »[٣] ، « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[٤] .

٣ـ « طاعة المرأة ندامة »[٥] ؛ وهو حديث باطل لا أصل له ويتعارض مع النصوص

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي إلى كسرى ، رقم (٤١٦٣) ؛ **سنن الترمذي** ، كتاب الفتن ، باب منه ، رقم (٢٢٦٢) ، عن أبي بكرة .

(٢) **المستدرك على الصحيحين** ، **للحاكم** ، كتاب التفسير ، باب سورة النور ، رقم (٣٤٩٤) ، **المعجم الأوسط للطبراني** ، الجزء السادس ، رقم (٥٧١٣) ، عن عائشة ، وقال الذهبي : موضوع ، **والهيثمي في مجمع الزوائد** ، رقم (٦٤٣٠) : فيه رجل كذاب ، وقال الشوكاني **في الفوائد المجموعة** ، كتاب النكاح ، رقم (٢٧) : فيه رجل كان يضع الحديث وفي إسناد الحاكم رجل متروك .

(٣) **سنن ابن ماجة** ، كتاب في الإيمان والفضائل ، باب فضل العلماء ، رقم (٢٢٤) ؛ **المعجم الأوسط للطبراني** ، رقم (٩) ، وكلاهما عن أنس بن مالك ، وقال الألباني : صحيح .

(٤) **صحيح البخاري** ، كتاب الجمعة ، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل ، رقم (٨٥٨) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المسجد ، رقم (٤٤٢) ، عن ابن عمر .

(٥) **كنز العمال** ، **المتقي الهندي** ، كتاب المواعظ ، باب في الترهيب عن النكاح ، رقم (٤٤٤٩٤) ؛ عن =

القرآنية والنبوية في موضوع التعاون على البر والتقوى ، قال تعالى : ﴿ . . . وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ . . ﴾ [المائدة ٥/ ٢] .

٤ـ « لولا النساء لعُبد الله حقاً »[1] ؛ وهو حديث ضعيف متروك منكر ، ويتعارض أيضاً مع قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات ٤٩/ ١٣] ، وغيره من النصوص الكثيرة .

٥ـ « شاوروهن وخالفوهن »[2] ؛ وهو باطل لا أصل له ، وهو يتعارض مع قوله تعالى : ﴿ . . . وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ [الشورى ٤٢/ ٣٨] ، وقوله تعالى : ﴿ . . . وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران ٣/ ١٥٩] ، ألم يضرب الله مثلاً للمؤمنين مريم عليها السلام وآسية وأم موسى . . . وفي كثير من الأمور أخذ الرسول ﷺ برأي زوجاته .

٦ـ « هلكت الرجال حين أطاعت النساء »[3] ، وهو حديث ضعيف .

٧ـ « أعدى عدوك زوجتك »[4] ؛ وهو حديث ضعيف ، وإذا كانت عدوة ، فلماذا الزواج والإنجاب ، ألم يجعلها الله سكناً وجعل بين الزوجين المودة والرحمة .

= زيد بن ثابت ، وقال **الشوكاني في الفوائد المجموعة** ، كتاب النكاح ، رقم (٣٢) : رواه ابن عدي عن زيد بن ثابت مرفوعاً وفي إسناده عنبسة بن عبد الرحمن وليس بشيء وعثمان بن عبد الرحمن الطرائفي لا يحتجُّ به ، وقد رواه العقيلي عن عائشة عن النبي ﷺ قال : (طاعة النساء ندامة) وفي إسناده محمد بن سليمان بن أبي كريمة ، قال العقيلي : حدث عن هشام ببواطيل لا أصل لها منها هذا الحديث .

(١) **كنز العمال ، المتقي الهندي** ، كتاب المواعظ ، باب الترهيب عن النكاح ، رقم (٤٤٤٩٨) ، عن عمر ، وقال **الشوكاني في الفوائد المجموعة** ، كتاب النكاح ، رقم (١) : رواه ابن عدي عن عمر مرفوعاً وفي إسناده متروكان ومنكر ، قال ابن عدي : هذا الحديث منكر لا أعرفه إلا من هذا الطريق . قال في اللآلئ : له شاهد رواه الثقفي في الثقفيات من حديث أنس : (لولا المرأة لدخل الرجل الجنة) ، وفي إسناده بشر بن الحسين وهو متروك .

(٢) قال **السيوطي في الدرر المنتثرة** ، (١/ ٢٧١) : باطل لا أصل له ؛ **السلسلة الضعيفة للألباني** ، (١/ ٦٥٢) ، وقال : لا أصل له .

(٣) **المستدرك على الصحيحين للحاكم** ، كتاب معرفة الصحابة ، باب الأدب ، رقم (٧٧٨٩) ؛ **الطبراني في الأوسط** ، الجزء الأول ، رقم (٤٢٥) ، عن أبي بكرة ، وقال **الشوكاني في الفوائد المجموعة** ، كتاب النكاح ، رقم (٣٢) : أخرجه الحاكم والطبراني ، وقال : في إسناده عيسى بن إبراهيم الهاشمي وهو ضعيف جداً ، وقال **الألباني في السلسلة الضعيفة** (١/ ٦٥٠) : حديث ضعيف .

(٤) **كنز العمال ، المتقي الهندي** ، كتاب المواعظ ، باب الترهيب عن النكاح ، رقم (٤٤٤٨٣) وقال : رواه الديلمي في الفردوس عن أبي مالك الأشعري ، وقال **الألباني في السلسلة الضعيفة** (٦/ ٣٣١) : ضعيف .

٨ـ « خالفوا النساء فإن في خلافهن بركة »[١] ؛ وهو حديث ضعيف منقطع ، ومخالفة النساء تكون فيما يغضب الله ورسوله ﷺ ، لافيما يرضي الله ورسوله ؛ ألم يأخذ النبي ﷺ برأي أم سلمة بعد صلح الحديبية .

٩ـ « ولولا حواء لم تَخُن أنثى زوجها »[٢] ، والحديث صحيح ولكن الجهلة يفسرونه تفسيراً مغلوطاً ، والخيانة هنا بمعنى التحريض على مخالفة أمر الله تعالى .

١٠ـ « خيرٌ للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يراها الرجال »[٣] ؛ وهو حديث ضعيف ، ألم تكن المرأة المسلمة تحضر صلاة الجمعة والعيدين ، وتجاهد مع رسول الله ﷺ وتحضر مجالس العلم ، وكانت تجادل رسول الله ﷺ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في سورة المجادلة وتبايع رسول الله ، وتنشد الشعر بحضرته .

١١ـ « المرأة شرٌّ كلها وشرُّ ما فيها أنه لابد منها » ، وهذا قول باطل لا سند له مأخوذ من تحريف اليهود والنصارى. . .

١٢ـ « البنات من الكربات[٤] » ، وهذا قول باطل لا سند له .

١٣ـ « نعم الختن[٥] القبر » ، وهو قول باطل لا سند له .

١٤ـ « النساء حبائل الشيطان » ، قول باطل لا سند له في الحديث ، مأخوذ من تحريف اليهود والنصارى .

---

(١) **كنز العمال** ، **المتقي الهندي** ، كتاب الأخلاق ، باب المشورة ، رقم (٨٧٦٩) ، عن عمر ، وقال **الشوكاني في الفوائد المجموعة** ، كتاب النكاح ، رقم (٣٢) : في إسناده إبراهيم بن عيسى الهاشمي ضعيف جداً مع أنه منقطع .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى ، رقم (٣١٥٢) ، **صحيح مسلم** ، كتاب الرضاع ، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها ، رقم (١٤٧٠) ، وكلاهما عن أبي هريرة .

(٣) **مسند البزار** ، باب المرأة تشترط لزوجها أن لا تتزوج بعده ، رقم (٥٢٦) ؛ **مجمع الزوائد** ، **الهيثمي** ، كتاب النكاح ، باب أي شيء خير للمرأة ، رقم (٧٣٢٨) ، عن علي ، وقال : رواه البزار وفيه من لم أعرفهم ، وقال **العراقي في تخريج أحاديث الإحياء** ، (٢/ ٥٣) : رواه البزار عن علي بإسناد ضعيف .

(٤) الكربات لغة : الأماكن المرتفعة التي تحتاج لمشقة في الصعود ؛ وتطلق كناية عن الجهد والمشقة . ينظر **لسان العرب** ،**ابن منظور** ، مادة (كرب) ، (١١/ ٦٢٣) .

(٥) الختن : هو زوج بنت الرجل أي الصهر . ينظر : **لسان العرب** ، **ابن منظور** ، مادة (ختن) ، (١٠/ ٤٤٨) .

١٥ـ « كن من خيار النساء على حذر »[١] ، وهذا قول التوراة والإنجيل .

١٦ـ « لا عدوى ولا طيرة ، والشؤم في ثلاث ، في المرأة وفي الدار والدابة »[٢] ، والشؤم هنا الكره ، وخوفُ العاقبة منه ، فيكون من وراء ذلك تطليق المرأة ، وبيع الفرس والانتقال من البيت لعدم صلاحهم ، وهو تحذير ونهي عن التشاؤم والطيرة .

١٧ـ « عودوا النساء فإنها ضعيفة إن أطعتها أهلكتك »[٣] ، وهو قول لا أصل له .

١٨ـ « لا تقصُّوا الرؤيا على النساء »[٤] ، وهو حديث موضوع باطل .

١٩ـ « عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء المغزل »[٥] ، هو حديث موضوع متروك .

٢٠ـ « شهوة النساء تضاعف على شهوة الرجل »[٦] ، وهو قول غير معروف .

٢١ـ « فضلت المرأة على الرجل تسعة وتسعين من اللذة ولكن الله ألقى عليهن الحياء »[٧] ، حديث ضعيف جداً ، وهو مخالف للعلم .

---

(١) قال في **الدرر المنتثرة** : أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد عن أسماء بنت عبيد قالت : قال لقمان لابنه : يا بني استعذ بالله من شرار النساء وكن من خيارهن على حذر فإنهن لا يسارعن إلى خير بل هن إلى الشر أسرع ، **الدرر المنتثرة** ، **السيوطي** ، (١/ ٣٦٠) .

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب ، باب ، رقم (٤٨٠٧) ، **صحيح مسلم** ، كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل ، رقم (٢٢٢٥) ، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) **كشف الخفاء** ، **العجلوني** ، رقم (١٥٢٩) ، (٢/ ٥١٥) ، وقال : رواه العسكري عن معاوية ، وقال في تذكرة الموضوعات لا أصل له .

(٤) **قال الهندي في تذكرة الموضوعات** (١/ ١٦٧) عن عبد الملك موسى بن أيوب : حديث باطل ساقه بسند الصحيحين

(٥) كنز **العمال** ، **المتقي الهندي** ، كتاب البيوع ، باب أبواب الكسب ، رقم (٩٣٤٧) وقال : رواه ابن عساكر عن سهل بن سعد ، وقال **الهندي في تذكرة الموضوعات** (١/ ١٣٧) : لا يصح فيه كذاب وله طريق آخر فيه متروك ، وقال **الألباني في الجامع الصغير** : ضعيف .

(٦) **الفوائد** المجموعة ، **الشوكاني** ، وقال : ذكره في المقاصد ، وروى الطبراني عن ابن عمرو بلفظ (فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين من اللذة ولكن الله ألقى عليهن الحياء) ، رقم (٥٩) ، (١/ ١٣٦) ؛ **كشف الخفاء** ، **العجلوني** ، رقم (١٥٧٠) ، (٢/ ٥٥٦) ، وقال : لا يعرف .

(٧) **شعب الإيمان** ، **البيهقي** ، كتاب الرابع والخمسون من شعب الإيمان ، باب الحياء ، رقم (٧٧٣٧) ، عن أبي هريرة ؛ **الجامع الصغير** ، **السيوطي** ، رقم (٨٤١٢) ، وقال الألباني : ضعيف جداً .

٢٢ـ « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب بين مائة غراب »[1] ، وهو حديث ضعيف لا أصل له .

٢٣ـ « أجيعوا النساء جوعاً غير مضر ، وأعروهن عرياً غير مبرح ، لأنهن إذا سمنَّ واكتسين فليس شيء أحب إليهن من الخروج »[2] ، وهو قول لا أصل له .

٢٤ـ « أعروا النساء يلزمن الحجال »[3] ، موضوع لا أصل له .

٢٥ـ « استعينوا على النساء بالعري »[4] ، موضوع لا أصل له .

٢٦ـ « إذا كان آخر الزمان يجلس العلماء والفقهاء في البيوت ويظهر النساء ويقلن حدثنا وأخبرنا فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فأحرقوهن بالنار »[5] ، حديث موضوع لا أصل له .

٢٧ـ « النار خلقت للسفهاء ، ألا وإن السفهاء هن النساء إلا التي أطاعت »[6] ، وهو حديث موضوع لا أصل له .

٢٨ـ « النساء مصابيح البيوت ولكن لا تعلموهن »[7] ، حديث موضوع لا أصل له .

---

(١) **ذكر الهندي في تذكرة الموضوعات** (١/ ١٢٩) ، وقال : ضعيف .

(٢) **الفوائد المجموعة ، الشوكاني** ، رقم (٥٤) ، (١/ ١٢٥) ، وقال : لا أصل له ، وقال في **تذكرة الموضوعات** (١/ ٩٢٥) : عن ابن عباس ولا يصح .

(٣) **مجمع الزوائد ، الهيثمي** ، كتاب اللباس ، باب كسوة النساء ، رقم (٨٦١٦) ؛ **كنز العمال ، المتقي الهندي** ، كتاب المواعظ والخطب ، باب حقوق متفرقة ، رقم (٤٤٩٦٢) ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني عن مسلمة بن مخلد ، وفيه مجمع بن كعب ولم أعرفه ، وقال **الشوكاني في الفوائد** رقم (٥٤) ، (١/ ١٢٥) : لا أصل له ، وقال **في تذكرة الموضوعات** (١/ ٩٢٦) : موضوع .

(٤) **المعجم الأوسط ، الطبراني** ، رقم (٨٢٨٧) ، **مجمع الزوائد ، الهيثمي** ، كتاب اللباس ، باب كسوة النساء ، رقم (٨٦١٧) عن أنس ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه موسى بن زكريا وهو ضعيف ، وقال الشوكاني في **الفوائد** ، رقم (٥٤) ، (١/ ١٢٥) : لا أصل له ، وقال **الهندي في تذكرة الموضوعات** (١/ ٩٢٦) : موضوع .

(٥) **تذكرة الموضوعات ، الهندي** ، (١/ ١٧٨) ، وقال : مرفوع عن عائشة ، وهو موضوع .

(٦) **المعجم الكبير ، الطبراني** ، باب الصاد ، رقم (٧٨٧٤) ؛ **مجمع الزوائد ، الهيثمي** ،كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ، رقم (٧٦٧٣) ، عن أبي أمامة ، وقال : رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك .

(٧) **كشف الخفاء ، العجلوني** ، رقم (٢٨٠٥) ، (٢/ ١٨٠٣) ، وقال : هذا يجري على ألسنة الناس ولا أصل له .

٢٩ـ « النساء خُلقن من ضعف وعورة فاستروا عورتهن بالبيوت ، واغلبوا على ضعفهن بالسكون »[1] ، حديث ضعيف متروك لا أصل له .

٣٠ـ « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب »[2] ، حديث ضعيف .

٣١ـ « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان »[3] ومعناه : (لا يدخل أحد من المختالات المتبرجات الجنة)[4] .

٣٢ـ « عقولهن في فروجهن ـ يعني النساء ـ »[5] ، ليس بحديث فلا أصل له .

المطلب الثالث : المرأة وما قيل عنها في اليهودية والنصرانية

أولاً ـ المرأة في اليهودية :

المرأة في الديانة اليهودية (لعنة ينبغي التحرز منها والابتعاد عنها وعدم ائتمانها على سر أو أمر ، وقد جاء في التوراة تحذير منها : المرأة أشد من الموت ، والمرأة في معظم نصوص التلمود هي الأداة التي يتخذها الشيطان وسيلة لإيقاع الإنسان في الشر .

ويقول اليهود : المرأة في المحيض نجسة تحبس في البيت ، فكل ما تلمسه من طعام أو كساء أو إنسان أو حيوان ينجس ، وكل ما يفعله الرجل من أعمال لا أخلاقية قائمة على المرأة)[6] .

---

(١) **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، أبو الفرج بن الجوزي** ، تحقيق : خليل الميس ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ) ، كتاب الزكاة ، باب حديث مداراة النساء ، رقم (١٠٤٣) ، (٢/ ٦٣٢) ، عن ابن عباس وقال : لا يصح ، قال : يحيى بن إسماعيل ليس بشيء ، وقال : لا يثبت حديثه قد أجمع أصحابنا على الترك .

(٢) **المعجم الكبير ، الطبراني** ، باب الصاد ، رقم (٧٨١٧) ؛ **مجمع الزوائد ، الهيثمي** ، كتاب النكاح ، باب في المرأة الصالحة ، رقم (٧٤٤٠) ، عن أبي أمامة ، وقال : رواه الطبراني وفيه مطرح بن يزيد وهو مجمع على ضعفه .

(٣) **مسند الإمام أحمد** ، كتاب مسند الشاميين ، باب بقية حديث عمرو بن العاص ، رقم (١٧٨٦٠) ؛ **المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري** ، كتاب الأهوال ، رقم (٨٧٨١) ، عن عمرو بن العاص ، وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات ولكن تفرد به حماد بن سلمة .

(٤) **فيض القدير ، المناوي** ، (٥/ ٥١٥) .

(٥) **كشف الخفاء ، العجلوني** ، رقم (١٧٤٠) ، (٢/ ٧٣٠) ، قال : لا أصل له .

(٦) **المرأة في جميع العصور ، محمد عبد المقصود** ، ص ٤٢ .

وتعتبر اليهودية حواء هي المسؤولة عن الخطيئة حيث أكلت من الشجرة أولاً ثم أعطت آدم فأكل ، وحمّلها آدم المسؤولية حيث قال : (المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ)[١] .

(وما آلام الحمل والولادة في نظرهم إلا عقوبة متوارثة لجميع النساء بسبب خطيئة حواء ، كما أن المرأة وهي في حالة الحيض والنفاس نجسة لا يجوز مؤاكلتها أو الاقتراب منها ، فمن أكل معها أو اقترب منها فقد صار نجساً مثلها : (وحين تطهر من نجاستها ، فعليها أن تذهب إلى الكاهن ومعها يمامتان أو فرخا حمام وتعطيها إلى الكاهن فيعمل الكاهن واحدة ذبيحة خطيئة والأخرى محرقة، ليكفر عنها أمام الرب من سبل نجاستها)[٢] .

وتمتد فترة النجاسة عند النفساء إذا كانت المولودة أنثى ، ففي الأحكام الشرعية الإسرائيلية : (عندما تضع الأم ولداً تكون مدة النجاسة أربعين يوماً ، أما إذا وضعت بنتاً فمدة النجاسة ثمانون يوماً .

وفي الأحكام الشرعية : ما أسعد مَن رزقه الله ذكوراً وما أسوأ حظ من لم يرزقه بغير الإناث ، نعم لا ننكر لزوم البنات للتناسل إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء ، فالجلد والعطر كلاهما لازم للإنسان إلا أن النفس تميل إلى رائحة العطر الزكية وتكره رائحة الجلد الخبيثة فهل يقاس الجلد بالعطر)[٣] .

فالبنت في اعتقادهم شؤم على أهلها وعار على أبيها وأمها ، وعند طائفة الربانيين[٤] نجد في صلاة أتباعها يحمد الرجل الرب ويشكره لأنه لم يخلقه امرأة[٥] .

وفي سفر الخروج : للرجل الحق في بيع ابنته كرقيق : (وإن باع الرجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد)[٦] .

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، فقرة ١٣ .

(٢) سفر اللاويين ، الإصحاح ١٢ ، فقرة ١ـ٨ ؛ والإصحاح ١٥ ، فقرات ٢٨ـ٣٠ .

(٣) يراجع الأحكام الشرعية الإسرائيلية ـ نقلاً عن مركز المرأة في الشريعة اليهودية ، تأليف محمد عاشور ، (دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، د .ت) ، ص (٩٢) وما بعدها .

(٤) طائفة الربانيين هي أكبر الطوائف اليهودية عدداً وانتشاراً ، وهي تؤمن بكل ما جاء في التوراة والتلمود ، وهذه الطائفة تسلب المرأة حقها وتمتهن كرامتها ، شأنها في ذلك مثل سائر الطوائف اليهودية .

(٥) مركز المرأة في الشريعة اليهودية ، محمد عاشور ، ص (٨٦) .

(٦) سفر الخروج ، الإصحاح (٢١) ، فقرة (٨) .

(والمرأة اليهودية لا ترث من زوجها في حين يرثها زوجها ، وحين يموت الزوج دون أن يعقب ذرية من الذكور فإن المرأة تتزوج من أحد إخوة الميت لكي ينجب منها ولداً يحمل اسم الزوج المتوفى)[1] .

(ومن هنا فإنها تورث كما يورث المتاع ، وفي هذا ظلم واحتقار وامتهان للمرأة)[2] .

ثانياً ـ المرأة وما قيل عنها في النصرانية :

يعتبر حال المرأة عند المسيحيين امتداداً لحالها عند كثير من الأمم السابقة عليهم فهي عندهم تحمل لعنة أمها العليا حواء إلى يوم القيامة ، وفي العهد الجديد في رسائل بولس إلى ثيموثاوس : (على المرأة أن تتلقى التعليم بسكوت وخضوع ، ولست أسمح للمرأة أن تعلم ولا أن تتسلط على الرجل ، بل عليها أن تلزم الصمت ، ذلك لأن آدم كوِّن أولاً ، ثم حواء ولم يكن آدم هو الذي انخدع بمكر الشيطان ، بل المرأة التي انخدعت فوقعت في المعصية)[3] .

وسألت المرأة الأنباغريغوريوس قائلة : (لماذا تبقى النفساء بعيدة عن الأماكن المقدسة أربعين يوماً إذا ولدت ذكراً ، وثمانين يوماً إذا ولدت أنثى ، فأجاب الأنبا : الحكمة من هذا الاختلاف في الأم التي ولدت أنثى فهي على ما نعتقد بسبب أن حواء أخطأت أولاً وهي التي مدت يدها وأكلت من ثمرة الشجرة وسقطت ، وهذه للأسف حقيقة لا مفر من الاعتراف بها ولا سبيل لنا إلى إنكارها ، أو تبريرها)[4] .

ويقول ترتليان ـ أحد الخطباء النصارى المفوهين : (أما تعلمن أن كلاًّ منكنَّ حواء والجريمة بحكم الضرورة لا تزال قائمة ، أنتنَّ باب الشيطان ، أنتنَّ الآكلات من الشجرة . . . أنتنَّ أول من خالف الشريعة الإلهية)[5] .

---

(١) **مركز المرأة في الشريعة الإسرائيلية ، محمد عاشور** ، ص (١٥) ؛ يراجع سفر التكوين ، الإصحاح (٢٨) ، فقرات من (٦ـ١١) ، وسفرراعوث إصحاح (٤) ، فقرات (٩ـ١٠) ، وسفر التثنية إصحاح (٢٥) ، فقرات (٥ـ١٠) .

(٢) **المرأة في القصص القرآني ، الشرقاوي** ، (١/ ١٣٣ـ١٣٤) .

(٣) **الرسالة الأولى إلى ثيموثاس ، الإصحاح الثاني** ، فقرات (١٢ـ١٤) .

(٤) **المرأة في القصص القرآني ، الشرقاوي** ، (١/ ١٣٤) .

(٥) يراجع : **المرأة بين البيت والمجتمع للبهي الخولي** ، ص (٨) .

ويقول القس سان بول فنتورا لتلاميذه : (إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً ولا كائناً وحشياً ، وإنما الذي ترونه هو الشيطان)[1] .

ويقول الأب سبيريان : (إن المرأة شيطان يدخلك الجحيم من باب الجنة وهي الطريق الوحيد لارتكاب الأخطاء)[2] .

ويقول الأب جريجوري توما : (لقد بحثت عن العفة بينهنَّ ولكن لم أعثر على أي عفة ، يمكن أن تعثر على رجل ذي عفة وحياء من بين ألف رجل ولا يمكن أن تعثر على امرأة واحدة لها عفاف وخجل . . .

وكتب أسقف فرنسي : إن كل النساء بلا استثناء مومسات . . .

ويقول مارتين لوثر أحد زعماء الإصلاح في الكنيسة : (إذا تعبت النساء أو حتى ماتت فكل ذلك لا يهمّ ، دعهن يمتن في عملية الولادة فلقد خُلقن من أجل ذلك)[3] .

ويقول القديس كريستسوم : (أنها شر لابد منه وإغواء طبيعي وكارثة مرغوب فيها وخطر منزلي وفتنة مهلكة وشر عليه طلاء ، وفي القرن الخامس الميلادي اجتمع مجمع ماكون الكنسي للبحث في مسألة المرأة هل هي مجرد جسد لا روح فيه ، وبعد البحث قرر المجمع أنها تخلو من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا السيدة العذراء أم المسيح عليه السلام ، وعقد الفرنسيون مؤتمراً عام ٥٨٦م قرروا فيه أنها إنسان خلق لخدمة الرجل فقط ، واعتبرت الثورة الفرنسية المرأة إنساناً قاصراً ، وكانت تُباع في أسواق لندن من قبل الكنيسة عام ١٧٩٠ م ، وكانت محرومة من حقها في تملُّك العقارات وحرية المقاضاة والتعلم ، وأوجب عليها القانون الكنسي أن تكون خاضعة لزوجها كخضوع الخادمة أمام سيدها ، وكان القانون الكنسي يجيز ضرب الزوجة ويعطي الحق للزوج بالانتفاع بكل ما لزوجته من أملاك ومتاع)[4] .

---

(١) يراجع : **الأسرة تحت رعاية الإسلام** ، **الشيخ عطية صقر** ، ص (٣٢٥) .

(٢) يراجع : **المرأة في الميزان** ، **أمين سلامة** ، (دار النشر المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م) ، ص (٢٩) .

(٣) يراجع **المرأة والشرائع السماوية** : **إنجيل المرأة** ، **لكارين آرمسترونج** ، (مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٩م) ، ص (٣٣) ، نقلاً عن **مكانة المرأة للأستاذ أحمد عبد الوهاب** ، (مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م) ، ص (٢٣٠) وما بعدها .

(٤) **المرأة في جميع العصور** ، **محمد عبد المقصود** ، ص (٤٤) وما بعدها .

ومما سبق يتضح لنا نظرة اليهودية والنصرانية إلى المرأة تلك النظرة القاصرة الجائرة التي تدل على جور وقصور تلك الديانتين بسبب التحريف والتبديل الذي وقع في كتبهم[1] .

المطلب الرابع : الأعداء وشبهات حول المرأة

كثير من الافتراءات روّج لها أعداء الإسلام من استشراق وتبشير واستعمار وصهيونية مسيحية ودعاة عولمة والعلمانية وغيرهم ، كيداً للإسلام وحقداً عليه وعلى أهله ، لإحكام سيطرتهم على المسلمين وبلادهم. . . ووجدوا من أمضى الأسلحة تهديم الأسرة ، وتهديم التربية الإسلامية. . . حتى قالوا : (وليس ثمة طريقة إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة ـ ويقصد مدارس التبشير ـ)[2]. . . (فأراد الأعداء استخدام عنصر المرأة ليهدموا به قواعد التربية الإسلامية ، ويحوّلوها إلى أداة مفسدة ، ومصدر لغرس التربية الغربية في نفوس الناشئة الإسلامية ، وبذلك ينحسر سلطان الإسلام عن المجتمع الإسلامي مباشرة من المسلمين أنفسهم)[3] ، وقد أثار الأعداء عدة شبهات حول المرأة منها :

١ـ ميراث الرجل والمرأة :

في الجاهلية وفي الحضارات القديمة وفي أديانها، لا ترث المرأة من الرجل[4]، فلما جاء الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في كل شيء، ولم يستثن إلا ما دعت إليه الحاجة والضرورة، قال تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ . . .﴾ [النساء ٤/ ١١]،

---

(١) المرأة في القصص القرآني ، الشرقاوي ، (١/ ١٣٣ـ١٣٤) .

(٢) قول للمبشرة أنا ميليغان عن كلية البنات في القاهرة ـ راجع كتاب التبشير والاستعمار ، د . مصطفى الخالدي ، د . عمر فروخ (المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م) ، ص (٨٧) .

(٣) المرأة ، د . البوطي ، ص (١٢) .

(٤) قال الزعيم الهندي (جواهرلال نهرو في كتابه اكتشاف الهند) حيث قال : وأما وضع المرأة القانوني وفقاً لما يقوله (مانو) فقد كان سيئاً من غير ريب ، وكنَّ يعتمدن دائماً على الأب والزوج أو الابن ، إذ من المعلوم أن الميراث لديهم كان يذهب كله من موتى الذكور إلى أحيائهم دون الإناث ، وعلى كل حال فقد كان حال المرأة في الهند القديمة أفضل من حالها في بلاد اليونان القديمة ، أو في رومة القديمة ، أو في عهد النصرانية الأولى. . .) من كتاب المرأة في الإسلام ، د . محمد معروف الدواليبي ، ص (٢١) وما بعدها .

فالميراث الذي قرر فيه للذّكَرِ مثل حظ الأُنثيين ، لأن المرأة معفاة من التكاليف المالية قبل الزواج وبعده ، فقبل الزواج يلتزم أبوها بالإنفاق عليها ، وبعد الزواج زوجها ، والزوج يتحمل المهر ومسؤول عن الإنفاق على الزوجة والأولاد ، فالابن مسؤول عن الإنفاق على أبويه وزوجته وأولاده وأخوته ، وأقاربه الأدنى فالأدنى ، إن كانوا معسرين ، والمرأة معفاة من هذا الواجب ، قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٥] ، وكذلك يتحمل الزوج نفقة الزوجة إذا ما طلقت حتى تنتهي عدتها وكلفة الرضاعة ، ونفقة الأولاد ، وتقديم المهر ، بينما لو كانت له أخت فلا تتحمل شيئاً من الإنفاق ، والغرم بالغنم ، وإن التمييز الحاصل في الميراث بين الذكور والإناث من الأولاد مرده للأعباء الاقتصادية على الرجل في الحياة العائلية ، فالتفاوت في التبعات المالية هو الذي أدى إلى تفاوت في أنصبة الميراث .

أما الحالات التي لم توجب على الرجل مسؤوليات وواجبات ونفقات فكان إرثه مع الأنثى مساوياً ، فإذا ترك الميت أولاداً وأباً وأماً ، فيرث كل من أبويه سدس التركة دون تمييز أو تفريق ، قال تعالى : ﴿ . . . وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ . . . ﴾ [النساء ٤/١١] ، وكذلك إذا ترك الميت أخاً لأمه وأختاً لأمه من غير ما يحجبهما ، فإنهما يرثان السدس ، ﴿ . . . وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ . . . ﴾ [النساء ٤/١٢] ، كذلك لو ترك الميت عدداً من الإخوة لأم ، اثنين فصاعداً وعدداً من الأخوات لأم ثنتين فصاعداً ، فإنهم يرثون الثلث مشاركة ، ﴿ . . . فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِۚ . . . ﴾ [النساء ٤/١٢] ، وكذلك ترث البنت نصف تركة أمها ، بينما يرث والد الفتاة وهو زوج المتوفاة الربع ، وكذلك إذا ترك الميت زوجة وابنتين وأخاً له ، فإن الابنتين ترثان الثلثين والزوجة الثمن، والعمّ وهو شقيق الميت الباقي وهو خمسة من أربع وعشرين، وهو دون نصيب البنت في الآية : ﴿ . . . لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ . . . ﴾ [النساء ٤/١١]، خاصة فيما لو اجتمع من الورثة أخ عصبة مع أخت له فاثنتين فصاعداً ، عصّب الأخ أخته سواء كانا ولدين للميت أو أخوين له ، على أن يكون للذكر منهما ضعف ما تستحقه الأنثى . . . ولا تزال القوانين في أكثر دول الغرب لا تورث من الأولاد إلا الابن الأكبر الذكر وتحرم الباقين ، فلا تنال المرأة عندهم أي ميراث .

٢ـ تعدد الزوجات :

أجاز الإسلام الزواج بأربع نساء بشروط ولظروف خاصة ، كعدم اكتفاء الزوج بزوجة واحدة ، أو ضعفها ، أو عدم إنجابها ، أو مرضها المزمن أو كثرة النساء بعد الحروب ، أو لأمر يستحقّ أن يتزوج على زوجته ، فبدل أن يصبر ويبقى حبيساً على زوجة واحدة ويتحمل المشقة والعنت ، أو ينزلق فيرتكب الفاحشة أو الزنى ، أباح له الإسلام الزواج من أخرى ، لتحقيق المصلحة والابتعاد عن المفسدة ، ولكن الضرورات تُقدَّر بقدرها ، والتعدد بين المسلمين لا يتجاوز ١٠ بالألف ، ولقد انتشر الزنى في الغرب والعلاقات غير المشروعة وانتشرت الأمراض كالإيدز من الزنى ، وتعددت العشيقات والخليلات بالعشرات ، وهُدِّم نظام الأسرة في الغرب ، وضاعت الأنساب وكثر أولاد الزنى اللقطاء ، ففي الولايات المتحدة في كلٍّ من خمسة أولاد ولدان لا يُعرف أبوهما ، فكثرت مآسي العنف والخطف والاغتصاب والأمراض ، وأصبح الجنس في الغرب وباءً ينشر الموت والفوضى والاضطراب ، وحتى التعدد في الإسلام محوط بقواعد وقوانين في الإسلام ، منها العدل بالنفقة الواجبة بين الزوجات وأولادهن ، والمعاملة بالقسمة العادلة السوية ، والمعاملة الحسنة الإسلامية ، فهناك مشاكل كثيرة لا تُحلّ إلا بالتعدد ، فمثلاً انتشرت ظاهرة العنوسة في البلاد العربية والإفريقية للحالة الاقتصادية المتردية في تلك البلاد ، فأفضل حلٍ لها ، أن يتزوج الأغنياء بزوجة أخرى ، لأن العنوسة قد تسبب اضطراباً وفساداً في المجتمع ، وكذلك إن بعض النساء لم يرزقهن الله جمالاً يُرضي الرجال ، أو فيهن عاهة فالزواج لهن ستر لهن وتأمين حاجة لهن ، وقد كانوا يعتبرون الزواج في مثل هذه الحالات عبادة وجهاداً ، فإذا ما قام الأغنياء بكفالة الأرامل والعوانس والفقيرات واليتامى وصاحبات العاهات عن طريق التعدد ، فيكون ذلك تأمين كفالة المجتمع وحلاً لمشكلاته .

٣ـ الطلاق :

يحض الإسلام على ديمومة العلاقة الزوجية ، وينفِّر من الطلاق ، ولكن هناك حالات مرضية بين الزوج وزوجته لا حل لها إلا الطلاق ، وأعطى الإسلام للرجل حق الطلاق بشروطه ، ولكنه غرمه بالمهر المفروض عند الزواج ، فالغرم بالغنم ، وكذلك المرأة جعل لها عند الطلاق مهرها ونفقتها ، ويمكن أن تشترط الزوجة أن تكون عصمتها بيدها عند عقد الزواج إذا وافق الزوج على ذلك ، فتمارس حقها في الطلاق دون وساطة القضاء .

وفي الغرب من أجل الطلاق ، قد يقتل الزوج زوجته أو العكس ، أو تكون الخيانة الزوجية ، حتى أباحت القوانين الغربية الحديثة الطلاق لأحد الزوجين .

حتى الطلاق في الإسلام له شروط خاصة ومراحل ، ولقد اشترط الإسلام على الزَّوج الذي يريد الطَّلاق لزوجته الناشز شروطاً وأمره بأربع مراحل ، وهي الوعظ ثم الهجر في المضجع ، وتصل مدة الهجر دون أربعة أشهر ، فإن لم ينجح ذلك ، فأمره بالضرب غير المبرّح وبشروط ، فإن لم ينجح فيكون التحكيم حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، قال تعالى : ﴿ . . . وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء ٤/ ٣٤ـ ٣٥] ، وقد أباحه الإسلام من أجل المصلحة العامة للجميع ، وعند بعض الفقهاء ، إن الطلاق هو من اختصاص القاضي ، وهذا ما ذهب إليه جعفر الصادق ، ويجب أن يقع بشهود ، وقد فصّل في ذلك الإمام محمد عبده ، ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ . . . فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢٩] ، يقول الأستاذ الإمام : (إن الخطاب في مثل هذا للأمة ، لأنها متكاملة في المصالح العامة ، وأولو الأمر هم المطالبون أولاً وبالذات بالقيام بالمصالح والمهام منهم وسائر الناس رقباء عليهم)[1] ، ثم يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء ٥/ ٣٥] ، يقول الإمام : (الخطاب للمؤمنين ولا يتأتى أن يكلف كل واحدٍ أو كل جماعة منهم ذلك ، ولذلك قال بعض المفسرين : إن الخطاب هنا موجه إلى من يمكنه القيام بهذا العمل ممن يمثل المسْلمين ، وهم الحكام ، وقال بعضهم : إن الخطاب عام ويدخل فيه الزوجان ، وأقاربهما ، فإن قام به الزوجان أو ذوو القربى أو الجيران فذاك ، وإلا وجب على من بلغه أمرهما من المسلمين أن يسعى في إصلاح ذات بينهما بذلك ـ أي بالتحكيم ـ ، وكلا القولين وجيه)[2] .

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢م) ، (٤/ ٦٣٩) .

(٢) الأعمال الكاملة ، الإمام محمد عبده ، (٤/ ٦٥١ـ٦٥٢) .

٤ـ القوامة :

وهي حق الرياسة والإدارة ، فأعطى الإسلام حق إدارة البيت للرجل ، وأثبت الواقع والطبيعة البشرية أن الرياسة ضرورية لكل مجتمع صغير أو كبير ، فلا تقوم مؤسسة بدون رياسة ، (ورئاسة الأسرة تنبثق في رأينا من ضرورة تقضي بها سنة الله في الحياة ، تلك حاجة أي مؤسسة يعمل فيها أكثر من شخص إلى رئيس يرجع إليه في تسيير أمور المؤسسة)[١] ، وأعطى الإسلام القوامة للرجل لأنه مسؤول عن أسرته بالإنفاق وتوفير العيش الكريم والتربية ، فالقوامة رعاية وإدارة وليست قوامة هيمنة وتسلط ، فالزوج له خصائص والزوجة لها خصائص ، ومن هذه الخصائص الحضانة والرضاعة ورعاية الطفولة والحنان ، بينما في الغرب حُملِّت المرأة مسؤولية الإنفاق فسعت لزوجها ونافسها الرجال ، فاستعبدها العمل والجهد المضني على حساب أسرتها وديمومة زواجها .

٥ـ الحجاب :

لا تزال زوابع كثيرة يثيرها الغرب وأعداء الإسلام على الإسلام من أجل حجاب المرأة ، والمقصود بالحجاب هو ستر جسمها إلا وجهها وكفيها مع لباس الحشمة الذي لا يشف عما تحته ، فإن كانت المرأة في بيتها وأمام زوجها فلها أن تلبس ما تشاء[٢] ، ولقد خص الله المرأة بخصوصيات ، وأهم هذه الخصوصيات أنوثتها بما فيها من عوامل الإغراء ، فيجب أن ينظر إليها لآدميتها لا للإغراء فقط ، وحرَّم الإسلام التبرُّج لما له من آثار سلبية على المجتمع ، فإنه يثير نفوس الشباب وشهواتهم ، ويصرفهم عن واجباتهم ، وجعل الزينة للمرأة خاصة للزوج ، وإن من آثار التبرج أو رؤية النساء العاريات أو شبه العاريات انصراف الرجال عن زوجاتهم نتيجة افتتانهم بجمال المتبرجات ، وقد يؤدي إلى انهيار الأسرة وفقدان المودة والمحبة بين أفرادها ، والحضارة الإسلامية لَتشهد أن الحجاب لم يكن عائقاً في مشاركة المرأة مشاركة فعالة في سائر القضايا الإنسانية والاجتماعية والعلمية المختلفة ، وعندما فقدت المرأة الحشمة والحجاب ، نُظر إليها نظرة متعة وترفيه وجنس ، فأثيرت غرائز الشهوة عند الناظرين ، فحجبتهم تلك الغرائز المستثارة عن عقلانية المرأة وعن جهودها معهم في الفكر والعلم والبناء (ليس أكثر من

---

(١) **ماذا عن المرأة** ، **نور الدين العتر** ، (مكتبة الهدى ، حلب ، ط١ ، ١٩٧١م) ، ص (١٢٧) .

(٢) راجع : **التفسير المنير** ، د . **وهبة الزحيلي** ، (دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١م) ، (٢٢/١٠٦) .

الحشمة التي تتمثل في ستر المرأة مفاتنها ومغرياتها ، عندما تكون في مجال الاشتراك مع الرَّجل في الأعمال الإنسانية والأنشطة العلميّة أو الاجتماعية ، إذاً فهو ليس أكثر من ترسيخ لحقيقة اشتراكها مع الرجل في الأنشطة والأعمال ، وتحصين لمساواتها معه في ذلك ضدَّ الآفات التي قد تتهدَّد هذه المساواة ، ولكن في الناس من تغيب عن أذهانهم هذه الحكمة. . . إنهم يفترضون أن الشَّارع يرى من الحجاب وسيلة لتربية الفتاة أو المرأة ، وسبيلاً للسموِّ بها إلى مستوى الاستقامة الأخلاقية ، والبعد عن السَّفاسف والانحرافات. . . إن هذا الافتراض الوهمي لا يوجد سند له)[1] ، ولقد اعتنى الإسلام بتربية المسلم والمسلمة تربية إيمانية ، وتدرّج في التشريع ، ولم يفرض الحجاب إلا في السنة السابعة للهجرة ، بعد عشرين عاماً من الدعوة والتوعية المتواصلة ، وغرس الإيمان في القلوب .

٦ـ حرية المرأة :

كثير من أعداء الإسلام يتهم الإسلام بأنه فرض العزلة على المرأة ، هؤلاء لم يدرسوا الإسلام ، فالإسلام هو الذي أعطى المرأة حريتها في العلم والعمل وهذا التاريخ الإسلامي يشهد بذلك ، فقد قرر الإسلام كرامتها وإنسانيتها ، وساواها مع الرجل في العبادات والواجبات والجزاء ، وجعل منهاجاً واضحاً مبيناً للمرأة الإنسانة ، وللمرأة في الأسرة ، وللمرأة في المجتمع ، وجعل لها حقّ الأهلية ، وجعل لها المهر والنفقة والميراث وحرية التصرف بممتلكاتها ، وأموالها ، وأباح لها المشاركة في الأعمال السياسية والاجتماعية ، دون رئاسة الدولة ، لأن رئيس الدولة في الإسلام مسؤول عن إقامة الصلوات وخطبها ، ومسؤول عن إعلان الجهاد والنفير والصلح والهدنة وغير ذلك مما يستعصي على المرأة لأنوثتها وحملها وولادتها ورعايتها لأسرتها .

فالمرأة مكمّلة للرجل ، وحفظ لها الإسلام حقوقها وكرَّم فيها أنوثتها وأمومتها ، فحضرت الصلوات في المساجد ، وحلقات العلم ومجالس المعرفة ، وجادلت الرسول ﷺ وقاطعت عمر رضي الله عنه وهو يخطب على المنبر عندما أراد تحديد مهور النساء ، وحضرت الغزوات ، وجاهدت ، وأسعفت الجرحى في المعارك ، وأنشدت الشعر ، واشترت وباعت وعملت وصنعت. . . وكُتُب التاريخ تشهد لآلاف النساء

---

(١) المرأة ، البوطي ، ص (١٦٠) وما بعدها .

المسلمات المجاهدات والعالمات والمؤلفات ، واللاتي شاركن في صنع الحضارة الإسلامية ، ولم يمنعهن حجابهنَّ وحشمتهنَّ عن ذلك. . . فالإسلام ينظر إلى المرأة نظرة مكملة للرجل ، وحفظ لها حقوقها وكرَّم فيها أنوثتها وأمومتها .

٧ـ تأديب المرأة عند نشوزها[١] :

وضع الإسلام قواعد وأساليب للتغلب على الخلافات التي تنشب بين الزوجين حتى لا تصل هذه الخلافات إلى الفراق والطلاق ، وقد وضع أربع مراحل لذلك : الوعظ والنصيحة والموعظة بلطف وحنان ، والثاني بالهجر في المضجع من الزوج ، والثالث الضرب غير المبرّح وبشروط، ثم الحكمان واحد من طرف الزوجة والآخر من طرف الزوج.

وقد وضع الفقهاء شروطاً للضرب ، بأن يكون بعد الوعظ والهجر ، حتى قال بعض العلماء : أنه لو ضربها قبل هاتين المرحلتين جاز لها أن تشتكي عليه في القضاء ، ومن شروط الضرب أن لا يؤلم ، وأن يكون بشبه السواك ، ولا يترك أثراً ، ويجنب الوجه والرأس والبطن والسوأتين ، وأن لا يزيد الضرب على عشرة ، وأن لا يرفع يده فوق كتفه ، ولا يكسر عظماً ، ولا يشق جلداً ، ولا يسيل دماً ، ولا يعضن لحماً ، ولا يلعن ولا يسب ولا يشتم ، وشروط أخرى تدل بمجموعها على أن الضرب أداة زجر وتخويف مع عاطفة المحبة والشفقة ، ولو قال قائل : لماذا الإسلام لم يُبح أن تضرب الزوجة زوجها عند نشوزه ؟ ، لكان الجواب : لو أقدمت الزوجة على ضرب زوجها الناشز تأديباً له ، لتحولت رجولته إلى وحشية مستشرية ضارية لا تستطيع المرأة أن تدفع وحشيته عنها ، وجعلت الشريعة القاضي نائباً عن الزوجة ، وقال بعضهم : إن كلمة الضرب يقصد بها ، المفارقة والترك والاعتزال[٢] .

ويجب أن لا ننسى وصايا القرآن ونبي الإسلام بالمرأة خيراً ، بينما الغرب قد انتشر فيه ضرب المرأة من قبل زوجها وصار ذلك مأساة تمرّ بها المرأة الغربية .

٨ـ شهادة المرأة :

تناول الأعداء والجهلة فرية اللامساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام بدليل شهادة

---

(١) فصل في موضوع الضرب في المبحث الأول ، المطلب السادس .

(٢) ضرب المرأة ، د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، ص (٣٢) وما بعدها .

الرجل تعدل شهادة امرأتين ، واشترط الإسلام شروطاً للشاهد ، مثل عدالته وضبطه ، وأن لا تكون بينه وبين المشهود عليه خصومة تبعث على اتهامه فيما يشهد عليه به ، أو قرابة بينه وبين المشهود له ، وأن تكون بين الشاهد والواقعة التي يشهد بها صلة تجعله مؤهلاً للدراية بها والشهادة فيها ، وانطلاقاً من ذلك فإن الشارع يرفض شهادة المرأة على وصف الجناية وكيفية ارتكاب الجاني لها ، لأن عاطفتها ورقتها تطغى عليها أثناء ذلك ، فقد تبكي أو تخاف أو تقع في غيبوبة قد تفقدها الوعي ، فتكون شهادتها ناقصة ، فعند ذلك تحتاج إلى امرأة أخرى للشهادة إذا لم يوجد رجال ، حتى الرجل إذا كان عاطفياً رقيق المشاعر مرهف الحس والوجدان ، فإن شهادته تصبح غير مقبولة ، أما شهادة المرأة فيما يخص النساء ، كالرضاع والحضانة والنسب ونحو ذلك ، فإن الأولوية لشهادة المرأة ، بل هناك حالات لا يجوز فيها إلا شهادة المرأة .

* * *

المبحث السابع

دور المرأة المسلمة في التاريخ

المطلب الأول : النساء المؤثرات والحاكمات .

المطلب الثاني : النساء قاضيات .

المطلب الثالث : النساء المجاهدات والقائدات للجيوش .

المطلب الرابع : النساء المفتيات والعالمات .

المطلب الخامس : نساء تولَّين الحسبة (السلطة التنفيذية) .

المطلب السادس : الكتب التي حفظت نشاط المرأة وتراثها الفكري والأدبي .

المطلب السابع : إسهام المَرأة في العمارة بدمشق .

المطلب الثامن : جهود المرأة المسلمة في نشر الدعوة الإسلامية .

المبحث السابع
دور المرأة المسلمة في التاريخ

تمهيد

إن التاريخ مرآة حضارة الشعوب ، وإذا كان هناك تقصير في التأريخ للمرأة المسلمة بالمقارنة مع ما للرجال فهو ليس مقصوداً ومبيتاً وناتجاً عن عصبية عنصرية واستعلائية متأصلة تجاه المرأة ، بل كان نتيجة الظروف المحيطة بكل من المرأة والرجل من كافة النواحي ، وكذلك فإن من أرخ للمرأة المسلمة لم يذكر إلا المؤثرات المبدعات العظيمات في دورهن العلمي والفكري والسياسي والإسلامي ، فلا نجد في كتب التاريخ الإسلامي امرأة لا تستحق أن يخلدها التاريخ ، في حين ليس كل من ذكر في كتب التاريخ من الرجال يستحق الذكر[1] .

إن الفارق بين التأريخ للمرأة المسلمة والمرأة الغربية كبير وواسع ، حيث إن مشكلة المرأة الغربية في الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى هي مشكلة وجود بينما في تاريخنا العربي الإسلامي هي مشكلة تقصير غير مقصود ، فهي مشكلة دور وحدود هذا الدور ، حيث إن وجود المرأة المسلمة وحقوقها الأساسية الإنسانية لم تكن مجالاً للنقاش ، على سبيل المثال لم يظهر سؤال : هل للمرأة روح ؟ مثلما سيطر هذا السؤال على الفكر الأوروبي حتى منتصف القرن التاسع عشر ، حيث كان هذا موضوعاً للنقاش في البرلمان البريطاني ، كذلك ليست هناك في تاريخنا لعنة متوارثة أصيلة في جينات المرأة مثلما هو الحال في الاعتقاد الأوروبي للمسيحية واليهودية[2] .

---

(١) انظر : **تاريخ الإسلام** ، د . **حسن إبراهيم حسن** ، (مصر الجيزة ، ط٧ ، ١٩٦٤ م) ، المرأة في الجاهلية ، (١/ ٦٤) ، مركز المرأة في الإسلام ، (١/ ١٧٩) ، المرأة في الفترة الأموية ، (١/ ٥٤٥) ، المرأة في العهد العباسي ، (٢/ ٤٣٠) .

(٢) **مذاهب فكرية معاصرة** ، **محمد قطب** ، (دار الشروق ، مصر ، ط٦ ، ١٩٩٢هـ) ، (١/ ١٤٧) ، بتصرف . =

وبعد الحديث عن مكانة المرأة في الوحي الشريف المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية ، والحديث عن التراث الفقهي للمرأة في كثير من القضايا التي أساء الغرب تناولها ، وحاول ـ قاصداً أو غير قاصد ـ اعتبارها نقاط ضعف في الثقافة الإسلامية ، بعد كل ذلك يَستعرض أحوال المرأة وأوضاعها في التاريخ الواقعي مما يؤيد المعاني السابقة من كون المرأة مكرمة ومصانة ، مثلها مثل الرجل باعتبار أنهما يمثلان الجنس البشري ، والتاريخ يخبرنا بأن هناك نساء كثيرات أثَّرنَ في مسيرة الأمة الإسلامية ، وساهمن في رفعة مجدها في جميع المجالات ، ولقد بدأ الدور النسائي في المسيرة الإسلامية مبكراً جدّاً ، فالمرأة هي أول من آمن بالنبي ﷺ ، والمرأة هي أول من استشهد في سبيل الله ، والمرأة من أوائل من هاجر إلى الله ورسوله ، وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أحب الناس إلى النبي ﷺ ، والسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها هي أول من آمن بالرسول ﷺ وصدقه ، غير أنها زادت على ذلك فقد كانت ملاذاً له ﷺ ومأمناً ومطمأناً له ، بل ونصرت النبي ﷺ بمالها ورزقه الله منها الولد ، ولقد سمى النبي ﷺ عام فراقها له بعام الحزن .

وكانت السيدة سمية بنت خياط زوج ياسر والد عمار أول شهيدة في الإسلام ، وكانت أقوى من ولدها الشاب حيث رفضت سبَّ النبي ﷺ ، والنطق بكلمة الكفر في سبيل نجاتها ، وأظهرت التمسك والإيمان بدينها وبنبيها حتى استشهدت رضي الله عنها[1] .

وكانت السيدة رقية بنت سيدنا محمد ﷺ أول مهاجرة في سبيل الله مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنها وعنه .

وكانت السيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله عنهما من أحب الناس إلى النبي ﷺ ، فقد سئل ﷺ : مَن أحب الناس إليك ؟ قال : « فاطمة »[2] ، وكذلك السيدة عائشة رضي الله عنها فقد روى أنس رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله ، من أحب الناس إليك

---

(١) المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة) ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، (مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ) ، كتاب التاريخ ، رقم (٣٣٨٦٩) ، (٧/ ١٢) .

(٢) مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند الأنصار ، باب حديث أسامة بن زيد ، رقم (٢١٨٢٥) ، المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر مناقب زيد ، رقم (٤٩٤٦) ، وكلاهما عن أسامة ابن زيد ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

قال : « عائشة » قال : من الرجال ؟ قال : « أبوها »[1] .

ولم تقتصر مكانة المرأة في الإسلام على كونها أول مؤمنة في الإسلام ، وأول شهيدة ، وأول مهاجرة ، وأحب الناس إلى النبي ﷺ ، بل تعدت مكانتها ذلك عبر العصور والدهور ، فحكمت المرأة ، وتولّت القضاء ، وجاهدت ، وعلّمت ، وأفتت ، وباشرت الحسبة ، وغير ذلك الكثير مما يشهد به تاريخ المسلمين .

المطلب الأول : النساء المؤثِّرات والحاكمات

لقد كان هناك نوعان من النساء الحاكمات ، حيث كان لهن التأثير والنفوذ ، وتسيير الأمور عن طريق زوجها الحاكم أو ابنها أو سيدها ، فهذا الشكل لا يحصى وقد كثر في الدولة العباسية خاصة بشكل كبير بداية من الخزيران[2] بنت عطاء زوجة المهدي العباسي وأم بنيه الهادي وهارون وقد توفيت سنة ١٧٣ هـ ؛ مروراً بقبيحة أم المعتز بالله[3] (ت ٢٦٤) ، وفاطمة القهرمانة[4] (ت ٢٩٩) ، وأم موسى الهاشمية قهرمانة دار المقتدر بالله[5] ، وأم المقتدر بالله شغب[6] (ت ٣٢١) ، وغيرهن الكثير مما لا يحصى ولا يُعدّ .

وهناك من حكمن البلاد وبعض الأقطار الإسلامية بطريقة مباشرة وواضحة ، فلقد حكم النساء بعض الأقطار الإسلامية في أزمنة مختلفة ، وإن كانت لم تلقب امرأة في الإسلام باللقب (الخليفة) ، ولكنها لقبت بألقاب دون ذلك منها السلطانة ، والملكة ،

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة ، رقم (٣٨٩٠) ، **المستدرك على الصحيحين** ، **الحاكم** ، كتاب معرفة الصحابة ، باب الصحابيات من أزواج الرسول ، رقم (٦٨١٧) ، وكلاهما عن أنس ، وقال أبو عيسى : حديث حسن ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٢) **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)** ، **محمد بن جرير الطبري** ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ) ، (٤/ ٦٢٣ـ ٨/ ٢٣٤) ، **تاريخ بغداد** ، **أحمد بن علي الخطيب البغدادي** ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د .ت) ، (١٤/ ٤٣٠) .

(٣) **تاريخ الطبري** ، (٥/ ٥١٤) ، **أعلام النساء** ، **عمر رضا كحالة** ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م) ، (٤/ ١٨٤) .

(٤) **البداية والنهاية** ، **إسماعيل بن كثير** ، (١١/ ١١٨) ، **أعلام النساء** ، **عمر رضا كحالة** ، (٤/ ٩١) .

(٥) **أعلام النساء** ، عمر رضا كحالة ، (٥/ ١٢٣) .

(٦) **البداية والنهاية** ، ابن كثير ، (١١/ ١٧٥) ، **أعلام النساء** ، **عمر رضا كحالة** ، (٥/ ٦٧) .

والحرة ، وخاتون ، ويذكر التاريخ الإسلامي أن هناك أكثر من خمسين امرأة حكمن الأقطار الإسلامية على مرِّ التاريخ بداية من ست الملك إحدى ملكات الفاطميين بمصر ، والتي حكمت في بداية القرن الخامس الهجري ؛ مروراً بالملكة أسماء ، والملكة أروى اللتين حكمتا صنعاء في نهاية القرن الخامس الهجري ، وزينب النفزاوية في الأندلس ، والسلطانة رضية التي تولت الحكم بدلهي في منتصف القرن السابع الهجري ، وشجرة الدر التي تولت حكم مصر في القرن السابع ، كذلك ، وعائشة الحرة في الأندلس ، وست العرب ، وست العجم ، وست الوزراء ، والشريفة الفاطمية ، وغيرهن كثير .

ومن نماذج من النساء اللاتي حكمن البلاد ، نتكلم عنهن بشكل أكثر تفصيلاً .

١ـ ست الملك ملكة الفاطميين :

إحدى ملكات الفاطميين بمصر ست الملك (ولدت سنة ٣٥٩هـ) ، وقد استحوذت على السلطة بعد أن نظمت عملية (اختفاء) أخيها الحاكم بأمر الله ، الخليفة الفاطمي السادس سنة ٤١١هـ ، ويذكر أنها قتلته ، قال الذهبي : (وتحالفت مع الأمير ابن دواس فذهبت إليه سرّاً فقبل قدمها ، فقالت : جئت في أمر أحرس نفسي ونفسك قال : أنا مملوكك ، قالت : أنت ونحن على خطر من هذا ، وقد هتك الناموس الذي قرره آباؤنا وزاد به جنونه وعمل ما لا يصبر عليه مسلم ، وأنا خائفة أن يقتل فنقتل وتنقضي هذه الدولة أقبح انقضاء ، قال : صدقت ، فما الرأي ؟ قالت : تحلف لي ، وأحلف لك على الكتمان فتعاقدا على قتله)[(١)] .

وكانت لها دوافعها إلى ذلك ؛ إذ أن تجاوزات أخيها فاقت الحد ، فبعد أن كان يسلط قهره على الضعاف والكلاب التي قرر القضاء عليها ، والنساء اللائي منعهن من الخروج ، فحرق القاهرة ومنع سكانها من العمل في النهار وأمرهم بالعمل في الليل حتى يخرج بموكبه إلى الشوارع ليلاً فيراها تضج بالحركة ، واستفاق ذات يوم ليعلن ألوهيته ، ويطالب جماهير القاهرة وضمنهم ست الملك بعبادته .

٢ـ الملكة أروى ملكة صنعاء :

هي أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحية ملكة حازمة مدبرة يمانية ، ولدت في حراز باليمن عام ٤٤٠ هـ ، ونشأت في حجر أسماء بنت شهاب الصليحية .

---

(١) سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م)، (١٥/ ١٨١).

وقد لعبت دوراً كبيراً في نشر المذهب الفاطمي في آسية ، وبصورة خاصة في بومباي بالهند ، عن طريق الدعاة الفاطميين الذين انطلقوا من اليمن في فترة حكمها .

فبعد وفاة الملكة أسماء (١٠٨٧ م/ ٤٨٠هـ) عهد ابنها الملك المشلول إدارة البلاد رسمياً إلى زوجته أروى ، التي استطاعت تأمين استمرار السلطة بأيدي الصليحيين في اليمن ، وبعد استتباب الأمن والاستقرار ، قررت الانتقام من سعيد الزبيدي قاتل عمها ، فنقلت عاصمتها إلى جبالة المحصنة بالجبال ، وأخذت تضيق الخناق على سعيد الزبيدي ، وبعد أن تحالفت مع البلدان الأخرى استطاعت سحق جيش سعيد وقتله ، وأخذ زوجته أسيرة .

وقامت بتدبير المملكة والحروب إلى أن مات المكرم سنة ٤٨٤ هـ ، وخلفه ابن عمه سبأ بن أحمد ، فاستمرت في الحكم ترفع إليها الرقاع ويجتمع عندها الوزراء ، وتحكم من وراء حجاب ، وكان يدعى لها على منابر اليمن ، فيخطب أولاً للمستنصر ، ثم للصليحي ، ثم للحرة ، ومات سبأ سنة ٤٩٢ هـ وضعف ملك الصليحيين ، فتحصنت بذي جبلة واستولت على ما حوله من الأعمال والحصون ، وأقامت لها وزراء وعمالاً ، وامتدت أيامها بعد ذلك أربعين سنة ، توفيت سنة ٥٣٢ هـ بذي جبلة ودفنت في جامعها ، ولها مآثر وسبل وأوقاف كثيرة ، وهي آخر ملوك الصليحيين(١) .

٣ـ تركان خاتون :

هي تركان خاتون بنت خاجنكش زوجة السلطان تكش بن آيل رسلان ، كانت ذات مهابة ورأي ، تحكمت في البلاد سنة ٦٢٨ هـ ، وكانت إذا رفعت إليها المظالم تحكم فيها بالعدل والإحسان ، وتنتصف للمظلومين من الظالم ، ولم تبال أن تقتص منه بالقتل ، ولها خيرات ومسبلات ومبرات في أنحاء بلادها ، وكان لها من كتَّاب الإنشاء سبعة من مشاهير الفضلاء وسادات الأكابر ، وإذا ورد عنها وعن السلطان توقيعان مختلفان في قضية واحدة فإنه يعمل بالتوقيع الأخير بكافة الأقاليم ، وكان توقيعها (عصمة الدنيا والدين تركان ملكة نساء العالمين) وعلامتها (اعتصمت بالله وحده) ، وكانت تكتبها بقلم غليظ

---

(١) الأعلام ، خير الدين الزركلي ، (١/ ٢٨٩) ، أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (١/ ٢٥٣) .

وتجود الكتابة فيها بحيث يعسر أن تزور علامتها[1] ، وتوفيت ما بعد سنة ٦٣٠هـ .

٤ـ رضية بنت التمش سلطانة الهند :

رضية الدنيا والدين ، تتحدر السلطانة رضية من أسرة تركية من المماليك ، تولت السلطة في دلهي عام (١٢٣٦م الموافق ٦٣٤هـ) بعد وفاة والدها السلطان إيلتوتمش خان ، وهو أحد القادة العسكريين الذين أرسوا دعائم الدولة الإسلامية في الهند ، كان والدها السلطان قد اختارها بدل أخويها ؛ لذكائها وقوتها ومواهبها في إدارة شؤون البلاد ، وعدم قدرة أخويها ، وكان أول قرار ملكي أصدرته ، سك النقود باسمها واختيار لقب لها هو (رضية الدنيا والدين) ، وعندما حاول أمراء الحاشية والجيش إبعادها عن العرش ، مترافقاً مع قيام أخيها الأكبر بقتل أخيها الأصغر ، باءت محاولاتهم بالفشل حيث اعتمدت على الشعب الذي ثار ضد أخيها وأمرت بقتله .

فهي ملكة من ملوك الهند كانت ذات سلطة ونفوذ وإدارة ، استقلت بالحكم أربع سنين ، وقتلت في ٢٥ ربيع أول سنة ٦٣٧ هـ وقبرها على شاطئ نهر جمن بالقرب من دلهي[2] .

٥ـ شجرة الدر ملكة مصر والشام :

وهي من شهيرات الملكات في الإسلام ، ذات إدارة وحزم وعقل ودهاء وبر وإحسان ، ملكها الملك الصالح في أيام والده ، واستولدها ولده خليل ثم تزوجها ، وصحبته ببلاد الشرق ثم قدمت معه إلى البلاد المصرية ، فعظم أمرها في الدولة الصالحية ، وصار إليها غالب التدبير في أيام زوجها ثم في مرضه ، وكانت تكتب بخطٍّ يشبه خط الملك الصالح ، ولقد باشرت الحكم ، وأخذت توقع عن السلطان مراسيم الدولة إلى أن وصل تورانشاه إلى المنصورة ، فأرسل إليها يهددها ويطالبها بالأموال ، فعملت على قتله فقتل في ٧ محرم ٦٤٨ هـ ، ولما قتل وقع الاتفاق على تولية شجرة الدر السلطنة فتولتها ، وقبل لها الأمراء الأرض من وراء الحجاب ، فكانت تاسع من تولى السلطنة بمصر من جماعة أيوب وكان ذلك في ٢ صفر سنة ٦٤٨ هـ ، وجعلوا عز الدين أيبك الصالحي التركماني أتابك عسكرها ، وساست الرعية أحسن سياسة ، فرضي الناس

---

(١) أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (١/ ١٦٩) .

(٢) أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (١/ ٤٤٩) .

عن حكمها خير رضاء ، وكانت تصدر المراسيم وعليها توقيع شجرة الدر بخطها باسم والدة خليل ، وخطب في أيام الجمع باسمها على منابر مصر والشام ، وضرب السكة باسمها ونقش عليها : (السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل) ، وما إن جلست شجرة الدر على عرش الحكم حتى قبضت على زمام الأمور ، وأحكمت إدارة شؤون البلاد ، وكان أول عمل اهتمت به تصفية الوجود الصليبي في البلاد ، وإدارة مفاوضات معه ، انتهت بالاتفاق مع الملك لويس التاسع الذي كان أسيراً بالمنصورة على تسليم دمياط ، وإخلاء سبيله وسبيل مَن معه من كبار الأسرى مقابل فدية كبيرة قدرها ثمانمائة ألف دينار ، يدفع نصفها قبل رحيله ، والباقي بعد وصوله إلى عكا ، مع تعهد منه بعدم العودة إلى سواحل الإسلام مرة أخرى ، وكانت خيّرة دَيِّنة ، رئيسة عظيمة في النفوس ، ولها مآثر وأوقاف على وجوه البر ، وقد قتلت في نهاية ربيع أول سنة ٦٥٥ هـ(١) .

٦ـ السلطانة خديجة سلطانة الهند :

هي السلطانة خديجة بنت عمر بن صلاح الدين البنجالي من سلطانات الهند ، نشأت وترعرعت في بلاط أبيها ، وتلقت من العلم والثقافة ما جعلها من أندر نساء زمانها أدباً وكمالاً ومعرفة ، ولما توفي والدها خلفه في السلطنة أخوها شهاب الدين فكان سيِّئ السيرة فخلعه الشعب سنة ٧٤٠ هـ ، ونادى بأخته خديجة سلطانة على عرش أبيها ، وولي زوجها خطيب الدولة جمال الدين الوزارة فاعتمدت عليه السلطانة في مهام الأمور وراقبت شؤون الدولة مراقبة الخبير ، وتوفيت سنة ٧٧٠ هـ(٢) .

المطلب الثاني : النساء قاضيات

رغم أن فقهاء المسلمين اختلفوا في حكم تولي المرأة القضاء ، وذهب الجمهور إلى عدم جواز توليها القضاء مطلقاً ، وذهب الأحناف إلى جواز توليها القضاء فيما تصح شهادتها فيه من الأحكام ، وذهب آخرون إلى الإباحة المطلقة لقضاء المرأة في جميع

---

(١) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي ، (وزارة الثقافة ، مصر ، ط١ ، د .ت) ، (٦/ ٣٣٣) ، أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (٢/ ٢٨٦) .

(٢) تحفة النظار في غرائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة) ، محمد بن علي اللواتي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د .ت) (٢/ ٦٦١) ، أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (١/ ٣٣٨) .

الأحكام وهم الإمام محمد بن جرير الطبري ، وابن حزم الظاهري وابن طراز الشافعي وابن القاسم ورواية عن الإمام مالك .

إلا أن المصادر التاريخية لم تسجل لنا إلا حالة واحدة تولت فيه القضاء امرأة ، وهي ثمل قهرمانة شغب أم المقتدر .

ثمل القهرمانة القاضية :

وكانت من ربات النفوذ والسلطان في الدولة العباسية أيام المقتدر ، فكانت الساعد الأيمن لأم المقتدر ، تلي شؤون الدولة وسياستها ، وبلغ من اعتماد أم المقتدر على ثمل أن أمرتها أن تجلس بالرصافة سنة ٣٠٦ هـ للمظالم ، وتنظر في كتب الناس يوماً في كل جمعة ، فأنكر الناس ذلك واستبشعوه وكثر عيبهم له والطعن فيه ، فجلست أول يوم فلم يكن لها فيه طائل ، ثم جلست في اليوم الثاني وأحضرت القاضي أبا الحسن بن الأشناني فحسن أمرها وأصلح عليها ، وخرجت التوقيعات وعليها خطها على سداد ، فانتفع بذلك المظلومون ، وسكن الناس إلى ما كانوا نافروه من قعودها ونظرها ، وكان يحضر في مجلسها القضاة والفقهاء والأعيان ، توفيت سنة ٣١٧ هـ[١] .

وهكذا لم يسجل غير تلك الحالة في النساء اللواتي تولين القضاء ، وإن كانت حالات تولي السلطة العليا والحكم والملك أعلى من القضاء ، وقد كانت بعض تلك الملكات تقضي بين الناس في المظالم كذلك مثل تركان خاتون السلطان[٢] .

المطلب الثالث : النساء المجاهدات والقائدات للجيوش

بدأ دور المرأة في الجهاد في الوقت نفسه الذي بدأ فيه دور الرجل ، بل إن دور المرأة الفعلي سابق له ، فأول من استشهد في سبيل الله كان امرأة هي السيدة سمية زوج ياسر ، وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أولى الفدائيات اللاتي أمَّنَّ وصول الطعام إلى النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة الشريفة ، كما أنها تلقّت الأذى من أبي جهل في سبيل كتمان خبرهما .

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، (١١/١٢٩) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن علي الجوزي ، (دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٥٨) ، (٦/١٤٨) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي عبد الحي ، (دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د .ت) ، (١/٢٤٧) .

(٢) أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (١/١٦٩) .

إن الإسلام طلب من المرأة الدفاع عن وطنها ، وأرضها ، وشعبها ، كما طلب ذلك من الرجل ، وقد أقرَّ النبي ﷺ مشاركة النساء في الجهاد والغزوات ، بل غزت المرأة مع رسول الله ﷺ كأم سليم بنت ملحان ، وأم حرام بنت ملحان ، وأم الحارث الأنصارية ، والربيع بنت معوذ عفراء ، وأم سنان الأسلمية ، وأم سليط ، ليلى الغفارية ، وكعيبة بنت سعيد الأسلمية ، وحمنة بنت جحش ، ورفيدة الأنصارية ، وأم زياد الأشجعية .

لقد عرف تاريخ العرب قبل الإسلام مشاركة المرأة في الحرب مع الرجال ، ولم يكن هذا أمراً غريباً عليهم ، ورد في كتب السير أن المشركين حينما توجهوا بجيشهم إلى موقعة بدر اصطحبوا معهم النساء من أجل شحذ عزيمة الجنود ومنعهم من التخاذل أو الفرار .

أما في الإسلام فإن دور المرأة في الجهاد كان بارزاً في أول عهد الدولة الإسلامية بالحروب ، حيث كانت النساء تشارك في جيوش النبي ﷺ وعلى طول امتداد الدولة الإسلامية من بعده بطرق مختلفة ، فقد كانت تحمل السلاح وتقاتل كما يفعل الرجال ، وكانت تقوم بالأعمال المساندة ، كالتمريض ، وعلاج الجرحى ، ونقل الماء والسلاح ، وإعداد الطعام للجيش ، وحراسة الأسرى ، وغير ذلك من الأعمال التي تستلزمها الحرب .

وفي غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة لوحظ غياب المرأة المسلمة عنها ، ذلك بسبب ظروف المعركة الكبرى الأولى في ذلك الوقت ، حيث استعجل النبي ﷺ الخروج حتى يتمكّن من اللحوق بقافلة أبي سفيان ، لدرجة أن بعض الرجال لم يستطع التجهز لهذه المعركة ناهيك عن النساء ، غير أن أم ورقة سألت النبي ﷺ الخروج مع الجيش لمداواة الجرحى ، ولعل الله يهدي إليها شهادة ، فلم يأذن لها النبي ﷺ للسبب الذي ذكرته ، مع قوله لها أن الله مهدٍ إليك شهادة .

ولكن غياب المرأة هذا عن غزوة بدر لم يكن غياباً كلياً ، صحيح أنها بجسدها لم تكن حاضرة المعركة ، لكنها حضرت بأبنائها ، وزوجها ، وأبيها ، وأخوتها ، وقرابتها من الرجال ، وخير مثال على ذلك الصحابية الجليلة عفراء بنت عبيد بن ثعلبة التي بعثت إلى المعركة بسبعة أبناء هم فلذات كبدها ، نال الشهادة اثنان منهم .

وفي يوم أحد كانت السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها ، وأم سليم زوجتَا النبي ﷺ وأم سليط وحمنة بنت حجش ، رضي الله عنهن أجمعين ، كنّ يسقين العطشى ويداوين الجرحى يوم أحد .

وجاء في الحديث : « كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار ، ليسقين الماء ويداوين الجرحى »[1] .

ولما اختلف الحال ، وخان النصر المؤمنين جاءت صفية بنت عبد المطلب شاهرة سيفها تضرب به وجه القوم قائلة : (انهزمتم عن رسول الله) ، قاصدة بث روح الجهاد فيهم ، ومقوية عزائمهم[2] .

ولم تكن أم أيمن بأقل منها شأناً في هذا المجال ، حيث كانت تحثو التراب على بعض المنهزمين وتقول : (هاك المغزل فاغزل به)[3] .

وكانت المرأة ممن ثبتت عند انهزام الرجال يوم أحد ، حيث دافعت عن الرسول ﷺ في وسط الشدة والبأس ، كأشجع الرجال ، وأثبت الفرسان ، ومن هؤلاء أم عمارة نسيبة بنت كعب ، التي قال فيها رسول الله ﷺ : « ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني »[4] .

وفي غزوة المريسيع[5] أقرع الرسول ﷺ بين نسائه ليتعرف على مَن ستخرج معه في هذه المرة كما كان يفعل في كل أسفاره وغزواته ﷺ ، فخرجت قرعة عائشة رضي الله عنها ، وخرجت معه في هذه الغزوة ، ورغم أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن النساء اللاتي كنَّ في هذه المعركة ، إلا أن ذكرهم لخروج عائشة يمكن أن نستدل به على وجود غيرها من النساء ، إذ من غير المرجح أن تكون هي المرأة الوحيدة في الجيش كله .

أما في غزوة الخندق سنة خمس للهجرة فقد اشتغل رسول الله ﷺ وكل القادرين من الرجال في حفر الخندق ، ومن ثم حصار بني قريظة ، ثم حصار الأحزاب للمدينة وكل ذلك استمر حوالي شهرين تقريباً .

---

(١) **صحيح مسلم** ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزو النساء مع الرجال ، رقم (٤٧٨٥) ، **سنن أبي داود** ، كتاب الجهاد ، باب في النساء يغزون ، رقم (٢٥٣٣) ، وكلاهما عن أنس .

(٢) **الطبقات الكبرى** ، **ابن سعد** ، (٨/ ٤١) .

(٣) **دلائل النبوة** ، **أحمد بن الحسين البيهقي** ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م) ، رقم (١٢٠٧) ، (٣/ ٣٨٠) .

(٤) **كنز العمال** ، **المتقي الهندي** ، كتاب الفضائل ، باب أم عمارة ، رقم (٣٧٥٩٢) ، **الطبقات الكبرى** ، **ابن سعد** ، (٨/ ٤١٥) عن عمر بن الخطاب ، وقال المتقي الهندي عن ابن سعد .

(٥) تدعى أيضاً غزوة بني المصطلق ، والتي حدثت بها حادثة الإفك .

وفي هذه الحالة والمشركون يحاصرون المدينة كان لا بد للمرأة أن تكون مشاركة في هذا الجهاد بشكل فاعل ، ومما قامت به النساء في هذه الغزوة ، القيام بالأعمال التي كان يقوم بها الرجال المنشغلون مع الرسول ﷺ بحفر الخندق ومجابهة الأعداء ، وتزويد الجيش بالمؤن ، والدفاع عن مؤخرة المسلمين ، ومراقبة الأوضاع الداخلية وتفقد أحوال المجاهدين .

ومن الأسماء التي برزت في هذه الغزوة زوجة جابر بن عبد الله ، التي كان لها كرامة خاصة في إعداد طعام الجند في ذلك الوقت[1] ، ومنهم صفية بنت عبد المطلب التي قتلت يهودياً كان يطوف بأحد الحصون التي لجأ إليها بعض النساء والصبيان ، وألقت برأسه إلى مَن كانوا معه أسفل الحصن ، ففروا جميعاً ظناً منهم أن الحصن يحرسه الرجال ، قتلته خشية أن يدل بني قومه على نساء المسلمين وصبيانهم فيغيروا عليهم ، ورجال المسلمين مشغولون بالقتال[2] .

وهكذا كان الحال في غزوة بني قريظة ، وغزوة الحديبية ، وفتح مكة ، وغزوة حنين ، كان للمسلمات حضور منقطع النظير يشهد على اجتهادهن في القيام بما يمكن أن يقمن به من أعمال الجهاد مع الجيش المسلم ، سواء بالقتال مباشرة ، أو بالمساندة ، أو بالمشورة وغير ذلك .

وفي عهد الخلفاء الراشدين والفتوحات الإسلامية : لما انتهى أبو بكر من حروب الردة ، بعث إلى المسلمين في كل البلاد أن يقدموا إليه من أجل تجهيز الجيوش للفتوحات التي كانت بعد ذلك ، وكان أول هذه الجيوش جيش الشام ، وبالفعل فقد بدأ يتوافد على أبي بكر المسلمون من كل مكان ، ومن ضمن من جاؤوا قبيلة حمير من اليمن ، فلما رآهم أبو بكر تهلل وقال : (ألم نكن نتحدث ونقول إذا أقبلت حمير تحمل أولادها ومعها نساؤها نصر الله المؤمن وخان الكافر ، فأبشروا أيها المسلمون قد جاءكم النصر)[3] .

وليست حمير هي وحدها التي جاءت بأبنائها ونسائها ، فإن غالب من قدم على

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، رقم (٤١٠١) ، **دلائل النبوة** ، **البيهقي** ، باب ما ظهر في حفر الخندق ، رقم (١٣٠٣) ، (٣/ ٤٩٥) ، وكلاهما عن جابر .

(٢) **السيرة النبوية** ، ابن كثير ، (٢/ ٢٠٩) .

(٣) **فتوح الشام** ، **الواقدي أبو عبد محمد بن عمر** ، تحقيق : هاني الحجاج ، (الناشر عبد الحميد أحمد حنفي ، القاهرة ، د .ت) ، (١/ ٢) .

أبي بكر وقتئذ من هذه الوفود كانوا يحملون معهم ذراريهم من النساء والأولاد ، حيث أن حروب المسلمين في عهد الفتوحات الإسلامية ما كانت تخلو من النساء والذراري .

ويذكر الطبري حجم النساء في غزو العراق ، فيذكر أنه حضرت المعركة حوالي سبعمائة امرأة من (النَّخَع) وألف امرأة من (بُجيلة)[1] ، وهذا إن دل فإنه يدل على حجم مشاركة النساء في هذه الحروب التي امتدت سنين طويلة ، ووصلت إلى ما وصلت إليه من أرجاء المعمورة .

ومن أسماء المجاهدات المشهورات في التاريخ الإسلامي :

١ـ أم سليم بنت ملحان الأنصارية :

الغميصاء[2] ، ويقال : الرميصاء ، ويقال : سهلة ، ويقال : أنيفة ، ويقال : رميثة ، بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية ، أم خادم النبي ﷺ أنس بن مالك .

مات زوجها مالك بن النضر ، ثم تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ، فولدت له أبا عمير ، وعبد الله ، شهدت أحداً وأبلت فيها بلاء حسنًا ، وشهدت حنيناً مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر فقال أبو طلحة : يا رسول الله ، هذه أم سليم ، معها خنجر ، فقالت : (يا رسول الله ، أتخذه إذا دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فتبسم رسول الله ﷺ)[3] .

٢ـ أم حرام بنت ملحان :

أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، الأنصارية ، النجارية ، المدنية ، أخت أم سليم ، وخالة أنس بن مالك ، وزوجة عبادة بن الصامت ، حديثها في جميع كتب الحديث سوى الترمذي ، كانت من علية النساء ، حدّث عنها أنس بن مالك وغيره .

نام رسول الله ﷺ في بيتها يوماً فاستيقظ وهو يضحك ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : وَمَا يُضْحِكُكَ

---

(١) تاريخ الطبري ، (٣/ ٥٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (٢/ ٣٠٤) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب غزو النساء مع الرجال ، رقم (٤٧٨٣) ، مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، باب مسند أنس بن مالك ، رقم (١٣٠٠٠) ، وكلاهما عن أنس .

يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ ، أَوْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ : وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ ، كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ ، قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ »[1] ، فتزوجها عبادة بن الصامت ، فغزا بها في البحر ، فحملها معه ، فلما رجعوا ، قربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فدقت عنقها فماتت رضي الله عنها ، وكانت هذه غزوة قبرص في خلافة عثمان رضي الله عنه[2] ، فنالت الشهادة وغزت في سبيل الله رضي الله عنها .

٣ـ الربيع بنت معوذ :

هي الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية ، من بني النجار ، وقد زارها النبي ﷺ صبيحة عرسها ؛ صلة لرحمها ، عمَّرت دهراً وروت أحاديث ، حدث عنها أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسليمان بن يسار ، وعبادة بن الوليد بن عبادة ، وعمرو بن شعيب ، وخالد بن ذكوان ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، وآخرون .

وأبوها من كبار البدريين ، قتل أبا جهل ، توفيت في خلافة عبد الملك سنة بضع وسبعين رضي الله عنها[3] .

بايعت النبي ﷺ وهي من الصحابيات الجليلات ، وجاهدت مع المجاهدين ، وخطبها إياس بن البكير الليثي ، ثم خرج هو وأخواه ، وبعد بدر تزوجت الربيع من إياس فجاء النبي ﷺ فدخل عليها غداة بنى بها ، فجعلت جويريات لها يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائها يوم بدر ، شهدت الربيع أحداً مع أم عمارة وعائشة رضي الله عنهن .

٤ـ أم سنان الأسلمية :

صحابية جليلة ، روت عن النبيّ ﷺ ، وروى عنها ابن عباس ، وروت عنها ابنتها ثُبيتة

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الدعاء بالجهاد والشهادة ، رقم (٢٧٨٨) ، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الغزو في البحر ، رقم (٥٠٤٣) ، وكلاهما عن أنس .

(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (٢/ ٣١٦ـ٣١٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (٣/ ١٩٨) .

بنت حنظلة الأسلميّة ، كانت من الصحابيات المجاهدات ، حيث تتصف بالشجاعة والهمة العالية ، أتت رسولَ الله ﷺ عندما أراد التوجّه إلى خيبر ، وقالت له : يا رسول الله ، أُحبُّ أن أخرج معك ، أخرز السقاء ، وأُداوي الجرحى ، وأنصر المجاهدين ، وأحفظ لهم أمتعتهم ، وأسقي عطشاهم ، فقال النبيّ ﷺ لها : « تعالي معنا وكوني مع أُم سلمة » ، حيث كانت أكثر أوقاتها معه ﷺ[1] .

٥ـ ليلي الغفارية :

وهي صحابية جليلة من فضيلات الصحابيات ، كانت تغزو مع رسول الله ﷺ[2] ، قالت : كنت أغزو مع النبي ﷺ فأداوي الجرحى وأقوم على المرضى فلما خرج علي إلى البصرة خرجت معه[3] ، وتوفيت سنة ٤٠ هـ رضي الله عنها .

٦ـ كعيبة بنت سعيد الأسلمية :

من كريمات النساء ، وفضيلات الصحابيات المجاهدات ، شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ فأسهم لها سهم رجل[4] .

٧ـ رفيدة الأنصارية :

قال عنها ابن حجر : (رفيدة الأنصارية ، أو الأسلمية ، ذكرها ابن إسحاق في قصة سعد بن معاذ لما أصابه بالخندق ، فقال رسول الله ﷺ : « اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب » ، وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين)[5] .

وظلت المرأة منذ العهد الأول تشارك في الحروب ، وتقوم بدورها في حماية الأمة الإسلامية والدفاع عن الحق والأوطان ، وقد تطورت تطلعات المرأة إلى أن وصل إلى

---

(١) أسد الغابة ، ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد ، (٥/ ٥٩٢) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، (٤/ ٤٦٢) .

(٢) الثقات ، محمد بن حبان البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، (دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م) ، (٣/ ٦١) .

(٣) الإصابة ، ابن حجر العسقلاني ، (٨/ ١٠٦) .

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي ، (مصر ، ١٩٦٠م) ، (٤/ ١٩٠٧) .

(٥) الإصابة ، ابن حجر العسقلاني ، (٧/ ٦٤٦) .

قيادة الجيش المسلم الذي يقاتل في سبيل الله ، ونذكر من ذلك هذه المرأة التي قادت جيشاً مسلماً .

٨ ـ قائدة الجيش تركان خاتون :

هي تركان خاتون بنت طغراج الملكة الجلالية صاحبة أصبهان ، زوجة السلطان ملكشاه ، وهي سيدة جليلة من ربات العقل والرأي والدين والصلاح والنفوذ والسلطان ، من نسل أفراسياب ملك الفرس ، شاركت زوجها في الملك ، وبعد وفاته دبرت الأمور فاتخذت المستشارين والوزراء ، وقادت الجيوش ، وحفظت أموال التجار ، وأثَّرت تأثيراً عظيماً في بلاد فارس ، فأصلحت كثيراً من عادات البلاد وأخلاق أهلها ، فبذلت لهم العطايا والإقطاعات ، فأحبتها الأمراء والرعية ، وصاهرت الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله حيث تزوج بابنتها ، وماتت رحمها الله سنة ٤٨٧ هـ(١) .

ما ذكر قليل من كثير من إسهامات المرأة في الحروب والجيوش المسلمة ، ولكنه يعد سابقة حضارية على الاعتراف بدور المرأة في كل نواحي الحياة ، بل يعد أمراً فريداً لم يحققه الغرب الذي يتغنى بالحريات والديمقراطية بعدُ .

المطلب الرابع : النساء المفتيات والعالمات

نبغ في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي الآلاف من العالمات المبرزات ، والمتفوقات في أنواع العلوم وفروع المعرفة وحقول الثقافة العربية الإسلامية ، وقد ترجم الحافظ ابن حجر في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) ، لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف امرأة ، منهن الفقيهات والمحدِّثات والأديبات ، وذكر كل من الإمام النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) ، والخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) ، والسخاوي في كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ، وعمر رضا كحالة في (معجم أعلام النساء) ، وغيرهم ممن صنف كتب الطبقات والتراجم ، تراجم مستفيضة لنساء عالمات في الحديث والفقه والتفسير وأديبات وشاعرات .

ولقد تفوقت المرأة المسلمة على الرجل في جوانب كثيرة في علوم الحضارة الإسلامية ، وخاصة في جانب علم الحديث ومعرفة رواته ، ويسجل تلك الشهادة أئمة

---

(١) أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (١/ ١٦٩) .

علم الحديث والمصطلح ، فيقول الإمام الذهبي : (وما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها)[١] . ويؤكد هذا الحكم على تزكية النساء في علم الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث يقول : (لا أعلم في النساء من اتهمت ولا تركت)[٢] .

وكان حرص النساء على طلب العلم الشرعي والاهتمام به منذ عهد النبي ﷺ ، وشمل هذا الحرص كل أمهات المؤمنين رضوان الله عليهنّ ، وأغلب نساء الصحابة أيضاً ، فتلك الأعداد الهائلة من النساء اللواتي ساهمن في الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية ليس بوسعنا أن نستوعبها جميعها في بضعة سطور ، وسوف نذكر نماذج قليلة وتراجم يسيرة عليها ، من النساء العالمات من بعد عهد الصحابة رضوان الله عنهم .

١ـ نفيسة العلم :

قال الذهبي عنها : السيدة المكرمة ، الصالحة ، ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن السيد ، سبط النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما ، العلوية الحسنية ، صاحبة المشهد الكبير المعمول بين مصر والقاهرة ، وولي أبوها المدينة للمنصور ، ثم عزله وسجنه مدة ، فلما ولي المهدي أطلقه وأكرمه ورد عليه أمواله ، وحج معه .

وتحولت من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق فيما قيل ، توفيت بمصر في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ، وكانت من الصالحات العوابد ، والدعاء مستجاب عند قبرها[٣] .

وقد ولدت يوم الأربعاء ١١ ربيع الأول سنة ١٤٥هـ بمكة المكرمة وبقيت بها حتى بلغت خمسة أعوام ، درجت فيها محاطة بالعزة والكرامة ، حتى صحبها أبوها مع أمها زينب بنت الحسن إلى المدينة المنورة ؛ فكانت تذهب إلى المسجد النبوي وتسمع إلى شيوخه ، وتتلقى الحديث والفقه من علمائه ، حتى حصلت على لقب « نفيسة العلم » قبل أن تصل لسنِّ الزواج ، ولما وصلته رغب فيها شباب آل البيت ، فكان أبوها يردُّهم رداً جميلاً إلى أن أتاها (إسحاق المؤتمن) ابن جعفر الصادق رضي الله عنه ، وتزوجا في بيت

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الذهبي محمد بن أحمد ، تحقيق : علي محمد البجاوي (دار المعرفة ، بيروت ، د .ت) ، (٧/ ٤٦٥) .

(٢) لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦م) ، (٧/ ٥٢٢) .

(٣) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (١٠/ ١٠٦ـ١٠٧) .

أبيه ، وبزواجهما اجتمع نور الحسن والحسين ، وأصبحت السيدة نفيسة كريمة الدارين ، وأنجبت لإسحاق ولداً وبنتاً هما القاسم وأم كلثوم .

كانت تمضي أكثر وقتها في حرم جدها المصطفى ﷺ ، وكانت زاهدة دون مبالغة ، فلم تكن تقاطع الحياة ، وإنما كان هجرها للدنيا واقعاً على كل ما يعوق عن العبادة والتزوُّد ، وكانت الآخرة نصب عينيها ، حتى أنها حفرت قبرها الذي دُفنت فيه بيديها ، وكانت تحفظ القرآن وتفسره ويؤمُّها الناس ليسمعوا تفسيرها ، وكانت تدعو الله قائلة : إلهي يسر لي زيارة قبر خليلك إبراهيم ، فاستجاب الله لها ، وزارت هي وزوجها إسحاق المؤتمن قبر الخليل .

ثم رحلا إلى مصر في رمضان عام ١٩٣ هجرية في عهد هارون الرشيد ، وفي العريش - بأقصى شمال مصر الشرقي - استقبلها أهل مصر بالتكبير والتهليل وخرجت الهوادج والخيول تحوطها وزوجها ، حتى نزلا بدار كبير التجار وقتها ، وصلت السيدة نفيسة إلى القاهرة يوم السبت ٢٦ رمضان ١٩٣ هجرية قبل أن يقدم إليها الإمام الشافعي بخمس سنوات ، ونزلت بدار سيدة من المصريين ، وكانت داراً رحيبة ، فأخذ يقبل عليها الناس يلتمسون منها العلم ، حتى ازدحم وقتها ، وكادت تنشغل عما اعتادت عليه من العبادات ، فخرجت على الناس قائلة : (إني كنت قد اعتزمت المقام عندكم ، غير أني امرأة ضعيفة ، وقد تكاثر حولي الناس فشغلوني عن أورادي ، وجمع زاد معادي ، وقد زاد حنيني إلى روضة جدي المصطفى) ، ففزع الناس لقولها ، وأبوا عليها رحيلها ، حتى تدخَّل الوالي (السري بن الحكم) وقال لها : (يا ابنة رسول الله : إني كفيل بإزالة ما تشكين منه) ووهبها داراً واسعة ، ثم حدد موعداً - يومين أسبوعياً - يزورها الناس فيهما طلباً للعلم والنصيحة ، لتتفرغ هي للعبادة بقية الأسبوع ، فرضيت وبقيت .

وكان الأمراء يعرفون قدرها وقدرتها على توجيه عامة الناس ، بل دفعهم للثورة في الحق إن احتاج الأمر ، حتى أن أحد الأمراء قبض أعوانه على رجل من العامة ليعذبوه فبينما هو سائر معهم ، مرَّ بدار السيدة نفيسة فصاح مستجيراً بها ، فدعت له بالخلاص قائلة : (حجب الله عنك أبصار الظالمين) ، ولما وصل الأعوان بالرجل بين يدي الأمير ، قالوا له : إنه مرَّ بالسيدة نفيسة ، فاستجار بها وسألها الدعاء فدعت له بخلاصه ، فقال الأمير : (أو بلغ من ظلمي هذا يا رب ، إني تائب إليك وأستغفرك ؛ وصرف الأمير الرجل ، ثم جمع ماله وتصدق ببعضه على الفقراء والمساكين) .

ويروى أن السيدة نفيسة ـ رضي الله عنها ـ قادت ثورة الناس على ابن طولون لمّا استغاثوا بها من ظلمه ، وكتبت ورقة فلما علمت بمرور موكبه خرجت إليه ، فلما رآها نزل عن فرسه ، فأعطته الرقعة التي كتبتها وفيها : (ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم ففسقتم ، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نفاذة غير مخطئة لاسيّما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد جوَّعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، اعملوا ما شئتم فإنَّا إلى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون) ، فعدل من بعدها ابن طولون لوقته . ولمَّا وفد الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ إلى مصر ، وتوثقت صلته بالسيدة نفيسة ، واعتاد أن يزورها وهو في طريقه إلى حلقات درسه في مسجد الفسطاط ، وفي طريق عودته إلى داره ، وكان يصلي بها التراويح في مسجدها في شهر رمضان ، وكلما ذهب إليها سألها الدعاء ، حتى إذا مرض كان يرسل إليها من يُقرئها السلام ويقول لها : (إن ابن عمك الشافعي مريض ويسألك الدعاء) ، وأوصى الشافعي أن تصلي عليه السيدة نفيسة في جنازته ، فمرت الجنازة بدارها ، حين وفاته عام ٢٠٤ هجرية وصلَّت عليها إنفاذاً لوصيته .

كانت كثيرة البكاء ، تديم قيام الليل وصيام النهار ، ولا تأكل إلاّ في كل ثلاث ليال أكلة واحدة ، ولا تأكل من غير زوجها شيئاً ، حجَّت ثلاثين حجَّة ، وكانت تبكي بكاءً شديداً وتتعلَّق بأستار الكعبة وتقول : إلهي وسيدي ومولاي متعني وفرحني برضاك عني .

ومرضت نفيسة بعد أن أقامت بمصر سبع سنين ، فكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً ، وحفرت قبرها بيدها في بيتها ، فكانت تنزل فيه وتصلِّي كثيراً ، فقرأت فيه مائة وتسعين ختمة ، وما برحت تنزل فيه وتصلِّي كثيرًا وتقرأ كثيراً وتبكي بكاءً عظيماً ، حتى اختضرت سنة ٢٠٨هـ وهي صائمة فألزموها بالإفطار وألحوا وأبرموا ، فقالت : واعجبًا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة ، أأفطر الآن ، هذا لا يكون ، ثم قرأت سورة الأنعام ، وكان الليل قد هدأ ، فلمَّا وصلت إلى قوله تعالى : ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام ٦/١٢٧] ، غشي عليها ثم شهدت شهادة الحق وقُبضت إلى رحمة الله[1] .

وقد ذكر كثير من المؤرخين العرب والدارسين الأجانب أن إسلام الكثير من أهل مصر

---

(١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (١٠/١٠٦) وما بعدها .

كان بسبب استجابة دعائها ، حتى توافد عليها الناس من كل حدبٍ وصوب[1] .

٢ـ كريمة راوية البخاري :

الشيخة ، العالمة ، الفاضلة ، المسندة ، أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية ، المجاورة لحرم الله ، سمعت من أبي الهيثم الكشميهني صحيح البخاري ، وسمعتْ من زاهر بن أحمد السرخسي ، وعبد الله بن يوسف بن باموية الأصبهاني ، وكانت إذا روت قابلت بأصلها ، ولها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد ، روت الصحيح مرات كثيرة ؛ مرة بقراءة أبي بكر الخطيب في أيام الموسم ، وماتت بِكراً لم تتزوج أبداً ، حدَّث عنها : الخطيب ، وأبو الغنائم النرسي ، وأبو طالب الحسين بن محمد الزينبي ، ومحمد بن بركات السعيدي ، وعلي بن الحسين الفراء ، وعبد الله بن محمد بن صدقة بن الغزال ، وأبو القاسم علي بن إبراهيم النسيب ، وأبو المظفر منصور بن السمعاني ، وآخرون .

قال أبو الغنائم النرسي : أخرجت كريمة إلي النسخة (بالصحيح) ، فقعدت بحذائها ، وكتبت سبع أوراق ، وقرأتها ، وكنت أريد أن أعارض وحدي ، فقالت : لا حتى تعارض معي ، فعارضت معها .

توفيت سنة خمس وستين وأربع مائة، وقيل: الصحيح موتها في سنة ثلاث وستين[2] .

٣ـ أمة الواحد :

هي ستيتة بنت الحسين بن إسماعيل المحاملي ، العالمة الفقيهة المفتية ، تفقهت على أبيها وروت عنه ، وحفظت القرآن والفقه للشافعي ، وأتقنت الفرائض ومسائل العربية وغير ذلك ، وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة ، وهي والدة القاضي محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي ، توفيت في رمضان سنة ٣٧٧ هـ[3] .

٤ـ شهدة الإبَري :

بنت المحدِّث أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري ، ثم البغدادي الإبري الجهة ،

---

(١) انظر : **الدعوة إلى الإسلام** ، **أرنولد** ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، (مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٠ م) ، ص (٤٥١ـ٤٥٣) .

(٢) **سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي** ، (١٨/ ٢٣٣) .

(٣) **تاريخ بغداد** ، **الخطيب البغدادي** ، (١٤/ ٤٤٢) ، **سير أعلام النبلاء** ، **الذهبي** ، (١٥/ ٢٦٤) .

المعمرة ، الكاتبة ، مسندة العراق ، فخر النساء ، ولدت بعد الثمانين وأربع مائة ، سمعت من : أبي الفوارس طراد الزينبي ، وابن طلحة النعالي ، وأبي الحسن بن أيوب ، وأبي الخطاب بن البطر ، وعبد الواحد بن علوان ، وأحمد بن عبد القادر اليوسفي ، وثابت بن بندار ، ومنصور بن حيد ، وجعفر السراج ، وعدة ، ولها مشيخة .

حدَّث عنها : ابن عساكر ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، وعبد الغني ، وعبد القادر الرهاوي ، وابن الأخضر ، والشيخ الموفق ، والشيخ العماد ، والشهاب بن راجح ، والبهاء عبد الرحمن ، والناصح ، والفخر الإربلي ، وتاج الدين عبد الله بن حمويه ، وأعز بن العليق ، وإبراهيم بن الخير ، وبهاء الدين بن الجميزي ، ومحمد بن المني ، وأبو القاسم بن قميرة ، وخلق كثير .

كان لها خط حسن ، وتزوجت ببعض وكلاء الخليفة ، وخالطت الدور والعلماء ، ولها برٌّ وخير ، وعمرت حتى قاربت المائة ، توفيت في رابع عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمس مائة ، وحضرها خلق كثير وعامة العلماء ، وقال الشيخ الموفق : انتهى إليها إسناد بغداد ، وعمرت حتى ألحقت الصغار بالكبار[١] .

٥ـ زين العرب بنت عبد الرحمن :

هي زين العرب بنت عبد الرحمن بن عمر بن الحسين المعروفة ببنت الخزيراني ، محدثة ، تولت مشيخة رباط بنت السقلاطوني ، جاورت مكة وتقلدت مشيخة رباط الحرمين في أواخر أيامها ، توفيت في أوائل سنة ٧٠٤ هـ ولها بضع وسبعون سنة[٢] .

٦ـ دهماء بنت يحيى :

هي دهماء بنت يحيى بن المرتضى الشريفة ، العاملة الفاضلة ، أخذت العلم عن أخيها الإمام المهدي ، وبرعت في النحو والأصول والمنطق والنجوم والرمل والسيمياء والشعر ، فألفت شرحاً للأزهار في أربع مجلدات ، وشرحًا لمنظومة الكوفي في الفقه

---

(١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، (٢٠/ ٥٤٢ـ ٥٤٣) .

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د .ت) ، (٢/ ٢٤٧) .

والفرائض ، وشرحًا لمختصر المنتهى ، وأخذ عنها الطلبة بمدينة تلا ، وتوفيت بمدينة تلا في ذي القعدة ٨٣٧ هـ[١] .

٧ـ فاطمة بنت أحمد :

هي فاطمة بنت أحمد بن يحيى ، عالمة فاضلة متفقهة ، كانت تستنبط الأحكام الشرعية وتتباحث مع والدها في مسائل فقهية مشهورة بالعلم ، ولها مع والدها مراجعات في مسائل كمسألة الخضاب بالعصفر ، فإنه قال : إن فاطمة ترجع إلى نفسها في استنباط الأحكام ، وهذه المقالة تدل على أنها كانت مبرزة في العلم ، فإن الإمام لا يقول مثل هذه المقالة إلا لمن هو حقيق بها ، وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل وإذا ضايقه التلامذة في بحث دخل إليها فتفيده الصواب ، فيخرج بذلك إليهم فيقولون : ليس هذا منك ، هو من خلف الحجاب ، وماتت قبل والدها رحمهما الله سنة ٨٤٠ هـ[٢] .

٨ ـ أسماء المروانية :

أسماء بنت عبد الله بن محمد المروانيّة ، محدّثة ، كاتبة ، ذات دين وصلاح ، سمعت على الكمال محمد بن محمد بن نصر بن النحَّاس ، والشهاب أحمد بن عبد الغالب بن محمد الماكسيني رواية الآباء عن الأبناء للخطيب ، أجازها ستة وعشرون شيخاً ؛ منهم : رسلان الذهني ، وأبوبكر بن محمد المزي ، وخرَّج لها الشهاب بن اللبودي في مشيخته ، وقرأ عليها السخاوي .

ماتت بدمشق في صفر سنة ٨٦٧هـ ، ودفنت بمقبرة باب توما بالقرب من تربة الشيخ رسلان[٣] .

٩ـ زاهدة الطاهري :

زاهدة بنت محمد بن عبد الله الطاهري ، محدثة ، أجازها ابن الجميزي ، والشاوي ،

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد علي الشوكاني ، (مكتبة الحلبي ، القاهرة ، د .ت) ، (٢٤٨/١) .

(٢) البدر الطالع ، الشوكاني ، (٢/ ٢٤) .

(٣) الضوء اللامع ، الشوكاني ، (٦٠٦/١) .

وغيرهما ، وسمعت من إبراهيم بن خليل ، وحدثت وخرّج لها المقاتلي مشيخته ، وقرأ عليها الواني ، توفيت في القرن الثامن للهجرة[1] .

١٠ـ زينب الجرجانية :

زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني ، تعرف بابنة الشَّعْري ، وتدعى حرة ، عالمة ، فاضلة ، محدثة ، جليلة ، ولدت بنيسابور سنة ٥٢٤ هـ ، فأدركت جماعة من أعيان العلماء ، فأخذت عنهم الرواية والإجازة .

سمعت من أبي محمد إسماعيل بن أبي القاسم بن أبي بكر النيسابوري القارىء وأبي القاسم زاهر ، وأبي المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري ، وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذياضي ، وأبي البركات محمد بن الفضل الفزاري ، وغيرهم .

أجازها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي ، والعلاَّمة الخُرقي ، وغيره من الحفَّاظ والعلماء .

أخبر عنها علي المقدسي ، وسمع عنها الحسن بن محمد بن محمد البكري جزءاً فيه أحاديث أبي عمر وإسماعيل بن محمد بن أحمد السلمي ، وعثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح .

وسمع عنها جميع الجزء الثالث من كتاب الزهد لوكيع بن الجراح ، وكتاب الأربعين بروايتها عن فاطمة بنت البغدادي سماعاً ، وعن الصاعدين إجازةً ، والجزء العاشر من فوائد الحاكم محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري بروايتها ، وسماعها من أبي القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي .

توفيت بنيسابور في جمادى الآخر سنة ٦١٥هـ[2] .

المطلب الخامس : نساء تولَّين الحسبة (السلطة التنفيذية)

وردت آثار في تولي المرأة السلطة التنفيذية ، أو الشرطة ، أو ما تسمى في التراث الفقهي الإسلامي (الحسبة) ، وكان ذلك في القرن الأول ، وعلى خلفية هذه الآثار أجاز

---

(١) الدرر الكامنة ، ابن حجر ، (٢/ ١١٢) .

(٢) أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (٢/ ٧٥) .

بعض علماء المسلمين تولي المرأة هذا المنصب القيادي الحساس في الدولة الإسلامية .

كما ذكر ابن حزم ذلك أيضاً مستشهداً بخبر الشفاء ، فقال : (وجائز أن تلي المرأة الحكم وهو قول أبي حنيفة وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه ولّىٰ الشفاء امرأة من قومه السوق ، فإن قيل قد قال رسول الله ﷺ : « لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة »[1] [2] ، قلنا : إنما قال ذلك رسول الله ﷺ في الأمر العام الذي هو الخلافة ، برهان ذلك قوله ﷺ : « المرأة راعية على مال زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها »[3] ، وقد أجاز المالكيون أن تكون وصية ووكيلة ، ولم يأتِ نص من منعها أن تلي بعض الأمور ، وبالله تعالى التوفيق)[4] .

روى أبو بلج يحيى بن أبي سليم قال : (رأيت سمراء بنت نهيك وكانت قد أدركت النبي ﷺ عليها درع غليظ وخمار غليظ بيدها سوط تؤدب الناس وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر)[5] .

المطلب السادس : بعض الكتب التي حفظت نشاط المرأة وتراثها الفكري والأدبي

لقد حوت المكتبة الإسلامية الآلاف المؤلفة من المجلدات ، ترسم صورة المرأة في الإسلام ، التي صنعت البطولة والأبطال ، والعلم والعلماء ، والرجولة والرجال ، فكتبت الآلاف من الكتب عن زوجات النبي ﷺ ودورهم في الدعوة الإسلامية ، إن البحث والتقصِّي في المصادر والكتب يكشفان عن تاريخ غني للمرأة ، يتناول المرأة في نشاطها

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي إلى كسرى ، رقم (٤١٦٣) ؛ **سنن الترمذي** ، كتاب الفتن ، باب منه ، رقم (٢٢٦٢) ، عن أبي بكرة .

(٢) هذا الحديث ذكر في معرض الحديث عن الأعداء وهم الروم عندما ولوا أمرهم امرأة ، فذكر الحديث بحق الرومان .

(٣) **صحيح البخاري** ، كتاب الأحكام ، باب وأطيعوا الله ، رقم (٦٧١٩) ؛ **وصحيح مسلم** ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، رقم (١٨٢٩) ، وكلاهما عن ابن عمر .

(٤) **المحلى** ، **علي بن محمد بن حزم** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (دار الفكر ، بيروت ، د .ت) ، (٤٢٩/٩) .

(٥) **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، كتاب مسند النساء ، باب السين ، رقم (٧٨٥) ، (٢١١/٢٤) ، **مجمع الزوائد** **الهيثمي** ، كتاب البر والصلة ، باب هند بن عتبة ، رقم (١٥٤٤٠) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله كلهم ثقات .

الفكري ومساهمتها الأدبية في تاريخها . إن تدوين تاريخ المرأة غير المدون بعد استخراجه من تلال الكتابات التاريخية أمر ما يزال مطروحاً ، وإن كان بعض الباحثين قد التفت إلى ذلك إلى حد ما في العقد الأخير .

إن للكشف عن ماضي المرأة اللامع والداعي للفخر فوائد جمة :

١ـ أنه يبين قابليات المرأة وكفاءاتها .

٢ـ يبين مدى حضور المرأة في المجتمع .

٣ـ يبين هوية المرأة وشخصيتها للمسلمين .

٤ـ يفيد العثور على المرأة المثالية التي تكون قدوة للجيل الجديد .

٥ـ يحول دون انغماس المرأة في مباذل العصر الحديث .

وفي هذا المطلب نعرض لبعض كتب تراجم النساء ومنها :

١ـأخبار الزينبات : أبو الحسين يحيى بن الحسن (٢٧٧هـ) ، يتناول هذا الكتاب ترجمة ٣٤ امرأة من نساء أهل البيت يحملن اسم زينب .

٢ـ أخبار النساء : ابن قيم الجوزية (٦٩١ـ ٧٥١هـ) .

٣ـ العقد الفريد : ابن عبد ربه ، وردت فيه أخبار للنساء بلغ عددهن ٢٥٠ امرأة .

٤ـ الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) ، في هذا الكتاب وردت ترجمة أكثر من ١٨٠ امرأة .

٥ـ الاستيعاب : ابن عبد البر ، تحقيق : علي محمد البجاري ، نهضة مصر ، القاهرة ، يضم الكتاب تراجم نحو ألف امرأة من الصحابيات .

٦ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة : علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، في ٥ أجزاء ، في المجلد الخامس ، كتاب النساء ، وقد رتب الأسماء بحسب حروف الهجاء ، مع ذكر شيء من تراجمهن .

٧ـ أشعار النساء : محمد بن عمران المرزباني ، يترجم الكتاب لعدد من النساء العرب مع نماذج من شعرهن .

٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر (٧٧٢ـ ٨٥٢ هـ) ، في ٥ أجزاء ، الجزء الخامس هو كتاب النساء ، ويضم أسماء (١٥٤٥) امرأة رتبت وفق حروف الهجاء .

٩ـ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : عمر رضا كحالة ، في هذا الكتاب ترجمة لنساء عالمي الإسلام والعرب ، مرتبة بحسب الحروف الهجائية ، ويعتبر من أجمع كتب التراجم لأنه يضم نحو ألفين وثمانمئة امرأة .

١٠ـ الإماء الشواعر : أبو الفرج الأصفهاني ، يترجم الكتاب لثلاث وثلاثمئة أمة ممن نظمن الشعر ، مع أمثلة لشعرهن .

١١ـ أمهات المؤمنين وبنات الرسول : وداد سكاكيني ، يترجم الكتاب لإحدى عشرة من زوجات النبي ﷺ وبناته الأربع .

١٢ـ تاريخ مدينة دمشق : (تراجم النساء) : ابن عساكر ، هذا القسم من تاريخ دمشق يضم تراجم (١٩٦) امرأة .

١٣ـ تهذيب الكمال : أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤ـ ٧٤٢هـ) ، ترد أسماء (٢٦٥) من الراويات ، كذلك أسماء الراويات عن الرواة .

١٤ـ ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات : أبو عبد الله السلمي (٢٤١ـ ٣٢٥) ، يضم الكتاب ترجمة ٨٤ امرأة من العابدات الصوفيات .

١٥ـ السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين : أحمد بن عبد الله الطبري ، (٦٩٤هـ) ، يتناول الكتاب ترجمة حياة خديجة ، وسودة ، وعائشة ، وحفصة ، وزينب بنت خزيمة ، وأم سلمة ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وجويرية ، وصفية ، وأخريات .

١٦ـ الروضة الفيحاء في تواريخ النساء : ياسين بن خير الله العمري ، (١٢٣٢ هـ) ، يضم هذا الكتاب تراجم موجزة لنحو مئة وستين امرأة ، في قسمين اثنين ، القسم الأول يختص بالنسوة الصالحات ، ويتناول القسم الثاني النسوة الطالحات .

١٧ـ الطبقات الكبرى : محمد بن سعد ، في تسعة مجلدات ، يختص المجلد التاسع بالنساء .

١٨ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، في المجلد الرابع من هذا الكتاب يورد أسماء الراويات تحت ثلاثة عناوين : المجهولات ، الكنى ، من لم يسم .

١٩ـ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور : زينب بنت يوسف العاملي .

٢٠ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي .

٢١ـ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة .

٢٢ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦ هـ) .

٢٣ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القلقشندي أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) .

٢٤ـ العبر ، الذهبي (٧٤٨ هـ) .

٢٥ـ الفهرست ، ابن النديم .

٢٦ـ فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي .

٢٧ـ المختصر في أخبار البشر ، أبو الفداء .

٢٨ـ معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) .

٢٩ـ النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي .

٣٠ـ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، أحمد المقري .

٣١ـ الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك .

٣٢ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ابن خلكان .

٣٣ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو المنصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) .

٣٤ـ أخبار الوافدات من النساء من أهل الكوفة على معاوية بن أبي سفيان ، العباس بن بكار .

٣٥ـ الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ، ابن عساكر .

٣٦ـ أعلام النساء في الكوفة الغراء ، محمد سعيد الطريحي .

٣٧ـ بلاغات النساء ، ابن طيفور أحمد بن أبي طاهر .

٣٨ـ تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي .

٣٩ـ سير أعلام النبلاء ، الذهبي .

٤٠ـ مشيخة ابن عساكر ، ابن عساكر .

٤١ـ المستظرف من أخبار الجواري ، جلال الدين السيوطي .

٤٢ـ مناقب أمهات المؤمنين ، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري .

هذه بعض أسماء الكتب والمصادر التي أرّخت لتاريخ المرأة المسلمة ودورها الرائد في التاريخ الإسلامي ، وهي غيض من فيض .

المطلب السابع : إسهام المَرأة في العمارة بدمشق

في ظل حكم نور الدين محمود (المعروف بنور الدين الشهيد) وخلفائه من الأيوبيين ، استعادت دمشق أهميتها التي فقدتها منذ انتهاء العهد الأموي ، وعادت مركزاً سياسياً وعسكرياً ، تجارياً وصناعياً ، ثقافياً ودينياً ، بعد فترة فوضى واضطراب مرَّت بها بلاد الشام خلال العهدين العباسي والفاطمي ، وقد شهدت دمشق خلال عهدهم نهضة عمرانية كبيرة ، وأتوا بمؤسسة جديدة هي المدرسة ، وقد شاركت المرأة في هذه النهضة مشاركة فعالة ، فقد أقامت زمرد خاتون أم شمس الملوك مدرسة ، وأنشأت صفوة الملك أم دقاق خانقاها وتربة ، وشيدت والدة تاج الملوك بوري تربة(١) .

وقد تمثل التوسع العمراني في ظهور أحياء ومناطق جديدة لعل أبرزها (الصالحية) في سفح قاسيون ، التي غدت في نهاية العهد الأيوبي بلدة حقيقية ، فيها مسجد جامع وسوق وبيمارستان ، تنتشر فيها المدارس والمنشآت الثقافية الدينية انتشاراً لافتاً للنظر .

ولعل من أهم ما يستلفت الانتباه في هذه الفترة الدورَ الكبيرَ والفعال الذي قامت به المرأة في حركة البناء الحضاري هذه ، فنراها تساهم في بناء المؤسسات الدينية والثقافية كالمدارس والرباطات والخوانق والترب ، والمؤسسات الاجتماعية كالحمامات ، والاقتصادية كالفنادق والخانات ، مما يعكس دورها في الحياة الثقافية الدينية والحياة الاقتصادية والاجتماعية .

---

(١) ولاة دمشق في العهد السلجوقي (نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر) ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، (دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م) ، ص (١٣ـ١٦) .

وهذا يفند الصورة التي رسمها كثير من الباحثين المغرضين أو الجاهلين في الأدب والتاريخ للمرأة من خلال هذه الفترات من أنها كانت مهانة ، أو على الأقل لا تحظى بمكان لائق في المجتمع .

وأهم الأبنية التي أقامتها النساء في دمشق :

أولاً : الأبنية الثقافية ـ الدينية :

أ ـ المدارس :

١ـ **المدرسة الخاتونية الجوانية** : بمحلة حجر الذهب ، التي عرفت فيما بعد بحي سيدي عامود (الحريقة اليوم) ، أنشأتها عصمة الدين خاتون بنت الأمير معين الدين أنر ، زوجة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، والتي تزوجها صلاح الدين بعد وفاة نور الدين ، وقد أوقفتها للحنفية عام ٥٧٣هـ ، توفيت عام ٥٨١ هـ[١] وقد دثرت هذه المدرسة .

٢ـ **المدرسة الفرخشاهية** : في الشرف الشمالي ، (في زقاق الصخر اليوم) وأوقفتها حظ الخير خاتون ابنة إبراهيم بن عبد الله والدة عز الدين فرخشاه ، وهي زوجة شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين ، وذلك في سنة ٥٧٨هـ ، وقد نسبت المدرسة إلى ابنها الذي توفي في السنة المذكورة ، فأنشأت له تربة وألحقت بها مدرسة للحنفية . وقد دثرت المدرسة وبقيت التربة[٢] .

٣ـ **المدرسة العذراوية** : داخل باب النصر ، أنشأتها عذراء بنت نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين ، وذلك في سنة ٥٨٠ه ، وفيها دفنت سنة ٥٩٣هـ ، والمدرسة وقف على الشافعية والحنفية ، وقد دثرت[٣] .

٤ـ **المدرسة الشامية الكبرى** : بمحلة العوينة ، شرق سوق ساروجة اليوم ، أنشأتها

---

(١) **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** ، عز الدين بن شداد ، (ت ٦٨٤هـ) ، (قسم دمشق) ، تحقيق : الدكتور سامي الدهان ، (المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ١٩٥٦) ، ص (٢٠٥) ، **الدارس في تاريخ المدارس** ، **عبد القادر النعيمي** ، (ت ٩٢٧هـ) ، تحقيق : الأمير جعفر الحسني ، (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٨٨) ، (١/ ٥٠٧) .

(٢) **الأعلاق الخطيرة** ، **ابن شداد** ، ص (٢١٩) ، **الدارس** ، **النعيمي** ، (١/ ٥٦١) .

(٣) **الأعلاق الخطيرة** ، ابن شداد ، ص (٢٦١) ، **الدارس** ، **النعيمي** ، (١/ ٣٧٣) .

الخاتون ست الشام بنت أيوب ، أخت السلطان صلاح الدين عام ٥٨٢هـ ، وقد توفيت عام ٦١٦ه ونقلت إلى هذه المدرسة ، وقد كانت هذه المدرسة من أكبر المدارس وأعظمها ، وأكثرها فقهاء ، وأكثرها أوقافاً ، وقد أوقفت للشافعية ، وتعرف أيضاً بالشامية الحسامية نسبة إلى حسام الدين لاجين ابن ست الشام الذي دفن بها ، وهي ما تزال موجودة حتى اليوم وتعرف بجامع الشامية[(١)] .

٥ـ **المدرسة القصاعية** : بحارة القصاعين ، داخل باب الجابية بالخضيرية ، أنشأتها خطبلسي خاتون بنت ككجا في سنة ٥٩٣هـ ، وأوقفتها على الحنفية ، وقد دثرت[(٢)] .

٦ـ **المدرسة الماردانية** : بالصالحية ، في الجسر الأبيض ، أنشأتها الأميرة الأرتقية عزيزة الدين أخشا خاتون بنت الملك قطب الدين ايلغازي صاحب ماردين ، وزوجة الملك العظيم عيسى الأيوبي في سنة ٦١٠هـ ، وأوقفتها ٦٢٤هـ للحنفية[(٣)] وما تزال المدرسة موجودة حتى يومنا هذا ، وتعرف بجامع الجسر .

٧ـ **المدرسة الشامية الجوانية** : قبلي البيمارستان النوري ولصيقه ، أنشأتها الخاتون ست الشام بانية المدرسة الشامية البرانية ، وذلك في عام ٦٢٨هـ ، وأوقفتها على الشافعية ، وقد دثرت[(٤)] .

٨ـ **مدرسة الصاحبة** : في الصالحية ، من الشرق ، أمرت بإنشائها الصاحبة ربيعة خاتون بنت أيوب أخت صلاح الدين ، وزوجة مظفر الدين كوكبوري صاحب أربيل ،

---

(١) ذيل على الروضتين ، أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ، (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م) ، (دار الجيل ، بيروت ، د .ت) ص (١١٩) ، الدارس ، النعيمي ، (١/ ٢٧٧) .

(٢) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (٢١٢) ، الدارس ، النعيمي ، (١/ ٥٦٥) ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، عبد القادر بن بدران ، (نشره زهير الشاويش ، دمشق ، ١٩٦٠م) ، ص (١٩٤) .

(٣) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، شمس الدين محمد بن طولون ، (ت ٩٥٣هـ) ، تحقيق : محمد أحمد دهمان ، (مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٤٩ م) ، (١/ ٦١ـ ٦٣) ، الدارس ، النعيمي ، (١/ ٥٩٢) ، ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، يوسف بن عبد الهادي ، (ت ٩٠٩هـ) ، تحقيق : الدكتور أسعد طلس ، (مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٤٣م) ، ص (١٥٥) وذيل ثمار المقاصد ، ص (٢٤٩) .

(٤) الدارس ، النعيمي ، (١/ ٣٠١) ، مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس ، العلموي ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (مطبوعات مديرية الآثار العامة ، دمشق ، ١٩٤٧م) ، ص (٤٨) .

عام ٦٢٨هـ ، وقد دفنت فيها عندما توفيت عام ٦٤٣هـ ولم تكن المدرسة قد اكتملت بعد ، والمدرسة وقف على الحنابلة ، وما تزال باقية حتى اليوم تؤدي وظيفتها كمدرسة وهي بجانب مسجد أبي النور[١] .

٩ـ المدرسة الميطورية : في الصالحية من الشرق ، أوقفتها الست فاطمة بنت السلار في سنة ٦٢٩هـ ، وهي للحنفية ، وقد دثرت[٢] .

١٠ـ المدرسة الدمَّاغية : داخل باب الفرج ، أنشأتها عائشة زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلي الذي كان من الأصدقاء المقربين للملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وكانت المدرسة بالأصل داراً له فجعلتها زوجته مدرسة للشافعية والحنفية ، عام ٦٣٨ هـ ، وقد دثرت[٣] .

١١ـ المدرسة الأتابكية : في الصالحية من الغرب (في جادة بين المدارس اليوم) ، بنتها الأتابكية تركان خاتون بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل وزوجة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب ، وقد توفيت عام ٦٤١ هـ ودفنت بها ، والمدرسة وقف على الشافعية ، وما تزال موجودة حتى يومنا هذا[٤] .

١٢ـ المدرسة المرشدية : في الصالحية من الغرب (في جادة بين المدارس اليوم) ، بنتها عصمة الدين خديجة خاتون ابنة الملك المعظم عيسى الأيوبي عام ٦٥٠ه ، وأوقفتها على الحنفية ، وما تزال باقية[٥] .

١٣ـ مدرسة العالمة ودار الحديث : غربي الصالحية تحت جامع الأفرم ، بنتها الشيخة

---

(١) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ابن إبراهيم الحنبلي ، (ت عام ٨٧٦هـ) ، تحقيق : ناظم رشيد ، (وزارة الثقافة ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٨م) ، ص (٢٣٠) ، النعيمي ، الدارس ، (٢/ ٧٩) ، القلائد ، ابن طولون ، ص (١٥٦) .

(٢) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (٢٢٣) ، الدارس ، النعيمي ، (١/ ٦٠٤) ، القلائد ، ابن طولون ، ص (١٤١ ـ١٤٢) ، مختصر الدارس ، العلموي ، ص (١١١) .

(٣) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (٢٦٢) ، الدارس ، النعيمي ، (١/ ٢٣٦) ، منادمة الأطلال ، بدران ، ص (٩٧) .

(٤) ذيل الروضتين ، أبو شامة ، ص (١٧٢) ، الدارس ، النعيمي ، (١/ ١٢٩) ، القلائد ، ابن طولون ، (١/ ١٠٢) .

(٥) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (٢٢٨) ، الدارس ، النعيمي ، (١/ ٥٧٦) ، القلائد ، ابن طولون ، ص (٢٥٨) ، منادمة الأطلال ، بدران ، ص (٢٠) .

العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتوفاة عام ٦٥٣هـ ، وأوقفتها على الحنابلة ، وقد دثرت[١] .

١٤ـ المدرسة العادلية الصغرى : في العصرونية ، مقابل دار الحديث النورية ، كانت هذه المدرسة في الأصل داراً للأمير عز الدين عبدان الفلكي ثم نسبت لابن موسك ، ثم ملكت هذه الدار الخاتون عصمة الدين زهرة ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ثم ملَّكتها لابنة عم أبيها بابا خاتون ابنة أسد الدين شيركوه مع أوقاف أخرى ، ثم عادت بابا خاتون فأوقفت ذلك جميعه على زهرة خاتون ومن بعدها لتكون مدفناً ومدرسة للشافعية ومواضع للسكنى ، وذلك سنة ٦٥٥هـ ، وقد انتهي من بنائها عام ٦٥٦هـ ، وما تزال موجودة اليوم[٢] .

١٥ـ المدرسة الشومانية : قرب الخواصين (سوق الخياطين حالياً) ، داخل دمشق ، وقد سموها المدرسة الطيبة فيما بعد تيمناً ، وهي للشافعية ، أنشأتها خاتون بنت ظهير الدين شومان ، ولا تذكر المصادر سنة الإنشاء ولا تاريخ وفاة البانية ، ولم يبق لهذه المدرسة أثر[٣] .

ب ـ الترب :

١ـ التربة الخاتونية : في الصالحية من الغرب ، أمرت بعمارتها عصمة الدين خاتون ابنة معين الدين أنر زوجة صلاح الدين عام ٥٧٧هـ ، وهي بانية المدرسة الخاتونية الجوانية ، وقد توفيت عام ٥٨١هـ ودفنت بها ، وما تزال هذه التربة موجودة[٤] .

---

(١) **الدارس** ، **النعيمي** ، (٢/ ١١٢) ، **القلائد** ، **ابن طولون** ، ص (٨٤) ، **منادمة الأطلال** ، **بدران** ، ص (٢٤٨) .

(٢) **الأعلاق الخطيرة** ، **ابن شداد** ، ص (٢٤٣) ، **الدارس** ، **النعيمي** ، (١/ ٣٦٨) ، **مختصر الدارس** ، **العلموي** ، ص (٥٨) ، **خطط دمشق** ، **صلاح الدين المنجد** ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٤٩) ، ص (٨٠) .

(٣) **الأعلاق الخطيرة** ، **ابن شداد** ، ص (٢٤٤) ، **الدارس** ، **النعيمي** ، (١/ ٣١٥ـ ٣٣٧) ،.**منادمة الأطلال** ، **بدران** ، ص (١٠٩ـ ١١٥) .

(٤) **الروضتين في أخبار الدولتين** ، **أبو شامة** ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٢٨٧هـ) ، (٢/ ٦٦) ، **البداية والنهاية في التاريخ** ، **ابن كثير** ، (طبعة دار السعادة بمصر ، د .ت) ، (١٢/ ٣١٧) ، **الدارس** ، **النعيمي** ، (٢/ ٢٤٤) ، **القلائد** ، **ابن طولون** ، ص (٥٥ـ ٦٠) .

٢ـ **التربة الفاطمية** : في الصالحية من الشرق ، أنشأتها فاطمة بنت السنقر الطفداسي ، توفيت سنة ٦٠٦هـ ، ودفنت بها ، وقد دثرت[١] .

٣ـ **التربة الستية** : في الصالحية ، أنشأتها الحاجة ست العراق ابنة الأشجاع الملكي الناصري ، لولدها محمد في سنة ٦١٦هـ ، وقد دثرت[٢] .

٤ـ **التربة الكاملية** : في جوار الجامع الكبير من شماليه ، ولها شباك يطل عليه ، وهي تربة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب الذي توفي عام ٦٣٥هـ ، وقد عمدت بناته الثلاث فاشتروها وعمروها تربة ودفنوا آباءهم فيها ، وهي ما تزال موجودة[٣] .

٥ـ **التربة الحافظية** : في الصالحية ، قبلي جسر كحيل ، أنشأت هذه التربة الخاتون أرغوان الحافظية ، عتيقة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وقد سميت الحافظية لتربيتها الملك الحافظ أرسلان شاه صاحب جعبر ، وقد توفيت عام ٦٤٨ه ، والتربة ما تزال باقية حتى يومنا هذا[٤] .

ج ـ الرباطات : وهي بيوت للصوفية .

١ـ **رباط عذراء خاتون** : داخل باب النصر ، أنشأته عذراء خاتون بنت شاهنشاه بن أيوب وهي بانية المدرسة العذراوية ، وقد دثر هذا الرباط[٥] .

٢ـ **رباط بنت الدفين** : في المدرسة الفلكية التي بحارة الأفتريس داخل بابي الفرج والفراديس ، والمدرسة الفلكية بنيت من قبل فلك الدين سليمان أخي الملك العادل أبي بكر لأمه والمتوفى عام ٥٩٩هـ ، ولا نعرف شيئاً عن بنت الدفين المنسوب إليها هذا الرباط الذي دثر في زمننا[٦] .

---

(١) **القلائد** ، ابن طولون ، ص (٢٣٤) .
(٢) **القلائد** ، ابن طولون ، ص (٢٣٥) .
(٣) **ذيل الروضتين** ، أبو شامة ، ص (١٦٦) ، **الدارس** ، النعيمي ، (٢/ ٢٧٧) .
(٤) **البداية والنهاية** ، ابن كثير ، : (١٣/ ١٨٠) ، **القلائد** ، ابن طولون ، ص (٢١٧) ، **الدارس** ، النعيمي ، (٢/ ٢٤٣) ، **خطط دمشق** ، المنجد ، ص (٩٤) .
(٥) **الأعلاق الخطيرة** ، ابن شداد ، ص (١٩٦) ، **الدارس** ، النعيمي ، (٢/ ١٩٤) .
(٦) **الأعلاق الخطيرة** ، ابن شداد ، ص (١٩٦) ، **الدارس** ، النعيمي ، (٢/ ١٩٤) ، **منادمة الأطلال** ، بدران ، ص (١٣٧ـ ٢٩٧) .

٣ـ رباط بنت السلار : داخل باب السلامة ، وهو منسوب إلى فاطمة بنت السلار بانية التربة الفاطمية ، وقد دثر هذا الرباط[١] .

٤ـ رباط صفية القلعية : بالقرب من دار العقيقي التي أصبحت في العهد المملوكي المدرسة الظاهرية ، ذكره البرزالي في حوادث سنة ٦٣٣هـ ، وقد دثر[٢] .

٥ـ رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل : ذكره العلموي ، وقال أنه بناحية الموصلي ولا نعرف مكانه اليوم ، بانيته تركان خاتون بانية المدرسة الأتابكية[٣] .

٦ـ رباط زهرة خاتون : قرب القلعة من الطرف الشرقي ، بانيته زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر ، وقد مرَّ ذكرها أثناء الحديث عن المدرسة العادلية الصغرى ، وقد دثر هذا الرباط[٤] .

د الخوانق :

وهي بيوت للصوفية كذلك ، وكلمة خانقاه مساوية لكلمة رباط في هذا العهد .

١ـ الخانقاه الخاتونية : ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس ، بنتها عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر بانية المدرسة الخاتونية الجوانية ، والتربة الخاتونية في الصالحية ولم يبق لهذه الخانقاه أثر اليوم[٥] .

٢ـ الخانقاه القصاعية : بالقصاعين ، داخل باب الجابية ، أنشأتها فاطمة خاتون ابنة خطلجي ، ولا نعرف من هي ولا تاريخ وفاتها[٦] .

٣ـ الخانقاه الحسامية : خارج دمشق ، بالشرف القبلي ، منسوبة لحسام الدين

---

(١) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (١٩٦) ، الدارس ، النعيمي ، (٢/ ١٩٤) ، مختصر الدارس ، العلموي ، ص (١٦٢) .

(٢) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (١٩٦) ، الدارس ، النعيمي ، (٢/١٩٣) ، مختصر الدارس ، العلموي ، ص (١٦١) ، منادمة الأطلال ، بدران ، ص (٢٩٦) .

(٣) مختصر الدارس ، العلموي ، ص (١٦٣) .

(٤) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (١٩٥) ، الدارس ، النعيمي ، (٢/ ١٩٣) .

(٥) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (١٩٢) ، الدارس ، النعيمي ، ص (٢/ ١٤٤) .

(٦) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ص (١٩٢) ، الدارس ، النعيمي ، (٢/ ١٦٨) ، مختصر الدارس ، العلموي ، ص (١٥١) ، منادمة الأطلال ، بدران ، ص (٢٨٤).

محمد بن عمر بن لاجين ، بانيتها أمه ست الشام أخت صلاح الدين التي مرَّ ذكرها معنا[1] .

ثانياً : الأبنية الاجتماعية :

الحمامات :

١ـ حمام عذراء : وهو لصيق المدرسة العذراوية من الغرب بانيته عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بانية المدرسة العذراوية ، وقد دثر هذا الحمام[2] .

٢ـ حمام ست الشام : لصيق البيمارستان النوري من الجهة الجنوبية الغربية ، أنشأته ست الشام بنت أيوب أخت صلاح الدين ، وهو شمالي المدرسة التي أنشأتها هناك ، وقد دثرا[3] .

ثالثاً ـ الأبنية الاقتصادية :

الخانات والفنادق :

١ـ فندق عصمة الدين : بنته عصمة الدين بنت معين الدين أنر زوجة صلاح الدين المتوفاة عام ٥٨١هـ ، ولم يعد هذا الفندق موجوداً[4] .

نلاحظ من هذا أن النساء المسلمات قد بَنيْنَ بدمشق ، وفي أقل من قرن واحد (٥٧١هـ /٦٥٨ هـ) ، خمس عشرة مدرسة ، وستة رباطات ، وثلاث خوانق ، وحمَّامين وفندقاً ، وكونهن قد بنين خمس عشرة مدرسة بدمشق ، لهو دليل على الدور الفعال الذي لعبته المرأة المسلمة ، في دعم الحركة الثقافية في تلك الفترة ، فقد شاركن في هذه الحركة ، سواء بالبناء والإعمار ، أو بالدراسة والتدريس ، حيث أن مؤرخ الشام وحافظ العصر وإمام أهل الحديث في زمانه ابن عساكر المتوفى عام ٥٧١هـ ، قد تتلمذ ـ في جملة مَن تتلمذ على أيديهم من شيوخ على يد نيف وثمانين امرأة ، ويستدل من ذلك على

(١) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (١٩١) ، الدارس ، النعيمي ، (٢/ ١٤٣) ، مدارس دمشق ودور حديثها وخوانكها وربطها وجوامعها ، أحمد بن زفر الأربلي ، تحقيق : محمد أحمد دهمان ، في كتاب (في رحاب دمشق) ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨١م) ، ص (٧٩) .

(٢) مدارس دمشق ، الأربلي ، ص (٨٦) .

(٣) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (٢٩٢) ، مدارس دمشق ، الأربلي ، ص (٨٦) .

(٤) الأعلاق الخطيرة ، ابن شداد ، ص (٢٩٢) ، مدارس دمشق ، الأربلي ، ص (١٢٢) .

كثرة عدد المشتغلات بالعلم والدين في ذلك العصر بحيث أن فقيهاً واحداً من فقهاء العصر سمع من ثمانين امرأة ، وعلى أنه لم تكن هناك غضاضة في أن يتلقى طالب العلم علمه على يدي امرأة ، وأن المرأة جلست في الجوامع وغيرها من أماكن التدريس ـ في حدود أحكام الدين ـ ليأخذ عنها طلاب العلم من الرجال والنساء على حد سواء[١] كما أن ابن عساكر خصص جزءاً خاصاً لتراجم النساء في كتابه (تاريخ مدينة دمشق) ، ويبدو من ثنايا التراجم التي أوردها لبعض نساء عصره ـ وخاصة من أخذ عنهن ـ مدى تقديره لهن ، كما أن مشاركة المرأة في النشاط السياسي تبدو واضحة من خلال بعض التراجم التي ذكرها[٢] .

كما شاركت المرأة في ذلك العصر في تيار التصوف ، الذي أخذ يشتد تدريجياً في تلك المرحلة ، ودعمت هذا التيار بالمشاركة الفعلية فيه أو ببناء الخوانق والرباطات ، فقد بنين ستة رباطات وثلاث خوانق بدمشق ، كذلك فإنها شاركت في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ببناء الحمامات والخانات ، ونطلع على مدى غنى بعضهن من كثرة الأوقاف التي أوقفنها على المنشآت الدينية ، ولعل في الكتابة الوقفية المنقوشة على باب المدرسة المرشدية[٣] ، والتي ما تزال موجودة حتى يومنا هذا في حيٍّ بين المدارس في الصالحية ، دليل على ذلك ، وكذلك تدل الأوقاف الكثيرة التي أوقفتها ست الشام على مدرستها (المدرسة الشامية البرانية)[٤] التي كانت تعد من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافاً[٥] .

---

(١) **بعض أضواء جديدة على ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره ، الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ،** كتاب مؤتمر ابن عساكر ، (دمشق ، ١٩٧٩م) ، ص (٢١٨) .

(٢) **بعض أضواء جديدة على ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره ، عاشور ،** ص (٢١٩ـ ٢٢١) .

(٣) وقد كتبت على عتبة بابها ما نصه : (هذا ما أوقفت الست الجليلة عصمة الدين خديجة خاتون بنت السلطان المعظم شرف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وذلك حصته من بستان الكليب خمسة أسهم ، وثلثي سهم وسبع سهم ، ومن طاحون الطرب الخمس ، ودار بجبل الصالحية ، وحصة بقرية تقي الدين سبعة أسهم ونصف سهم وربع سهم وثلث عشر سهم ، وحصة بقرية الطرة ثلثا سهم ، وثلث سبع سهم ، وحصة بخان عاتكة ثمان أسهم ونصف حصة ، بجبة عسال من قصر معلولا ثلث أسهم ، ومن الجبة سهم ونصف ، ومن القربانية سبع أسهم ، وبستان المارادنية بكماله ، وذلك في شهر . . . . . وفي سنة خمسين وستمائة ، رحم الله واقفة هذا المكان) ، **الدارس ، النعيمي ،** (١/ ٥٧٦).

(٤) قدر ثلاثة مئة فدان حدة قناة الريحانية إلى أوائل القبيات إلى قناة حجيرة ، ودرب البويضا ، ومنه الوادي التحتاني وادي السفرجل وقدره نحو عشرين فداناً ، ومنه ثلاثة كروم وغير ذلك ، **الدارس ، النعيمي ،** (١/ ٢٧٨) .

(٥) **الدارس ، النعيمي ،** (١/ ٢٧٧) .

ونلاحظ الدور الكبير الذي لعبته نساء الأسرة الأيوبية في إغناء دمشق بالمنشآت الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، ونرى أن معظم الأبنية التي مرت معنا قد بنتها نساء من الأسرة الأيوبية الحاكمة ؛ وكانت عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر ـ زوجة نور الدين ، والتي تزوجها بعد وفاة نور الدين صلاح الدين ـ أكثرهن بناء ، فقد أقامت مدرسة وتربة وخانقاهاً وخاناً .

أما أختا صلاح الدين : ست الشام ، وربيعة خاتون ، فقد بنت الأولى مدرستين وخانقاهاً وحماماً وبنت الثانية مدرسة ، وكذلك فإن ابنة أخيه شاهنشاه ، عذراء أنشأت مدرسة ورباطاً وحماماً ، وزوجة أخيه هذا أنشأت مدرسة ، وزهرة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر محمد أخي صلاح الدين ، لها بدمشق مدرسة ورباط ، وعتيقة الملك العادل هذا (أرغوان الحافظية) أنشأت تربة ، وزوجة الملك المعظم عيسى أنشأت مدرسة ، وابنته خديجة خاتون أنشأت مدرسة أخرى ، وزوجة الملك الأشرف موسى (تركان خاتون) أنشأت مدرسة ورباطاً ، وبنات الملك الكامل أقمن تربة لأبيهن .

نستخلص من هذا كله أن المرأة المسلمة قد اضطلعت بدور فعال في عملية البناء الحضاري الكبير الذي شهدته دمشق خلال العهد الأيوبي ، وأنها وقفت إلى جانب الرجل وشاركته في عملية البناء هذه كزوجة وأم وأخت وعالمة ومربية (وبانية) ، ولم تكن ذلك الإنسان السلبي الذي لا دور له في الحياة .

المطلب الثامن : جهود المرأة المسلمة في نشر الدعوة الإسلامية

التاريخ الإسلامي منذ بعثة النبي ﷺ ، لا يماثله تاريخ في نصاعته ، في موضوع المرأة المسلمة ودورها في الحياة مع ما أصيبت به الأمة الإسلامية من أمراض في بعض أعضائها ، أو بلاء في بعض أجزائها ، في بعض الأحيان والفترات ، وكلما كبت هذه الأمة ، كانت بطون النساء تلد أبطالاً رجالاً ونساءً يجددون لهذه الأمة أمر دينها في حياتها الدنيوية والأخروية ، ودورهم في الدعوة الإسلامية كان مشهوراً ومعروفاً ، بدءاً من خديجة رضي الله عنها التي كانت أول امرأة آمنت برسالة النبي ﷺ وصدقته وآزرته ، إلى عائشة رضي الله عنها التي توفي رسول الله ﷺ وهو في حضنها ، وكل زوجة من زوجاته كان لها دور في بناء الدعوة ، ثم كانت الصحابيات ، والتابعيات ومن بعدهم إلى يومنا الحاضر ، وصدق قول القائل : وراء كل عظيم امرأة .

قال سير توماس . أرنولد[١] في كتابه الدعوة إلى الإسلام[٢] : (ومما يثير اهتمامنا ما نلاحظه من أن نشر الإسلام لم يكن من عمل الرجال وحدهم ، بل لقد قامت النساء المسلمات أيضاً بنصيبهن في هذه المهمة الدينية ، فيرجع الفضل في إسلام كثير من أمراء المغول إلى تأثير زوجة مسلمة ، ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سبباً في إسلام كثير من الأتراك الوثنيين ، عندما كانوا قد أغاروا على الأقطار الإسلامية ، وقد أنشأ دعاة السنوسية الذين قدموا لنشر دعوتهم بين التوبو ، شمالي بحيرة تشاد ، مدارس للبنات ، واستغلوا ما كانت تحدثه النساء من نفوذ بين القبائل ، (كما كان لهن هذا النفوذ بين جيرانهنّ من البربر) ، فبذلن جهودهن لجذبهن إلى صفوف الإسلام . . .

وفي أفريقية الشرقية الألمانية ، دخل في الإسلام هؤلاء الأهالي الوثنيون الذين كانوا يتركون أوطانهم ستة أشهر أو أكثر ، للعمل في السكك الحديدية أو الأعمال الزراعية ، على أيدي نساء مسلمات ، تعاقدوا معهن على زواج مؤقت ، فإن أولاد النساء كن يرفضن أن يتعاملن في شيء مع كافر لم يختن بعد ، فكان بعولتهن يتجنبون ذلك العار الذي يلحق مثل هذا اللقب بأن يختتنوا وبذلك يقبلون الدخول في الجماعة الإسلامية .

وقيل إن تقدم الإسلام في بلاد الحبشة ، في خلال النصف الأول من القرن الماضي ، كان راجعاً إلى حد كبير ، إلى ما بذلته النساء المسلمات من الجهود ، وخاصة نساء الأمراء المسيحيين ، اللواتي لم يكن بد من أن يتظاهرن بالتحول إلى المسيحية ، عندما يتزوجن ، ولكنهن أنشأن أبناءهن على شعائر الإسلام ، وبذلن كل ما استطعن في سبيل تقدم ذلك الدين .

وتقيم على حدود الحبشة الغربية قبيلة وثنية تسمى (البُرُن) ، وقد دخل بعض أفراد هذه القبيلة ، وكانوا قد انتظموا في سلك فصيلة من الزنوج ، تحت لواء الحكومة المصرية الإنجليزية في السودان في الإسلام ، على أيدي نساء الجنود السود ، في الوقت الذي كانت فيه الكتيبة راجعة إلى الخرطوم .

---

(١) السير توماس أرنولد (١٨٦٣ـ ١٩٣٠م) : أستاذ في جامعة كمبرج في لندن ، وكان معلماً بالعربية والفارسية والأوردية ، وله إلمام بمعظم اللغات الأوربية ، كتب في التاريخ والثقافة والفن الإسلامي ، وله العديد من المؤلفات . ينظر : **الدعوة إلى الإسلام** ، **سير توماس أرنولد** ، ص (٥ ـ ٦) .

(٢) **الدعوة إلى الإسلام** ، **سير توماس أرنولد** ، أول ظهور للكتاب في سنة ١٨٩٦م ، ثم تمت مراجعته وأضيف إليه سنة ١٩١٣م ، ثم ترجمه تلميذه د . حسن إبراهيم حسن وزميلاه وطبع سنة ١٩٤٧م ، وأعيدت طباعته مع تعليق سنة ١٩٥٧ م ، ثم الطبعة الثالثة عام ١٩٧٠ م .

ويقال إن نساء قزان التتريات بوجه خاص ذوات غيرة ، باعتبارهن داعيات إلى الإسلام ، ولا تمنع المتمسكة بدينها ، من أن تحتل مكانها إلى جانب الولي من الرجال في زمرة الداعين إلى العقيدة إذا اتفق أنها كانت امرأة . ومن أضرحة القاهرة التي لقيت أوفى نصيب من التعظيم ، ضريح السيدة نفيسة ، حفيدة الحسن (الذي مات شهيداً وهو ابن علي) ، وهي التي أثارت إعجاب الإمام الشافعي نفسه أحد مَن عاصروها من العظماء ، بتفقهها في الإلهيات ، والتي رفعها تقواها وتقشفها إلى مصافّ الأولياء الصالحين ، ويروى أنها عندما استقرت في مصر اتفق أنها أقامت بجوار أسرة من أهل الذمة ، وكانت لهم بنت مصابة بداء عضال ، بحيث لم تستطع أن تحرك أطرافها ، ولم يكن بد من أن ترقد على ظهرها طوال اليوم ، ولزم الأمر أن يذهب والدا هذه الفتاة المسكينة إلى السوق ذات يوم ، فطلبا إلى جارتهما المسلمة أن تتفقد ابنتهما أثناء تغيبهما ، وباشرت نفيسة هذا العمل الإنساني ، وهي مفعمة بالحب والرحمة ، ولما ذهب والدا هذه الفتاة المريضة إلى السوق ، سمت نفيسة بروحها ، وابتهلت إلى الله أن يشفي هذه المريضة البائسة ، ولم تكد تفرغ من دعائها حتى استعادت الفتاة المريضة تحريك أطرافها وأصبحت قادرة على أن تذهب للقاء أبويها عند عودتهما ، وملأ الشكر والامتنان قلوب أفراد الأسرة جميعاً ، فانتهوا إلى الدخول في ديانة تلك المرأة التي أسدت إليهم هذا الفضل)[1] .

وأخيراً :

لقد كان للمرأة دور هام في التاريخ الإسلامي ، ولقد جاء الإسلام فحرّم وأد البنات ، ومنع أن تكون متاعاً تورث كما يورث المتاع ، وأمر الرجال بمعاشرة الزوجات بالمعروف ، وأوصى بالنساء خيراً ، وجعلها راعية في بيت زوجها ، وجعل لها حق التعلم والشهادة ، وكرمها بنتاً وأماً وأختاً وزوجة ، وأعطاها حق التعلم والتعليم والمبايعة ، وكانت شاعرة ومجاهدة ومجادلة وممرضة ومحدثة .

وبعد زمن الرسول ﷺ وفي زمن الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية مع ما أصاب الإسلام والمسلمين من كثرة الفتوحات ودخول الأقوام في الإسلام ، وازدياد رقعة الإسلام ، كثرت غير العربيات في المجتمع الإسلامي مثل الروم والزنج والهنديات والفارسيات ، وكثرت الجواري منهن ، ثم صار منهم المولدون ، وظهرت العصبيات

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ، سير توماس أرنولد ، ص (٤٥١ـ٤٥٣) .

العرقية والانقسامات المذهبية والطائفية ، وتأثير العادات والتقاليد وغير ذلك. . .

ومع ذلك ظل للمرأة المسلمة دور في المجتمعات الإسلامية ، ففي كل فترة كانت تخرج امرأة مسلمة صادقة تنجب أبطالاً يشهد لها التاريخ ، فقد كُتب الكثير عن عاتكة بنت يزيد بن معاوية (فقد شغلت في قلوب بني أمية مكاناً رفيعاً وأحبها زوجها عبد الملك بن مروان حباً عظيماً ، وقد حرمت عاتكة على اثني عشر خليفة من خلفاء بني أمية وهم : معاوية ، ويزيد ، ومروان ، والوليد ، وسليمان ، وهشام ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن مروان بن الوليد ، ويزيد بن عبد الملك ، ومعاوية بن يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان)[١] .

وألفت الموسوعات الأدبية والتاريخية ، وذكرت الكثير الكثير عن النساء ، بين امرأة يتغزل بها ، وأخرى مستبدة مؤثرة في الحكم .

وكل من كتب عن انتصار المسلمين في عين جالوت وفي حطين كان لابد له أن يذكر دور المرأة المسلمة في حركة التحرير والإصلاح التي أخرجت جيل نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي ، وذكر التاريخ الآلاف من النساء المسلمات اللاتي كان لهن دور كبير في حركة الإصلاح والتجديد ، بل يعزو كثير من الكتاب أنه لولا وجود هؤلاء النساء ، لما كان هناك جيل صلاح الدين الأيوبي ، ولما كان هناك نصر حطين[٢] .

ولقد ذكر بعض الكتّاب فصولاً خاصة بدورهن في تحقيق النصر ، وعدد العشرات من الشيخات مثل (الشيخة عائشة بنت محمد البغدادي التي أجازها الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وكرست وقتها لوعظ النساء وصارت من طلائع الوعظ والإرشاد والعبادة والصلاح ، وعمرت طويلاً حتى توفيت عام ٦٤١ هـ)[٣] ، ويعدد الشيخات اللاتي تخرجن من مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ثم يتحدث عن الشيخات اللاتي تخرجن

---

(١) تاريخ دمشق ، (تراجم النساء) ، ابن عساكر علي بن الحسن ، تحقيق : سكينة الشهابي ، (مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٢م) ، ص (٢٠٥) ، المرأة في عالمي العرب والإسلام ، عمر رضا كحالة ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م) ، ص (٢٧) .

(٢) انظر : كتاب هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، د . ماجد عرسان الكيلاني ، (دار الفرقان ، الأردن ، ط٣ ، ٢٠٠٣ م) ، ص (٢٣٩) وما بعدها .

(٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ، الكيلاني ، ص (٢٣٩) ، وقد نقلها من شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي عبد الحي ، حوادث عام ٦٤١هـ

من المدرسة الهروية . . . ومن كانت معلمة للقرآن والأولاد ، ومن بنت المدارس ، ويعدد أمهات القيادة العسكرية وزوجاتهم ، وأضرب مثلاً عنهن ، من النساء القياديات السيدة خاتون بنت معين الدين أنر زوجة نور الدين زنكي ، فقد كانت فقيهة على مذهب أبي حنيفة ، زاهدة عابدة تكثر القيام في الليل ، نامت ذات ليلة عن قراءة وردها ، فأصبحت وهي غضبى ، فسألها نور الدين عن سبب غضبها فذكرت نومها الذي فوّت عليها قراءة الورد ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب الطبول في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم لقيام الليل وأجرى على الضارب أجراً جزيلاً .

وبعد وفاة نور الدين تزوجت السيدة عصمت من السلطان صلاح الدين وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكثرهن صدقة ، وهي التي أوقفت المدرسة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب ، وخانقاه خاتون في ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس)[1] .

وهناك المئات من النساء اللاتي صنعن الأبطال في الفترة الأيوبية ، وقد كتب المنذري في كتابه التكملة لوفيات النقلة عن العشرات من النساء المسلمات واللاتي يسميهن بالشيخات ويذكر عن بعضهن أنه بجانب تدريسهن للنساء ، فكان بعضهن يدرِّس الرجال ، ويعدد المدارس والخانقاهات اللاتي أنشأنهن[2] .

وكذلك كتبت العشرات من الكتب عن الدولة العثمانية ، وعن محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية ، وعن أمه وعن تربيته ، وعن أمهات ونساء البلاط ، حتى طغت بعض الأسماء من الخلفاء .

وقد قيل : وراء كل عظيم امرأة ، ومع كل عظيم يذكر كانت امرأة ، إمّا أماً ، أو زوجة ، فمنذ آدم كانت حواء ، وسيدنا إبراهيم كانت سارة وهاجر ، ثم ولديه إسحاق وإسماعيل ، سيدنا موسى أمه وأخته ، وسيدنا يوسف أمه ، وعيسى أمه مريم ، ويحيى كانت أمه ، وزكريا كانت زوجته ، ومحمد ﷺ خديجة وعائشة وزوجاته ، ومئات

---

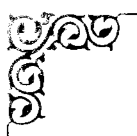
(١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ، الكيلاني ، ص (٣١٠) ، البداية والنهاية ، ابن كثير ، (١٢/ ٢٤٨-٢٤٩) .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ، المنذري عبد العظيم ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ م) ، (٢/ ٣٠٠) وما بعدها .

الصحابة والتابعين والعلماء والعظماء من التاريخ الإسلامي كانوا يدينون لأمهاتهم أو لزوجاتهم .

لقد أحببت في هذه الوريقات أن أشير ولو بإيجاز عن ومضات في التاريخ ، كانت بفضل المرأة المسلمة ، وهذا يحتاج لموسوعة خاصة ، لرصدها عبر التاريخ وإظهار دورها في إنجاب الأبطال أو تربيتهم أو مشاركتها لزوجها وتأمين السكينة له ، والتأثير بشكل واضح وبيِّن في حركة التاريخ الإسلامي .

* * *




المبحث الثامن

المنهج الدعوي للمسلمة الداعية المعاصرة





المبحث الثامن

المنهج الدعوي للمسلمة الداعية المعاصرة

تمهيد :

يعيش العالم باضطراب وقلق ، واستحكم الشرُّ في كثير من بقاع الأرض ، فانتشر الظلم والتعدّي والقهر والاستعباد ، وانفرد الشيطان الأكبر في مصير العالم ، واستعمل أفتك الأسلحة المدمرة ضد الآدميين من العجزة والنساء والأطفال ، ووضع الشرُّ سياسته العنصرية وهي استعباد العالم ، وكل مقاوم فهو إرهابي ، وقام الشر بحملات إبادة جماعية على مرأى من هيئة الأمم المتحدة والمنظمات العالمية ، والشعب الفلسطيني يُبادُ بكل الوسائل ، وشهد العالم احتلال أفغانستان والعراق ، وإقامة قواعد مدمرة للبشرية في أنحاء متفرقة من العالم ، حتى الفضاء ، وحُرمت الشعوب الفقيرة أية أسباب للتقدُّم وللنهضة ، فحرمت من التقنيات العلمية التكنلوجية ، وأصبحت الشعوب الفقيرة سوقاً للاستهلاك للبضائع الغربية ، وانعكس هذا الواقع على العالم الإسلامي المتجزىء والمتأخر والمتناحر والمتقاتل والمتشرذم ، وتمثل ذلك في الواقع العربي للاضطراب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي .

خلَّف ذلك اضطراباً وقلقاً وفوضى وعدم استقرار ، وخوفاً من المستقبل عند الجيل الصاعد ، وازدادت البطالة ، وارتفع خط الفقر ، وتردَّت الحالة الاقتصادية ، وانشغل الرجال بتأمين لقمة عيشهم ، فتغرّبوا وهاجروا وسافروا ، وأصبح أحدهم يعمل ليلاً ونهاراً دون أن يحقق الحد الأدنى من الكفاية ، وارتفع سقف الزواج وباتت كثير من النساء عانسات . . . .

وصدَّر الشرُّ مفاسده من مخدرات ودخان ورذائل ، وزنى واختلاط وتعرٍّ . . . ، فالواجب علينا تحصين المسلمين من الغزو الشيطاني للأفكار والسلوك والمغريات ، بل الواجب علينا إنقاذ العالم بإسلامنا الحنيف الذي يجمع كل خير ، فنحن مسؤولون عن تبليغ الإسلام ودعوة الخلق إليه .

ومن هنا كان على الجميع أن يقوموا بالدعوة إلى الله. . . ولما كان الرجال في الأمة الإسلامية في موضع لا يُحسَدون عليه من جهل وتأخر وتخلف وانشغال بتأمين لقمة العيش ، وكانت الدعوة الإسلامية للرجال والنساء ، فإن المرأة المسلمة إذا أُعدَّت إعداداً سليماً صحيحاً ، فإنها مفتاح الخير والنهضة. . .

المرأة في غالب الوطن العربي والإسلامي مخصصة للبيت ، والقليل من النساء من تعمل خارج بيتها ، فهي متفرغة في بيتها ، فإذا استطعنا أن نجعل من كل بيت امرأة مدرِّسة ، وأن نعيد للمرأة حقوقها المغتصبة من الرجل والمجتمع ، فإننا نكون أسَّسنا لنهضة دعوية مباركة إن شاء الله ، سيكون لها الأثر الواضح في النهضة المستقبلية. .

ولهذا يجب دراسة إمكانيات المرأة المسلمة وكيفية تسخيرها في سبيل الدعوة إلى الله وتربية جيل المستقبل .

كثير من النساء اليوم في أحسن الأحوال لا يفكِّرن إلا بالزواج ومتطلباته وبإنجاب الأولاد. . .

وجاءت المدنية الحديثة بفساد وانحلال ، وأدَّت إلى تفكيك الروابط الاجتماعية والإنسانية ، ومنها تفكيك الأسرة وإذابة القيم ، ومحاربة الفضائل ، وانساقت المرأة المسلمة وراء البهرجة الغربية ، فقلدت المرأة الغربية التي فقدت كيانها وإنسانيتها وحقوقها ، وأُصيب المجتمع المسلم بانهيار خُلقي ، وفساد اجتماعي ، وتأخر اقتصادي ، واضطراب سياسي .

إنّ الغاية من البحث أن يقوم كل أفراد المجتمع بالدعوة إلى الله رجالاً ونساءً ، وإصلاح الخلل والوقوف في وجه الشرِّ ، وهذا الذي يتوجَّب على المرأة لتقوم بدورها في الدعوة إلى الله ، وكان على الحكماء والعلماء وأصحاب الرأي والمشورة ، وضع مناهج دعوية للمرأة ، تبدأ بإيجاد الوسائل لتحقيق تكامل المرأة المسلمة علماً وتربية ، ثم توجيهها لأخذ مكانتها في الدعوة إلى الله ، وتبليغ دعوة الله .

المطلب الأول : ملاحظات على بعض المتدينات

إن المرأة بطبعها إذا تدينت تتوجه إلى دينها بكل ما تملك لأنها عاطفية ، فهي أشدُّ اندفاعاً من الرجال في كثير من الأحيان ، ولكن يجب أن يكون هذا التديُّن ليس فقط بمظهر العبادات بل الأهم والأصل الاعتناء بمظهر السلوك ، فيجب على المرأة أن توازن بين

متطلبات العبادة بصورة عامة وبصورة خاصة مع متطلبات الحياة الزوجية والواجبات الأسرية ، إن هذا التوازن قد يختلّ فيؤدي إلى سلبيات وأمراض عند البعض ومشكلات منها :

١ـ عدم الزواج : فمن المغالاة عند بعض المتدينات عدم الزواج ، والزواج هو سنة الله في الكون ، والرسول ﷺ قال : « أما أنا فأتزوج النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس مني »[١] .

٢ـ البعض من المتدينات عندهنّ مفهوم خاطىء بالنسبة للعورة ومقدمات الجماع (لقد اشتكي على متدينةٍ ، أنها لا تخلع ثيابها عند النوم مع زوجها ، وتعتبر كشف العورة حتى على زوجها حرام ولا تتزين له. . .) .

٣ـ الجهل في ثقافة التعدد عند النساء ، بل الإنكار ومحاربة أصل قرآني وتشريع رباني أباحه الإسلام في الزواج من أربعة ، وقد يكون فيه حلٌّ لكثير من الحالات الاجتماعية المستعصية .

ولقد جاءني أخ وهو داع ملتح يشتكي من زوجته أمراً غريباً ، فزوجته داعية تجمع الفتيات وترشدهنّ إلى الإسلام ، وتوجد إحداهن بلغت من الإيمان والتقوى والالتزام مبلغاً رفيعاً وهي ليست من أهل السنة[٢] ، فهي لا تريد أن تتزوج إلا من مؤمن تقي ، والشباب المؤمن من أهل السنة لا يتزوجها لأن أهلها ليسوا على طائفته ومذهبه ، فجاءت هذه الداعية تطلب من زوجها أن يتزوج هذه الفتاة المؤمنة ، وتعطيها بيتها ، وتظل هي في غرفة واحدة ، وتحنو عليها ، وتقدم لها كل الإمكانيات. . .

إن إيمان هذه الداعية وثقافتها أوصلَتْها لحلِّ المشكلة بالتعداد ، ومن زوجها الداعي ، إن هذه الثقافة تكاد تكون نادرة أو معدومة في عصرنا ، أليست هذه ثقافة سارة زوجة سيدنا إبراهيم ، عندما خطبت هاجر لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، ورغبت بالولد الصالح .

٤ـ الفرق بين الحجاب والاحتجاب : هناك فرق كبير بين الالتزام بالحجاب ، وبين احتجاب المرأة عن المجتمع وهي محافظة على عفتها ، فالحجاب فرض إلهي من ثوابت

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، رقم (٤٧٧٦) ، صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ، رقم (١٤٠١) ، وكلاهما عن أنس بن مالك .

(٢) للأسف ، قال تعالى : ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج : ٧٨] ، وتفرق المسلمون إلى طوائف ومذاهب يحارب بعضهم بعضاً .

الشريعة ، لا يمكن التساهل فيه ، ولكن بعض النساء عندما يتحجَّبن يحتَجِبْنَ عن المجتمع وينعزلن ، ولقد أثيرت شبهات كثيرة حول الحجاب من الأعداء والجهلة ، والحجاب للمسلمة هو ستر جميع جسدها إلا وجهها وكفيها وقدميها ، وأما ما زاد على ذلك ، من ستر الوجه بأي شكل ، فذلك اجتهادات وتخضع للبيئة والثقافة والتربية ، فهناك مثلاً قرى أصبح الحجاب وستر الوجه عادة حتى للنساء اللواتي لا يصلِّين ، فليس من الحكمة أن يخالف الإنسان مجتمعه بعادات يأباها مجتمعه إذا لم يخرج عن الشرع ولم يكن هناك حاجة ، ولكن عندما تعيش الفتاة المسلمة في بيئة علمانية كتركية وبعض الدول العربية والإسلامية ومحظور فيها الحجاب بالأصل ، وقد يكون الحجاب سبباً لمنع تلك الفتاة من المشاركة في الحْياة الاجتماعية وغيرها ، فقد عزلت امرأة تركية في العصر الحديث من البرلمان لوضعها حجاباً على رأسها ، وسلبت منها الجنسية التركية وهي مروة قاوقجي ، فمن الحكمة عدم المغالاة في الحجاب ، ويكفي غطاء الرأس مع حشمة اللباس في هذه المجتمعات ، وليس شرطاً أن يكون لون الحجاب أسود ، ولكن الشرط أن يكون اللون فيه حشمة متعارف عليها في تلك البيئة .

وأسوق قصة أن ثلاث فتيات هداهن الله فوضعن الحجاب المعقول من ستر الرأس ولباس الحشمة ، وكنَّ ثلاث مدرسات ومعيدات في كلية علمية في إحدى الجامعات ، ولالتزامهن ولتفوقهن على غيرهن استطعن استقطاب عدد من الفتيات إلى الالتزام ، وخُطبت إحداهن لشيخ متعصب ، ولكن المفاجأة بعد عقد القران ، أن جاءت هذه المخطوبة إلى الجامعة وهي متنقبة بلباس السواد من رأسها إلى أخمص قدميها ومعها زميلتيها ، بعدما أقنعها خطيبها بوجوب ذلك وأقنعت زميلتيها بذلك ، فوقعت الكارثة ، عندما دخلن إلى التدريس في صفوفهن بلبس السواد ويسترن وجوههن ، واستنكرت الجامعة ذلك إدارة وطلاباً ، أُبلغتُ بالخبر بعد يومين. . . فاستنكرت ذلك ، ولم يمضِ أسبوع حتى أوقفوا عن التعليم ، فارتدَّت اثنتان إلى حجابهن الأول ، وسرحت الثالثة من وظيفتها ، حتى الاثنتين فقدتا التزامهن بالعمل الدعوي .

فهؤلاء لم يعرفن عصرهن ، وتسرّعن بأخذ القرار دون سؤال مرجعية معتمدة بذلك ، وكانت الخسارة أضعاف الربح ، وفُقِد العملُ الدعوي وهدايةُ الأخريات ، إلى جانب توقفهن عن العمل الدَّعوي بعد التزامهن بذلك .

إن من يردن العمل للتكسُّب أو بهدف الاختلاط بالناس للدعوة بحاجة إلى حكمة ،

فالمرأة التي لا تخرج من البيت وليس لها عمل خارجي لا يهم إذا تشددت باللباس حسب رأيها ، ولكن المسلمة التي تحتاج إلى العمل والاختلاط محظور عليها ستر الوجه ، فكيف تكون مدرّسة أو طبيبة أو موظفة ويراجعها الرجال والنساء ، دون كشف وجهها ، وكيف إذا كانت في دولة لا تسمح قوانينها بذلك ولا منهجها ولا توجهها ، ولا سيما أن كثيراً من الفقهاء ، قالوا أن القاعدة في الحجاب ستر الجسم ، ما عدا الوجه والكفين وبعضهم زاد وظاهر القدمين .

إنَّ المرأة بعاطفتها قد تغالي بدينها ، وقد ورد عن النبي ﷺ : « دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل ؟ ، قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلَّقت ، فقال النبي ﷺ : لا ، حلُّوه ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد »[1] .

عندما تطالَب المرأة المسلمة بوضع الحجاب وستر رأسها أيضاً تطالَب بالحشمة في لباسها ، فبعض الفتيات سترنَ رؤوسهن ولكن لم يلبسنَ لباس الحشمة ، فقد يلبسنَ البنطال ، أو يتزينَّ ، أو يتفننَّ في ألوان الحجاب وشكله والزينة والعطور بأنواعها .

يجب أن يكون الحجاب مظهراً للمرأة المسلمة يدل على أخلاقها والتزامها وحسن معاملتها وإبداعها وتقدمها وتفوقها لا أن يكون الحجاب سبباً لحجب المرأة .

٥ـ صوت المرأة ليس بعورة ، واعتقدت بعض النساء أن صوت المرأة عورة ، وللأسف أدى ذلك إلى حجب المرأة عن الحياة ، وأسوق قصة. . . زارت الداعية الدكتورة منى حداد[2] زوجة الداعية فتحي يكن[3] مجمع الشيخ أحمد كفتارو في يوم الجمعة في ٢٤ رمضان ١٤٢٠ هـ الموافق ١٣ / ١٢/ ١٩٩٩م ، وحيث يحضر دروسه قبل

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب أبواب التهجد ، باب ما يكره من التشديد ، رقم (١٠٩٩) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب صلاة المسافرين ، باب من نعس في صلاته ، رقم (٧٨٤) ،

(٢) الدكتورة منى أحمد حداد دكتوراه من جامعة السوربون ، دكتوراه شرف في الدراسات الإسلامية واللغة العربية ، ودكتوراه في الفلسفة ، مواليد طرابلس سنة (١٩٤٣م) ، متزوجة من الداعية فتحي يكن منذ عام (١٩٦٠) ، وشاركت في تأسيس عدد كبير من الجمعيات والاتحادات والمؤسسات العلمية والصحية ، انتخبت عام ٢٠٠١م نائبة رئيس الاتحاد النسائي الإسلامي العالمي ، مهتمة بالقطاع التربوي في لبنان ، ولها الكثير من المؤلفات والمحاضرات ورئيسة ومؤسسة جامعة الجنان .

(٣) الداعية فتحي يكن ، داعية إسلامي لبناني ، ولد ١٩٣٣م في طرابلس ، في ١٩٥٣م التحق بجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية سابقاً ، صاحب مذهب فكري تجديدي ، وسياسي ونائب سابق في البرلمان اللبناني ، وزعيم الجماعة الإسلامية سابقاً . انظر : **فتحي يكن رائد الحركة الإسلامية المعاصرة في لبنان** ، د . **علي لاغا** ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٤م) .

صلاة الجمعة أكثر من عشرة آلاف مستمع من مختلف المستويات والفعاليات وعشرات العلماء وأساتذة الجامعات ، فطلب منها إلقاء كلمة أمام هذا الحشد الكبير في مسجد أبي النور ، ويوم الجمعة قبل صلاة الجمعة ، وكنت شاهداً وواسطة بينهما ، فاعتذرت لتواضعها ، وكيف تتكلم بحضرة الشيخ ؟ وثانياً ، كيف تقف أمام هذ الجمهور الحاشد مواجهة ؟ ، وقبلت أن تلقي كلمتها وهي في سدة النساء المخصصة لهن ، فألقت كلمتها. . . لقد قال سماحة الشيخ المفتي[1] آنئذ : (كنت أرغب بأن تتكلم أمام هذا الجمع ، ولتكون قدوة للآخرين) ، فهل هذه جرأة من الشيخ أحمد كفتارو ؟ لقد استطاعت هذه المرأة بلباسها المحتشم أن تؤسِّس مؤسسة علمية وجامعة ، وأن تحضر الندوات والمؤتمرات ، تدافع عن الإسلام ، وتقوم بالدعوة إلى الله ، وهذا يثبت أن المرأة يمكن أن تشارك الرجال في الدعوة والتبليغ ، ألم تجادل امرأةٌ رسولَ الله ﷺ ونزل في حقها سورة المجادلة ، ألم تقاطع امرأةٌ عمر بنَ الخطاب عندما أراد تحديد المهور في خطبة الجمعة ، وتقول له ليس لك هذا يا بن الخطاب[2] ، ألم تكن أم الدرداء الصغرى تدرّس في المسجد الأموي، ويحضر في دروسها الآلاف ومنهم عبد الملك بن مروان[3] ،

---

(١) الشيخ الدكتور أحمد أمين كفتارو ، ولد بدمشق ١٩١٢م ، من أسرة عرفت العلم والتقوى والصلاح ، حفظ القرآن الكريم في سن لم تتجاوز الخامسة عشرة ، وطلب العلم على يد والده ، وكبار علماء دمشق في عصره أمثال الشيخ أبي الخير الميداني والشيخ أمين سويد والشيخ محمد الحلواني وغيرهم حتى أخذ حظاً وافراً من العلوم والمعارف ، وأخذ بالتدريس وإلقاء المحاضرات في مساجد دمشق ، وبعد وفاة والده قام بالتدريس في جامع أبي النور ، وسعى في بنائه علمياً ومعمارياً حتى أصبح يشمل عدداً من المعاهد والكليات الشرعية ، وسعى في تأسيس رابطة العلماء ، وعين مفتياً لدمشق ثم مفتياً لسورية سنة ١٩٦٤م ، شارك في الكثير من المؤتمرات خارج القطر ، وقاد العمل الدعوي الإسلامي في سورية ، وكان من دعاة التجديد والإصلاح في الدعوة والتصوف ، توفي في دمشق يوم الأربعاء (١/٩/٢٠٠٤م) ، ودعوته وجهاده وآثاره لا تحصيها بضعة سطور . ينظر : **الشيخ أحمد كفتارو ومنهجه في التجديد والإصلاح ، تأليف د . محمد الحبش** ، (نشر دار الشيخ أمين كفتارو ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م) .

(٢) **تفسير ابن كثير** ، (٦١٧/١) ؛ تفسير القرطبي ، (٣٢٦/١) ؛ **كنز العمال** ، كتاب النكاح ، باب الصداق ، رقم (٤٥٨٠٠) ، عن عبد الله بن مصعب .

(٣) أم الدرداء الصغرى زوج أبي الدرداء اسمها هجيمة، ويقال جهيمة بنت حيي ، ويقال : بنت حي الأوصابية، ويقال الوصابية ، ووصاب بطن من حمير ، وهي التي مات عنها أبو الدرداء وخطبها معاوية فلم تفعل ، روت عن سلمان الفارسي وفضالة بن عبيد الأنصاري وكعب بن عاصم الأشعري ، وزوجها أبي الدرداء وأبي هريرة وعائشة أم المؤمنين ، وكانت فقيهة رفيعة القدر ، كانت لها مجالس في العلم في المسجد الأموي في دمشق، توفيت سنة ٨١هـ. ينظر: تهذيب الكمال ، **يوسف بن الزكي المزي** ، تحقيق: د . بشار عواد معروف ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، (٣٥٨/٢٥) .

وللأسف انتقد بعض المسلمين والمسلمات عمل الشيخ كفتارو لأنهم يعتقدون أن صوت المرأة عورة .

المطلب الثاني : إشراقات العمل الدعوي المعاصر

النقطة الأولى : المرأة تتفوق على الرجال :

كثير من المسلمات أصبحن قدوة لا لمثيلاتهن ، بل حتى للرجال ، وكثير منهن تفوقن على الرجال في الدراسة والتحصيل العلمي في عصرنا الحالي ، وأسوق بعض هذه القصص والحوادث لتكون قدوة للمرأة ومنهجاً يجب تنميته ودعمه وتشجيعه .

١ـ كل المطَّلعين والعاملين في المؤسسات الدينية الإسلامية في دمشق يعلمون وخاصة بعد عام ٢٠٠٠ م ، وبالتأكيد أن نسبة حفظة القرآن ٩٠٪ من الإناث و١٠٪ من الذكور ، بمعنى أن كل تسع حافظات يقابلهن حافظ واحد من الذكور .

٢ـ إن نسبة الجامعات لقراءات القرآن الكريم من الإناث بالنسبة للذكور تماثل هذه النسبة ، وقد أبلغني صديق لي من مصر بأنه عقد عام ٢٠٠٦م في القاهرة وبإشراف المفتي حفل تخريج لمئتين وثلاثين امرأة حافظة جامعة للقراءات في القاهرة .

٣ـ إن عدداً من النساء حفظن الكتب الستة ونلن الإجازات بذلك[١] ، ولقد أجاز شيخ عموم المقارىء المصرية الدكتور أحمد عيسى المعصراني[٢] الفتاة مرام محمد الزنداني وهي تولد ١٩٩٦م بالإقراء على القراءات العشر التي حفظت القرآن والشاطبية والدّرة ، وصرّح وأعلن أن هذه الفتاة هي خير مَن أجازهن مدة حياته ، لدقة إتقانها ، وسرعة بديهيتها ، وقوة ذاكرتها ، وهي لم تبلغ[٣] .

٤ـ إن عدداً تجاوز العشرات حفظن أحد كتب الصحاح (البخاري ومسلم) أو الترمذي وغيرهم .

---

(١) أجازهن الدكتور نور الدين العتر .

(٢) الشيخ الدكتور أحمد عيسى المعصراوي شيخ المقارىء المصرية ، ولد سنة ١٩٥٣م في محافظة الدهقلية المصرية ، حاصل على الدكتوراة في علوم الحديث ، وهو شيخ القراء في مصر ، شارك في تحكيم الكثير من المسابقات في القرآن الكريم .

(٣) برنامج المجازون على شاشة قناة الفجر الفضائية ، الاثنين ٩/ ٣/ ٢٠٠٩ م .

٥ـ ألوفاً من النساء حفظن كتاب رياض الصالحين واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ونلنَ إجازات بذلك .

٦ـ الشيخ محي الدين الكردي[1] أبو حسن الجامع القارىء أجاز بالمشاهدة وبعد عام ٢٠٠٠ م ، أكثر من ثلاثة آلاف حافظة .

وأجاز الشيخ المرحوم حسين خطاب[2] ، والشيخ المرحوم محمد سكر[3] ،

---

(١) الشيخ العلامة الحافظ الجامع محي الدين بن حسن بن مرعي الكردي الداري ، نسبة إلى دارة في ديار بكر ، أبو الحسن ، ولد في دمشق حي الحيواطية سنة ١٩١٢م ، بدأ بحفظ القرآن الكريم في الثانية عشرة من عمره ، عند الشيخ عز الدين العرقسوسي ، من مشايخه الشيخ رشيد شميس والشيخ محمد بركات والشيخ صالح العقاد ، ويدين بتربيته للشيخ إبراهيم الغلاييني النقشبندي ، قرأ على الشيخ عز الدين ختمة كاملة برواية حفص ، وأجازه بها ، وكان معجباً بقراءته وقرأ على الشيخ المقرىء فايز الدير عطاني (ت ١٣٨٤هـ) رحمه الله ، ختمة كاملة برواية حفص ، وأجازه بها ، ثم شجعه الشيخ على جمع القراءات ، فجمعها عليه من طريقي الشاطبيّة والدرّة ، وكان استغراقه لذلك خمس سنوات ، وكان الشيخ أبو الحسن قد بلغ من العمر ثلاثين عاماً أو يزيد ، وهو من أئمة القراء الذين نهل عنهم المئات من طلاب القراءات من الجنسين معاً ، توفي في ٢٠٠٩/٨/٨ م .

(٢) الشيخ المرحوم شيخ قراء البلاد الشامية حسين خطاب الميداني الدمشقي ، ولد في دمشق ، وبدأ حياته عاملاً في صنع دلات القهوة ، ثم تلقفه الشيخ حسن حبنكة الميداني ـ رحمه الله ـ لما لمس فيه من أمارات النجابة والذكاء فصار من طلاب العلم في جامع (منجك) في حي الميدان ، حفظ القرآن الكريم وجوّده على الشيخ محمود فائز الدير عطاني ، جمع القراءات على الشيخ أحمد الحلواني ، وجمع عليه القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة ، ثم جمع بعد ذلك العشر الصغرى أيضاً على الشيخ محمود فائز الديرعطاني ، ثم اتصل بالشيخ عبدالقادر قويدر العربيني ، فجمع عليه العشر الكبرى من طريق طيبة النشر . قرأ عليه الكثير من أهل الشام ، وجمُعت عليه القراءات العشر الكبرى ، وعينه القراء شيخاً لهم بعد وفاة شيخ القراء الدكتور الطبيب الجراح محمد سعيد الحلواني ، وقد ألف العلامة حسين خطاب عدة مصنفات في القراءات . توفي رحمه الله ١٢ شوال سنة ثمان وأربعمائة وألف من الهجرة . ينظر : **إمتاع الفضلاء بتراجم القراء** ، **إلياس بن أحمد البرماوي** ، (دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ) ، (١٨٦/٢ـ١٨٨) .

(٣) العلامة المرحوم المقرىء الشيخ محمد سكر الدمشقي ، ولد في حي العفيف سنة ١٩٢٢م ، يتيماً في حضن والدته ، حفظ القرآن الكريم وختمه وفي الخامسة عشرة من عمره ، عكف الشيخ منذ صغره على حلقات العلم ، فقرأ على الشيخ محمود فايز الدير عطاني ختمة كاملة برواية حفص عن عاصم ، وكان خلال هذه الختمة يحفظ متون القراءات ، فما إن ختم تلك الرواية حتى أسمعه الشاطبية والدرة كاملتين ، وشرع في الإفراد لكل راوٍ ختمة كاملة ، فقرأ نحو عشرين ختمة متنوعة الروايات ، ثم شرع بالجمع الكبير ، وأمّا منهجه في التعليم ، فهو على طريقة وسنن شيخه في القراءة والإقراء ، فهو محرّر مدقق لا يرضى من القراءة إلا ما يَصحّ ويُقبل ، لذا فإنّه يتشدّد في ضبط القراءة لتلامذته ، فمنهم من يبقى ويعبر حتى يختم ، ومنهم من تقصر همته عن ذلك ، وطريقته مع المبتدىء بإقرائه جزء عمّ يتمرّن الطالب على القراءة =

والشيخ محمد كريم راجح[1] شيخ قراء بلاد الشام .

وأجاز الشيخ عبد الرزاق الحلبي[2] أطال الله في أعمارهم الآلاف من النساء برواية حفص أو القراءات العشر .

٧ـ تخصيص مؤسسات دينية نسائية في تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما ، ففي دار الحديث النورية بجانب الجامع الأموي تجاوز عدد المنتسبين إليها الآلاف كل عام .

= المجوّدة ، ثم يبدأ من الأول ، ويلقي أحكام التجويد ويصحّحها على الطالب دون تجزئة لها بل جملة واحدة ، لا يترك له شيئاً ، وإن استدعى الأمر إعادة شيء من ذلك أعاده ، حتى يتقن القراءة توفي رحمه الله (٢٣/٨/٢٠٠٨م) عن عمر ناهز ٨٦ عاماً وصلى عليه فضيلة العلامة المقرىء الجامع أبو الحسن محي الدين الكردي بالجامع الأموي الكبير ، أخذ عنه الكثير من القراء وطلاب القراءات .

(١) هو فضيلة الشيخ القارىء المقرىء شيخ قراء بلاد الشام المفسر الفقيه اللغوي الأديب الأريب محمد كريِّم بن سعيد بن كريم راجح ، ولد الشيخ في دمشق الشام سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٦م ، واتصل بالشيخ حسين خطاب ، ولازمه ، وأتمَّ عليه حفظ القرآن الكريم ، ثم تطلع إلى إتقانه بالقراءات العشر ، فحفظ الشاطبية في مدة وجيزة حيث كان يحفظ كل يوم عشرة أبيات ، فأتمها في أشهر يسيرة ، ثم قرأها كاملة على الشيخ محمد سليم الحلواني ـ رحمه الله ـ وهو شيخ القراء في دمشق آنذاك ، قرأها عليه عن ظهر قلب فأجازه بها ، ثم اتجهت همة الشيخ إلى أن يقرأ القرآن بالقراءات السبع بمضمَّن الشاطبية ، وهكذا بالقراءات الثلاث بمضمَّن الدرَّة على شيخ قرَّاء دمشق الشيخ محمد سليم الحلواني بعد أن قرأ عليه المتن عن ظهر قلب وأجازه به ، وجمع القراءات العشر الصغرى (من طريقي الشاطبية والدرة) وأتمها عليه في مدة وجيزة ، وزيادة في توثيق ما قرأ على الشيخ أحمد سليم قرأ القرآن كاملاً بالقراءات العشر الصغرى مرة أخرى في ختمة كاملة على الشيخ الصالح المقرىء محمود فائز الديرعطاني ـ رحمه الله ـ وأتمها عليه وأجازه بها ، وكان يرافق شيخه حسين خطّاب ـ رحمه الله ـ في أثناء قراءته على شيخه العشر الصغرى ، يرافقه إلى قرية عربين لجمع القراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر ، على الشيخ المقرىء عبد القادر قويدر حيث أتمها عليه ولم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وتولى التدريس في عدد من المدارس والمساجد ، وأصبح شيخاً للقراء بعد وفاة الشيخ حسين خطاب ، وما زال حفظه الله يقوم بالإقراء لطلاب وطالبات العلم ، وقد أخذ عنه القراءات العشرات من القراء والقارئات .

(٢) العلامة عبد الرزاق بن محمد حسن بن رشيد بن حسن الحلبي الأصل دمشقي حنفي ، ولد في دمشق في عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م) في دار والده بالقيمرية ، أخذ عن الشيخ العلامة المقرىء محمود فايز الديرعطاني ، فقد حفظ عليه القرآن كما حفظ عنده متن الشاطبية ، وأخذ عن الشيخ الدكتور محمد سعيد الحلواني ، الذي بدأ بجمع القراءات عليه فحصّل أغلب القراءات عليه فتوفي الشيخ ولم يتم عليه ، وأخذ عن شيخ قراء الشام حسين بن رضا خطاب ، الذي أتم عليه الجمع بالقراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة وأجازه بذلك .

٨ ـ إن عدد الطلبة في سورية في الثانويات الشرعية للإناث وكليات الشريعة الإسلامية يبلغ أكثر من ضعف الذكور .

٩ـ إن مؤلفات في علم القراءات ظهرت بأقلام حافظات من النساء ، وظهرت المئات من الكتب في علوم مختلفة من العلوم الشرعية ، كتبت بأيدي نساء متخصصات بذلك .

١٠ـ الكثير الكثير من النساء نلن الشهادات العليا ، الدكتوراه في العلوم الشرعية ، وفي غيرها .

١١ـ أثبتت المرأة جدارتها في التعليم والتدريس ، في كل المراحل الدراسية وخاصة في مرحلة التعليم الجامعي .

١٢ـ لقد أصبحت المرأة تجيز في حفظ القرآن ، لقد أخذ الكثير من الدعاة والأئمة إجازة في القرآن الكريم عن طريق زوجاتهم أو أخواتهم وأمهاتهم . . .

أسوق قصة لما فيها من عبر : لما كنت مديراً لكلية الدعوة في اللاذقية من عام ١٩٩١ـ١٩٩٩م ، أرسلت عدداً من الطالبات إلى دمشق ليحفظن القرآن عند الشيخ الحافظ الجامع محمد سكر ، وخصص لهن يوم الجمعة ، فكنَّ ينزلن صباحاً إليه ويقرأنَ عنده ، وقد أجاز عدداً منهنَّ برواية حفص ، إحدى هذه الفتيات كانت تحفظ القرآن الكريم بالتجويد على رواية حفص عند الشيخ محمد سكر وقاربت على الانتهاء ، وتقدم عدد من الخاطبين إليها ، فأرادت شاباً ملتزماً ، وكان عندي طالب مجتهد ، درس الشريعة وصار خطيباً لمسجد ومدرساً ، وأرشدته ليخطبها ، ووافق الأهلُ ، وشرطتُ أنه لا يتم العقد حتى تتم إجازتها في القرآن الكريم على رواية حفص ، وتم ذلك. . . وعندما نالت الإجازة وحدد يوم لعقد القران ودُعيت إليه ، وبما أن الخاطبَين من طلابنا المخلصين والمبرزين ، شرطت على الخاطب أنه لا يتم الزواج إلا بعد تحقيق ثلاثة شروط ، الأول : أن يأخذ الخاطب الماجستير في الدراسات الإسلامية ، وكان قد سجل عليها ، وثانياً : أن يؤمِّن سكناً ، وثالثاً : أن يكون له دخل يكفيه. . .

وافق على ذلك وعقدت العقد بنفسي ، ولكن تبين لي فيما بعد أنه قد اشترطت عليه شرطاً رابعاً : أنه لا يتم الزواج إلا بعد أن يحفظ القرآن ويأخذ إجازة منها على رواية حفص ، وحفظ القرآن ، وسمعت قراءته إلا بعض الصفحات من جزء عمَّ ، وعيِّنَ يومُ الزفاف ، ومرض الزوج بعدما عين يوم الزواج فلم يستطع إتمام الصفحات الباقيات ،

وعندما خلا الزوج بزوجته في ليلة العرس أصرَّت على إتمام الإجازة ، فأتمَّ ما بقي له من الإجازة في ليلة عرسه ، ثم شهد له الشيخ محي الدين الكردي أبو الحسن بالإجازة ، فأصبحت الزوجة تجيز زوجها في قراءة القرآن وفي حفظ القرآن .

وأعرف عدداً كبيراً من أئمة وخطباء أخذوا الإجازات من زوجاتهم ، كما أن عدداً من الأبناء أخذوا عن طريق أمهاتهم ، حتى أن امرأة تجاوزت الخامسة والسبعين من العمر حفظت القرآن ونالت الإجازة عن طريق حفيدة لها .

النقطة الثانية : المرأة تختار زوجها :

أعرف العديد من الحوادث والقصص تدور حول اختيار الفتاة لزوجها من أجل العقيدة والدين .

أعرف فتاة ملتزمة حافظة لكتاب الله ، ومعها إجازة جامعية من كلية الشريعة ، من عائلة موسرة ، لم تتزوج مع كثرة الخطَّاب لها ، لأنها لم تجد فيهم قوة التدين ، وكانت تشترط التدين قبل كل شيء ، حتى جاءني أخ شاب مجاز بالعلوم ويدرِّسها وملتزم بدينه وأخلاقه ، ويقوم بالدعوة بين الطلاب ، وجمع حوله عدداً لابأس به من الشباب ، يعلمهم أمور الإسلام ، فأرشدته إليها ، فقال : أنا فقير ولا بيت عندي ، والزواج سيكون بغرفة عند أهلي ، وليس لي دخل إلا من راتبي ، ألححت عليه ، وتوسطت له ، وكان الزواج ، وأغناهم الله فيما بعد ، وهي عندها المئات من الطالبات الملتزمات ، وهو عنده المئات من الرجال الملتزمين ، وكما قال تعالى : ﴿ . . . وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور ٢٤/٢٦] .

وقصة أخرى : شاب غني وملتزم وعنده متجر وفي السابعة والعشرين من عمره تقريباً ، له نشاط من تدريس في أحد المساجد وأحياناً يخطب خطبة الجمعة ، ويعمل في جمع الشباب عن طريق الرياضة ليأخذهم إلى المسجد ويعلمهم أمور دينهم. . . تقدم لأسرة عندها ثلاث بنات غير متزوجات ، اثنتان لم توافقا على الزواج منه من أجل إتمام دراستهما ، وأخيراً الصغيرة وافقت على الجلوس مع الخاطب وهي في الخامسة عشر من عمرها في الصف التاسع الإعدادي ، حدثني هذا الشاب عندما جلس معها بوجود والدها وأمها ، وصار يسألها عن دراستها وحفظها وآنساتها ، وأكثرَ عليها من الأسئلة في كل شيء ، وهي تجيب بأدب وحياء وباختصار ، ومما سألها : ما تحفظين من القرآن ، فأجابت أنا مجازة برواية حفص ، ما تحفظين من الأحاديث ؟ أجابت : أنا حافظة لكتاب

رياض الصالحين ، مَن آنستك ؟ قالت : هذا أمر لا يعنيك الآن ، وألح الخاطب على معرفة آنستها ، ولكن لم يفلح ، وبعد أسئلة وجهتها ، استقلَّت حفظه من كتاب الله ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، وقالت في آخر المطاف :

١ـ أنا ملتزمة بديني ، فلا أستغني عن عبادتي ونوافلي وقرآني .

٢ـ أنا طالبة أريد أن أتم دراستي وعلمي .

٣ـ في المستقبل قد أوظف أو أعمل .

٤ـ لا أنجب أولاداً إلا بعد سنتين إن نجح الزواج وإلا فلا .

٥ـ اجعل العصمة في يدي .

قال الخاطب : فنزلت هذه الأمور كالصاعقة علي ، وحاولت النقاش. . . فوافقتها على الأولين ، ولكن خالفتها بالثلاث الأخرى ، وفي اليوم التالي ، قال الخاطب : قابلت والدها لأخذ الموافقة ، فقال : اعتذرت الفتاة لأنها لم تجدك كفئاً لها ، قال لي هذا الخاطب : والله تمنيت الزواج من هذه الفتاة مع عدم جمالها ، ولكن لهذه الشخصية النابغة ، ولكن لم يشأ الله ذلك .

فإذن أصبحت الفتاة لها حريتها وشخصيتها في انتقاء الزوج ، فليس الأمر مقصوراً على إنجاب الأولاد وإمتاع الزوج ، بل هو ترسيخ للقيم الإسلامية والعقيدة الإسلامية في موضوع الزواج واقتران الرجل بالمرأة. . .

هناك أسس وقواعد للارتباط بين الزوجين تقوم على مبادىء فاضلة وأهداف نبيلة في الإسلام ، كثير من الناس لا يفقهون هذه المبادىء ، وأحرى بكل مَن يريد أن يَقْدُم على الزواج أن يدرس آداب الزواج في الإسلام وأخلاقياته .

أَعرف الكثير من الرجال التزموا بدروس العلم والمساجد والدين عندما تزوجوا من فتيات حافظات للقرآن الكريم ، حتى قال لي أحدهم أنا في القوامة على زوجتي في الأمور المادية والحياتية ، وهي لها أكثر من القوامة عليَّ وعلى أولادي في أمور الدين ، فهي تحفِّظني مع أولادي القرآن الكريم ، وهي توقظني على صلاة الليل والتهجد وهي مرجعي في أمور ديني ، فهي معلمتي ، ولو جاز أن تكون إمامي في الصلاة لفعلت لأنها أقرأ وأحفظ وأكثر بكاءً وخشية ، وعندما أدخل البيت تأخذ يدي وتقبلها وتقول : سيدي وسيد داري. . . وأنا أقبلها وأقول لها : أنت شيختي ومعلمتي. . .

إن الرجل لظروف المعيشة الصعبة وعدم تفرغه ، ضَحُلت ثقافته الإسلامية وعلمه بأمور دينه ، وإن المرأة تفرغت لبيتها ، فإن تثقفت وتعلمت وتربَّت تربية إسلامية فهي تستطيع أن تنقل هذه الثقافة والتربية إلى زوجها وأولادها بدون عناء . . .

المطلب الثالث : معوقات أمام الداعيات

أولاً ـ عدم فهم فقه الزواج من الداعية أو خطّابها :

لقد جعل الإسلام هدفاً سامياً للزواج ، وقد جعل الزواج عبادة كسائر العبادات ، وجعل الرابط بين الزوجة والزوج الدين والخلق : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »(1) والرجل : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »(2) وقال تعالى : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢١] .

فقد تكون هناك مؤمنة داعية حافظة لكتاب الله ولكن لم تحصل على الجمال والمال كغيرها ، فتكون هناك مشكلة في زواج هؤلاء المؤمنات الحافظات لأسباب عدة ترجع لها أو لغيرها ومنها :

١ـ بسبب عدم وجود الكفء لها .

٢ـ لإحجام الرجال عنها لعدم جمالها أو لعدم تبرجها أو لفقرها .

٣ـ لإحجام الرجال عنها بحجة عدم تفرغها للبيت وهي تهمة باطلة .

٤ـ لعدم وجود التربية الصحيحة والثقافة الإسلامية عند هذه الفتاة التي تتجه نحو الزهد .

---

(١) **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، رقم (٤٨٠٢) ؛ **صحيح مسلم** ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح ذات الدين ، رقم (١٤٦٦) ، عن أبي هريرة .

(٢) **سنن النرمذي** ، كتاب النكاح ، باب إذا جاءكم من ترضون دينه ، رقم (١٠٨٥) ؛ **المعجم الكبير** ، **الطبراني** ، مسند من يعرف بالكنى ، حديث أبي حاتم المزني ، رقم (٧٦٢) ، عن أبي حاتم المزني ، وقال الترمذي : حديث حسن .

٥ـ لعدم وجود المرجعية الدينية للاستشارة في الأمور التي لا تفقهها ، فتترك الفتاة لأخذ القرار لنفسها دون دراية أو علم أو حكمة .

٦ـ ضعف ثقافة التعداد والتضحية ، فتعدد الزوجات للرجل هو حل لمشكلات واقعة ، أحياناً لا تُحلّ إلا بهذا الطريق ، والتعداد هو أصل قرآني وتشريع رباني ، أباحه الإسلام في الزواج من أربعة .

ثانياً ـ الأسرة :

كثير من الأسر تنتسب إلى الإسلام لفظاً لا عملاً وسلوكاً وأخلاقاً ، فعندما تظهر فتاة مؤمنة عقدية تجد الصعوبات في وجهها من أهلها ، من إخوتها ووالديها ، لأنهم يجهلون مبادىء دينهم وإسلامهم ، فيمنعونها من طلب العلم والخروج من بيتها لهذا الأمر ، ويمنعونها من دعوة زميلاتها إلى بيتها للتعاون على البر والتقوى ، أو زيارتها لزميلاتها لتمتين الصداقة والأخوة فيما بينهن ، أو يشغلونها بأعمال منزلية دون أن يتركوا لها وقتاً للتفرغ لحفظ القرآن أو الحديث أو العبادة ، إلى جانب تسلط الذكور من أب وأبناء ذكور على قرارات المسكن دون رعاية أو عناية أو مشاركة البنات بالقرار .

ثالثاً ـ المجتمع :

إن المجتمعات في العصر الحديث هي مجتمعات اتجهت نحو المادية أو العلمانية المجردة من الدين ، وانتشر السفور والتبرج ، فعندما تتحجب الفتاة حجاباً متكاملاً تصبح المحجبة مميزة بين صويحباتها ومثيلاتها ، فينظر إليها نظرة خاصة ، حتى في بعض المجتمعات منعوا الحجاب في مؤسساتهم التعليمية أو الوظيفية ، فأصبحت المتحجبة في عزلة وصراع مع المجتمع ، فنظروا إلى ظاهرها دون أن ينظروا إلى سلوكها وأخلاقها .

رابعاً ـ الدولة :

إن كثيراً من الدول العربية والإسلامية اتجهت اتجاهات بعيدة عن جوهر الدين وأخلاقياته ، وبعضها حارب المظاهر الدينية أو بعضها جعل القوانين الوضعية التي تخالف الشريعة الإسلامية في الزواج والطلاق والإرث ، ومنع الحجاب وروّج للسفور والاختلاط ، فوقعت المتحجبة بحرب ضروس، لأن الاستعمار والأعداء لم يبقَ أمامهم لإحكام سيطرتهم على الأمة العربية والإسلامية إلا موضوع الأسرة ، فإذا انهارت الأسرة ، انهار الأفراد وفقدوا القيم والأخلاق ، فيسهل على الأعداء إحكام سيطرتهم على الأمة الإسلامية.

خامساً ـ الجهل وعدم معرفة جوهر الدين :

كثير من المجتمعات الإسلامية جاهلة بدينها وإسلامها ، واستعاضت عن أخلاق دينها ببعض العادات ، وقد تكون هذه العادات أقرب ما تكون للجاهلية أو لعادات غريبة عن طبائعنا وأخلاقنا وسلوكياتنا . والجهل قسمان ، جهل يتّجه نحو التفلّت والتحلّل من الدين وتقليد الغرب ، وجهل يتّجه نحو التعصب المقيت دون دراية عن وسطية الإسلام وحكمته ، فبعضهم يظن أن التدين فقط في لبس السواد واحتجاب المسلمة عن مجتمعاتها ولو كان المجتمع بحاجة إليها ، حتى نرى بعض العادات الجاهلية ، فكانت المرأة لا يراها خاطبها إلا بعد عقد الزواج ، ويعتبرون ذلك تديناً ، وبعضهم اعتقد أن المرأة كلها عورة ، جسمها حتى صوتها .

المطلب الرابع : مجالاتها الدعوية

١ـ المدارس : المدرسة مجال واسع لعمل المرأة المربية ، والطالب بحاجة لحنان وحب ورعاية وسكينة وطمأنينة المرأة ، والمرأة قادرة على ذلك وخاصة في الصفوف الأولى حتى العاشرة من العمر .

٢ـ المساجد : كانت المرأة المسلمة محرومة من المساجد وممنوعة عنها ، ومن النادر أن تحضر خطبة الجمعة والأعياد ، ولكن بدأت في العصر الحديث نهضة مباركة ، فأصبحت بعض المساجد تخصص أمكنة للإناث ، فأصبحت المسلمة تتجه نحو المساجد حضوراً للصلاة ولطلب العلم ، وبدأت نهضة مباركة في العديد من الدول الإسلامية ، بأن انقلبت المرأة المسلمة من دور التَّعلُّم إلى دور التعليم ، فأصبحت تدرّس مثيلاتها في المساجد وبدأت بعض المساجد تخصص لها أماكن خاصة وأزمنة خاصة لتدريس الإناث ، وليمارسن الإسلام السلوكي والتربوي والعبادي في المساجد .

٣ـ لقد افتتحت مئات معاهد تحفيظ القرآن للإناث في المساجد ، وخرَّجن آلاف الحفظة في القرآن والحديث النبوي ، وتربين على أخلاقيات الإسلام .

كما افتتحت المئات من الثانويات الشرعية التي زودت الفتاة المسلمة بعلوم الإسلام الأساسية وبأخلاقياته وتربيته .

٤ـ أصبح للمرأة الداعية دور هام في العديد من الدول العربية في موضوع الأفراح

والأتراح ، فأصبحن يلقين المواعظ والنصائح في الحفلات والمناسبات الخاصة بالإناث كحفلات الأعراس والأحزان، وفي الحفلات التي تقام للمولود أو للأعياد وما يشبه ذلك.

٥ـ أصبح للمرأة الداعية فعاليات هامة في النزهات والرحلات ، فأصبحت وسائل العصر تساعدهن على ذلك لوحدهن دون الذكور ، وساعدهن الرجال بتخصيص الأماكن للنزهات والاستراحات ، مما متَّن الصِّلات بين هؤلاء .

٦ـ كما أن هناك أفواجاً كاملة من النساء في الحج والعمرة ، وخاصة بعدما أصبحت المرأة التي تتجاوز سن الخامسة والأربعين ليست بحاجة لمحرم في سفرها لبيت الله الحرام .

٧ـ وأصبحت المرأة المسلمة تشارك في المساجد في العبادات وفي مواسم العبادة ، بل أصبح بعضهن يجتمعن في أحد البيوت أو الأماكن المناسبة لهذا ويقمن العبادات جماعة صلاة وذكراً وعلماً .

٨ـ ولقد نجحت المرأة في موضوع التمريض والطبابة ، وكذلك كان نجاحها في التدريس والتعليم .

٩ـ ونجحت في الكتابة والتأليف ، فلقد كان ذلك خاصاً بالذكور ، وفي العصر الحديث اقتحمت المرأة المسلمة هذا الميدان وصارت كاتبة ومؤلفة .

١٠ـ ودخلت المرأة المسلمة ميدان الإعلام ، فظهرت على شاشة التلفاز معلمة ومرشدة ومجادلة ومحاورة ، وعلى صفحات المجلات والجرائد ومواقع الانترنت وغير ذلك .

١١ـ كما ظهرت المرأة المسلمة في الفن ، فأصبح هناك فن ملتزم محتشم ولو أنه في البدايات ، ولكن ذلك يبشر بالخير .

١٢ـ كما ظهرت في الاقتصاد والتنمية ، فللمرأة في واقعنا المعاصر دور هام في عملية ازدهار الاقتصاد ، فهي نصف المجتمع ، هذا إذا سخّرت طاقاتها التي تناسب طبيعتها الأنثوية ، وتناسب المجتمع ، بعمل شريف كالأعمال المنزلية والأشغال اليدوية والإبداع الفني من رسم وزخرفة وتطريز وغيرها من الأعمال ، وأن تكون مدرّسة ومعلمة ، وخاصة في مرحلة قبل الدراسة النظامية وبعدها ، فالطلاب في رياض الأطفال يحتاجون إلى رعاية وعناية وحنان وأمومة ، والمرأة خلقت لهذا ، فهي سكن وطمأنينة وخاصة للصغار ، كما

أنه يمكن أن تكون طبيبة لبنات جنسها ومعلمة ومدربة وما أشبه ذلك ، بعمل لا يخدش عفتها أو يهدر كرامتها أو يسحق وجودها .

١٣ـ أنشأت المرأة المسلمة العديد من الجمعيات الخيرية والطوعية ، أو شاركت بهذه الجمعيات ، وفي العديد من الدول العربية ، وكثير من هذه الجمعيات اختصت بتثقيف المسلمة وتعليمها وتربيتها ، أو في أمور اجتماعية وصحية ، من إنشاء مشافٍ ومصحات ، ومساعدات صحية للمرأة وأولادها ، أو بتعليمها مِهَناً منتجة وغير ذلك. . .

المطلب الخامس : المنهج الدعوي للمرأة المسلمة

لابد من التركيز في المناهج التربوية للمرأة المسلمة على أربعة مناهج :

١ـ المنهج التعليمي : ونقَصِد بذلك المعارف والثقافة التي تحتاجها المرأة في تعلمها في الإسلام ، فيجب أن تكون مركّزة وشاملة قبل الدخول في التفاصيل .

٢ـ المنهج التربوي (التزكوي) : لابد من منهج إيماني يعتني بالإيمان ويزكّي النفس ، وذلك بالعبادات (قراءة القرآن والأذكار وقيام الليل وأداء النوافل. . .) .

٣ـ المنهج التخطيطي والتنظيمي : لابد من منهج فيه تخطيط وتنظيم وترتيب وأن تكون المناهج مراعية للسن والثقافة والبيئة .

٤ـ المنهج التدريبي والامتحاني ، لابد من منهج تدرب به المسلمة على بعض الأمور من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولابد من إجراء امتحانات للمعلومات التعليمية والتربوية لمعرفة المستويات ، وتحديد نسبة الذكاء ، وتشجيع المؤهلين ودفعهم إلى المشاركة في عملية هداية الإناث ونشر الدعوة بينهن .

المطلب السادس : نماذج من الأسلوب الدعوي للمسلمة المعاصرة

أولاً : الشيخ أحمد كفتارو والدعوة النسائية في سورية :

تميزت سورية من الدول العربية بنجاح الدعوة النسائية وخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي ، وانتشرت هذه الدعوة في جميع أنحاء سورية ، وتَدين هذه النهضة للمرحوم الشيخ أحمد كفتارو ، فلقد اعتنى بموضوع دعوة المرأة ، وجعلها من أولوياته ، وركّز على قول الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ...﴾ [التوبة ٩/ ٧١] ، وكان يردد : (لم نُطبق وصيّة الرسول ﷺ في حقها بل خالفناه فيها في كل أنحاء العالم الإسلامي ، وهذه الوصية وجَّهها إلينا في خطبة الوداع بقوله : « استوصوا بالنساء خيراً »[1] ، لقد عانت من التَّجاهُلِ والتّقصيرِ والإهمال في حقها فترةً طويلة من الزمن ، عانت من حرمانها من التعليم ، عانت من عدم السماح لها بالتعبير عن رأيها ، عانت من عدم السماح لها بالمشاركة في بناء المجتمع والأمة ، عانت من هيمنة الرجل عليها وعلى مالها في كثير من الأحيان ، مع أن القرآن الكريم يقول في أصدق عبارة وأصرح تعبير : ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة ٢/ ٢٢٨] ، وهي درجة القوامة التي لا تبيح للرجل بأي حال من الأحوال أن يحرمها من التعليم ويمنعها من إبداء الرأي ، والمشاركة في بناء المجتمع والأمة ، ويأكل مالها بالباطل ، والرسول ﷺ يحث على طلب العلم وتعليمه « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[2] ، وقد أجمع أهل العلم على أن كلمة مسلم هنا تعني الرجل والمرأة على حدٍّ سواء ، وقوله ﷺ : « إن النساء شقائق الرجال »[3] ، وقوله ﷺ في خطبة الوداع أيضاً : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ، ولأسود على أحمر فضل إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[4] ، وإن إصلاح المرأة موضوع مهم جداً ، لأن في صلاح المرأة صلاح المجتمع... إن إعداد الداعيات من النساء أمر مهمّ جداً)[5] .

فالمرأة مطالَبة بالدعوة إلى الله بين الإناث ، كالرجل تماماً بين الذكور ، فكلكم راعٍ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصية بالنساء ، رقم (٤٨٩٠) ؛ مسند الإمام أحمد ، كتاب مسند المكثرين ، باب مسند أبي هريرة ، رقم (١٠٤٥٢) ، وكلاهما عن أبي هريرة .

(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب في الإيمان والفضائل ، باب فضل العلماء ، رقم (٢٢٤) ؛ المعجم الأوسط للطبراني ، رقم (٩) ، وكلاهما عن أنس بن مالك ، وقال الألباني : صحيح

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في الرجل يجد البلة في منامه ، رقم (٢٣٦) ؛ سنن الترمذي ، كتاب أبواب الطهارة ، باب فيمن يستيقظ فيجد بللاً ، رقم (١١٣) ، وكلاهما عن عائشة ، وقال الألباني : صحيح .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، كتاب باقي مسند الأنصار ، باب حديث رجل من أصحاب النبي ، رقم (٢٣٥٣٦) ؛ المعجم الأوسط للطبراني ، باب العين ، من اسمه عبد الرحمن ، رقم (٤٧٤٩) ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٥) جريدة الجزيرة السعودية ، عدد : (٨١٥١) .

وكلكم مسؤول عن رعيته ، وعلى المرأة كالرجل أن تقوّي إيمانها وتتعلم أمور دينها ثم تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل التكاليف الشرعية ولا فرق بالتكاليف الشرعية بين الرجال والنساء ، إلا ما كان من خصوصيةٍ للمرأة في حيضها ونفاسها ، ولهذا جعل الشيخ أحمد موضوع المرأة من أولوياته ، فعقد لهنّ الدروس ، وأسس معهداً للإناث سنة ١٩٦٤م الذي هو مدرسة عامة للمرحلتين الإعدادية والثانوية ، ثم أسس عام ١٩٧٦م مدرسة شرعية إعدادية وثانوية ، ثم أسّس في سنة ١٩٨٢م جامعة للدعوة ، وأفرد كلية خاصة بالإناث ، وفسح المجال لهن في التخصص الشرعي في مرحلة الماجستير والدكتوراه ، وأقام لهنَّ دورات لحفظ القرآن الكريم وتجويده ، ومسابقات في ذلك ، حتى صارت الحافظات للقرآن بالآلاف ، كما خصص جلسات خاصة ودروساً خاصة بالإناث ، ومجلس دعوةٍ لهنَّ أسبوعياً ، وفسح لهنَّ المجال في المساجد للدعوة فأصبحت كل واحدة منهنّ تجمع المئات من النساء حولها ، تربية وتعليماً وتوجيهاً ، وشجَّعهن على الكتابة والتأليف والخطابة حتى تفوّقن في الدراسة على كثير من الرجال ، وجعل لهنّ أمكنة وطوابق خاصة في مجمَّعه يمارسنَ عملهن ودعوتهن .

ثانياً ـ منهج الدعوة النسائية في سورية :

ويمكن تلخيص هذا المنهج على قسمين :

١ ـ المدارس والمساجد : فشجّع على افتتاح المدارس الخاصة من روضات وابتدائية وثانوية ، حتى انتشرت المئات في سورية وخارجها ، ونافست هذه المدارس غيرها من المدارس الأجنبية وحتى المدارس النظامية والحكومية ، وشجّع النساء على التدريس في المساجد ، ولأول مرة في عهد الشيخ وظَّف في دائرة الإفتاء مدرّسات من الإناث يدرِّسنَ في المساجد ، وكان فضل الله على سورية أنه سعى للترخيص للثانويات الشرعية ، فافتتحت المئات من الثانويات الشرعية في جميع أنحاء سورية ، وسعى للترخيص لمعاهد القرآن الكريم ، فافتتحت المئات منها ، فلم يخلُ منها جامع إلا نادراً .

٢ـ التعليم غير النظامي : وهذا التعليم لم يخضع لمؤسسات دراسية كالمساجد والمدارس ، ولكن يعتمد على ما تملكه المرأة من وسائل ومقدرات خاصة فيها ، إذا أُعدَّت هذه الشخصية المسلمة إعداداً إسلامياً ، لتكون داعية إلى الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالغالب أن المرأة متفرغة في بيتها ، وتملك فراغاً كبيراً ، فإن أُحسن استغلال فراغها ، فتصبح المرأة مدرّسة في بيتها لأسرتها ولجيرانها وصديقاتها ، ويتّسع أي بيت

لعدد أصابع الكف وأزيد من النساء ، فيجب التركيز على بناء الشخصية المسلمة ، ويجب تأهيلها وتحميلها مسؤولية التعليم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والبيت قد يكون أهم من المدرسة والمسجد في كثير من الأحيان .

ومن أجل تأهيل هذه المرحلة ، فقد قسمت هذه المرحلة إلى خمس مراحل ، كالمدارس العامة ، إلى ابتدائية وإعدادية وثانوية وجامعة ، وفوق الجامعة ، وكل مرحلة لها منهج .

١ـ **المرحلة الابتدائية** : كل مَن تكون فاقدة الأسس الإسلامية ، والمكونات الأولى للإسلام وأركانه ، وهي تشبه المؤلفة قلوبهم ، ويكون التركيز على الإيمان والتحبيب بالإسلام ، والتعريف بأركان الإسلام شيئاً فشيئاً ، ثم تعظيم كتاب الله في قلب المؤلفة قلبها ، وتعليمها بعض السور من القرآن الكريم ، وكذلك حب النبي ﷺ ، وتعليمها بعض الأحاديث النبوية كأحاديث الأربعين النووية ، وبعض الأحكام الفقهية .

٢ـ **المرحلة الإعدادية** : إذا تمكَّن الإيمان من حب الله ورسوله في القلب انتقل إلى المرحلة الإعدادية الثانية ، وفي هذه المرحلة يكون التركيز على العبادات والقرآن حفظاً وفهماً ، وبعض الأمور الفقهية والشرعية ، وبعض الكتب التي فيها أمثلة رائعة عن الصحابيات والصحابة (كصور من حياة الرسول) (وحياة الصحابة) وبعض الأحاديث النبوية مثل كتاب (رياض الصالحين واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) ، مع التأكيد على المحافظة على عفة المرأة وحجابها ، وتصبح المدعوّة ملتزمة بالجماعة وبمنهجها ، وفي هذه المرحلة والتي تليها تُمتحن المدعوّة بما أخذت من علوم بشكل شفهي وكتابي كامتحانات الطلبة في المدارس ، لإشغال وقتها في بيتها بالقرآن والحديث وبعض العلوم الشرعية .

٣ـ **المرحلة الثانوية** : في هذه الفترة تكون المرأة قد تحلّت بالإيمان وطَبَّقت الأركان ، وتخلقت بأخلاق القرآن والسنة ، والتزمَت الحجاب ، فتشرع بتحصيل إجازة في حفظ القرآن حسب الأصول ، وتطالَب المرأة بتحصيل الإجازات في بعض كتب الفقه والتفسير ، وسيرة الرسول ، وبعض الكتب كفقه السيرة لمحمد سعيد البوطي(١) ، وفقه

---

(١) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : ولد سنة ١٩٢٩م في جزيرة بوطان الواقعة داخل الحدود التركية شمال العراق ، هاجر مع والده المرحوم ملا رمضان إلى دمشق وله من العمر أربع سنوات ، أنهى دراسته الثانوية الشرعية في معهد التوجيه الإسلامي ، والتحق بالأزهر حيث حصل على الشهادة الجامعية من كلية=

الزكاة ، وفقه الأولويات للقرضاوي[1] ، وفقه السنة لسيد سابق[2] وغيرهم .

وفي هذه الفترة أصبحت المرأة داعية مهيَّأة لتحمّل المسؤولية لتقوم بالدعوة في بيتها ، وملتزمة بالجماعة وبمنهاجها التربوي والعلمي والعبادي كالصلوات وصلاة النافلة وخاصة قيام الليل والتهجد ، وتكلف بالإشراف على بعض المدعوّات المؤلفة قلوبهن أو ممن تجاوز ذلك إلى المرحلة الإعدادية ، وتدرس العلوم التي نالت بها إجازات .

٤ـ المرحلة الجامعية : هذه المرحلة هي استكمال للمرحلة السابقة ، إلا أنها تصبح الداْعية مستقلة ، ومسؤولة عن عملها ، وفي هذه الفترة كثير من الفتيات نلن إجازات حفظ القرآن على القراءات العشر ، وشهادة حفظ الأحاديث النبوية كصحيح البخاري ومسلم والترمذي وبعضهن نلنَ الإجازات في الكتب الستة ، وكثير منهن ألَّفن كتباً موسوعية في القراءات والسيرة النبوية والفقه والآداب الإسلامية .

٥ـ المرحلة فوق الجامعية (التخصصية) : هذه المرحلة هي مرحلة النضج الكامل ، وتحمّل المسؤوليات والالتزام بالجماعة والمنهج الدعوي والتخطيط للدعوة .

= الشريعة سنة ١٩٥٥م ، ونال دبلوماً في التربية ، وعين معيداً في كلية الشريعة بدمشق ، ثم حصل على الدكتوراه في أصول الشريعة الإسلامية من الأزهر عام ١٩٦٥م ، ثم عين مدرساً في كلية الشريعة ثم وكيلاً لها ، ثم عميداً لها ، عضوا في الكثير من المجامع العلمية والفقهية ، وشارك في كثير من المؤتمرات والندوات ، وله ما لايقل عن أربعين مؤلفاً في علوم الشريعة والآداب والفلسفة والاجتماع والحضارة ، وله الكثير من المشاركات في كثير من الصحف والدوريات ، ويرأس قسم العقائد والأديان في كلية الشريعة بدمشق ، يدرس ويحاضر في كثير من مساجد دمشق وغيرها من المدن السورية والعربية .

(١) الدكتور يوسف القرضاوي : ولد في إحدى قرى محافظة الغربية في جمهورية مصر العربية ، عام ١٩٢٦م وحفظ القرآن وهو دون العاشرة والتحق بالأزهر حيث أتم دراسته الإعدادية والثانوية في معاهده ، ثم التحق بكلية أصول الدين في الأزهر ، وحصل على الشهادة الجامعية سنة ١٩٥٣م ، ثم توالت الشهادات العلمية حتى أصبح على الدكتوراه سنة ١٩٧٣م ، عين في كثير من المناصب الرسمية والدعوية في الكليات والمعاهد المصرية ، وشارك في إنشاء العديد من الكليات في الخليج وخصوصاً في قطر ، ونشاطه الدعوي لا يحصى من تأليف ودروس وجمعيات وخطابة ، ومؤتمرات ، وندوات ، ونصح للحكام ، وهو مؤسس وعضو في العديد من المؤسسات الإسلامية ، وهو من أبرز الفقهاء المعاصرين وأشهرهم في العالم الإسلامي وهو اليوم رئيس اتحاد علماء المسلمين .

(٢) الشيخ سيد سابق من مواليد محافظة المنوفية في مصر ، من الأعضاء النشطين في حركة الإخوان المسلمين في مصر ، عين مديراً لإدارة الثقافة في وزارة الأوقاف ، ثم انتقل إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وتوفي سنة ٢٠٠٠م ، وقد حصل على كثير من الجوائز ، وكان موسوعة في الفقه ، وله الكثير من الكتب ومن أشهرها (فقه السنة) .

وفي هذه المرحلة يكون التركيز على المنهاج لا على الأفراد والمعلمات ، والاعتناء بالكيف لا بالكم ، والاعتناء بالإيمان والقلب والتربية قبل المظاهر من لباس ومظاهر ، ومراعاة الزمان والمكان والأشخاص ، فالمسلم ابن وقته ، ومراعاة الأهل والمجتمع وعدم مفاجأتهم بحجاب الفتاة إلا بعد قناعة تامة وثقافة تامة وإيمان تام ، فإذا كانت المسلمة غير متحجبة فإنها ستدخل معركة مع شياطين الجن وشياطين الإنس ، فيجب الإعداد لهذه المعركة ، إيمانياً وثقافياً. . .

ويؤخذ التدرج في الأمور ، مثل عدم ستر الوجه والكفين في البيئات التي تعادي الحجاب أولا تتقبله ، وتكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وتكون بالترغيب لا بالترهيب ، بالتحبيب لا بالتكريه .

ثالثاً : السيدة درية الخرفان والدعوة النسائية[١] :

لقد أسّس الشيخ أحمد كفتارو لدعوة نسائية متميزة وفريدة ، فلقد كانت من أوائل الداعيات السيدة درية الخرفان ، التي ولدت قبل الشيخ بعام ١٩١١م ، وأخذها والدها الحاج أبو مصطفى الخرفان عند ولادتها للشيخ أمين كفتارو[٢] والد الشيخ أحمد ، وكان من تلامذته ، فأذَّن في أذنها ، وحنكها بتمرة ، وسماها درية ، وقال عنها : (كوكب دري يوقد من شجرة مباركة) ، وحفظت القرآن في السنة السابعة من عمرها ، وتزوجها ابن عمها وهي في الحادية عشرة من العمر ، تسلّحت بنور العلم بالقرآن ، والتفقه بأمور الدين ، وتجملت بالأخلاق ، كانت كل سنة تقصد بيت الله الحرام مع تلميذاتها ومريداتها بفوج نسائي خاص يضم المئات من النساء ، وتصدت للدعوة في العشرين من عمرها ، أي في عام (١٩٣١م) ، حضرت مع والدها مجالس العلم والذكر التي كان يقيمها الشيخ أمين كفتارو يرحمه الله ، وعُرف عنها حدة الذكاء ، فكانت تعيد على والدها ما سمعته من درس الشيخ أمين كفتارو حرفاً حرفاً ، ووسعت معارفها في التفسير والسيرة والفقه وعلوم

---

(١) انظر : **أولئك آبائي** ، زهير الأيوبي ، (دار المعرفة ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٦م) .

(٢) الشَّيخ محمَّد أمينُ كفتارو (١٢٩٤ـ١٣٥٧هـ/ ١٨٧٧ـ١٩٣٨م) ، وكان مُربِّياً عَارفاً باللهِ حافظاً خليفةً للشَّيخ المَرَبِّي (عيسى النَّقشبنديّ) (١٨٣١ـ١٩١٢م) ، عالمُ دمشقَ الَّذي تَخَرَّجَ على يديهِ كبارُ علماءِ الشَّامَ كالشَّيخ (أبي الخير الميدانيّ) وغيرهم . ينظر : كتاب **الشيخ أمين كفتارو** ، **تأليف د . محمد الحبش** ، (دار المحبة ، دمشق ، ١٩٩٩م) .

القرآن ، وتابعت تلمذتها بعد وفاة شيخها الشيخ أمين على ابنه الشيخ أحمد ، وفتحت بيتها للتدريس والدعوة .

ودرَّست في العديد من مساجد سورية ، وامتدت دعوتها المباركة إلى مساجد حلب واللاذقية والنبك ولبنان والأردن . . .

وتركت عدداً من مؤلفاتها القيمة منها كتاب (النور الشافي في الفقه) وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء ، وكتاب (الكافي) في التوحيد ، وهو مؤلف من جزأين ، ومنها كتاب (عدة الناسك في المناسك) ، وهو في أحكام الحج والعمرة والزيارة ، ومنها كتاب (السراج الوهاج) وفيه الحديث عن الإسراء والمعراج ، وتركت بعد وفاتها مخطوطاً في تفسير القرآن الكريم . . .

لقد كانت ترى أن حجاب المرأة المسلمة يشملها كلها ، وتوسعت دعوتها النسائية بدءاً من دمشق ثم المحافظات ثم إلى لبنان والأردن ، وظلت تعلم الناس الخير حتى وافتها المنية ليلة الاثنين (١٨/ ٥/ ١٩٩٥م) الموافق (١/ محرم / ١٤١٦هـ) ، وصلي عليها في جامع أبي النور ، وصلى عليها الشيخ أحمد كفتارو .

لقد ظلت ثمانين سنة ونيف ، تدعو إلى الله في بيتها وفي المساجد كجامع الإيمان وجامع مصعب بن عمير وجامع الدر المحمدي .

رابعاً : الآنسة منيرة القبيسي والدعوة النسائية :

ظهرت عدة داعيات تركنَ أثراً واضحاً في حقل الدعوة النسائية في دمشق ، وقد تربّينَ في مدرسة الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله ، مثل الداعية إنصاف رمضان ، والداعية فدوى الغبرة ، وغيرهن الكثير ، ولكن أشهر هذه الداعيات الآنسة منيرة القبيسي ، فقد تربَّت مع عائلتها عند الشيخ وأخذت منهج الشيخ وطوَّرته وأضافت إبداعاتها ومواهبها التنظيمية ، فانتشرت دعوتها ليس في سورية فحسب بل في العديد من الدول العربية حتى الأجنبية .

لقد اطلعتُ على عمل الداعية منيرة القبيسي ، وتتلمذتُ معها على مائدة الشيخ أحمد كفتارو في مسجد أبي النور ، وقد ولدت منيرة في دمشق سنة ١٩٣٣م ، واصطحبها عمها أبو الخير القبيسي إلى مجالس العلم عند الشيخ كفتارو ، وأبو الخير القبيسي من تلامذة الشيخ أمين والد الشيخ أحمد كفتارو ، ثم تتلمذ على الشيخ كفتارو ، ونالت إجازة في العلوم الطبيعية ، ثم إجازة من كلية الشريعة في جامعة دمشق ، وكنتُ مع أخويها وليد

وموفق في معهد الأنصار الثانوي التابع لجمعية الأنصار للشيخ أحمد كفتارو وأكبر أخوتها وليد ثم بهجت ثم موفق ثم ماهر ، وممتاز ، ورضوان ، ولما كانت تدرس في كلية العلوم بجامعة دمشق تعرفت على عدد من بنات المحافظات ، فتأثّرن بها وتتلمذن عليها ، ثم درَّست في ثانويات دمشق ، فجلبت الكثير من الطالبات والمعلمات لدعوتها ، ثم عندما فتح الشيخ أحمد كفتارو معهد بدر للإناث سنة ١٩٦٤م ، كانت مديرة له ، فتوّسع نشاطها برعاية الشيخ أحمد كفتارو .

حصرت هذه الدعوة عملها بتربية النساء في البيوت ، وأحياناً في المساجد حسبما يُرخّص لهنّ ، واعتمدت على تقوية الإيمان بالعبادات بالالتزام بالفرائض وأداء الصلوات في وقتها والمحافظة على النوافل ، وخاصة قيام الليل والتهجد والأذكار بعد صلاة الصبح وحفظ الأذكار التي وردت في الصحاح ، والاعتماد على القرآن الكريم ، حفظاً ، وفهماً وشرحاً ومايتصل به من فقه ، وأسباب النزول والقواعد الفقهية والسيرة النبوية .

وخصصّن لكل مادة معلمة تدرسها لعدد لا يتجاوز أصابع الكف أو الكفين في البيوت ، وتُجرى للطالبة امتحانات بتلك المادة ، مما ساعد على التركيز أكثر ، ويعطينَ شهادات بذلك الكتاب أو المادة التي دُرست .

وأهم أسباب النجاح أنهنَّ لا يتدخلنَ في السياسة أبداً ، فأصبح كل بيت مدرسة تربوية ، وخاصة إن الرجال يتغيبون عن بيوتهم من الصباح إلى وقت الغداء ، إلى جانب نجاحهنَّ تربوياً في مدارس الروضات والابتدائية ، وارتدين حجاب الحشمة ، كالمعاطف بلون كحلي أو الأسود ، أو ألوان ليس فيها تبرج ، مع حجاب الرأس بألوان فيها حشمة كالأبيض والسماوي والكحلي ، وتحفّه قطعة تستر مقدمة الرأس الناصية وتسمى القمطة ، والحذاء من دون كعب .

إن منهاجهنَّ الدعوي مأخوذ من منهاج الرسول ﷺ مع الصحابة ، فكان كل مَن يسلم يرشده النبي ﷺ لأن يبلِّغ هذه الدعوة لمن حوله بقدر استطاعته ، ويُقال إن من اخترع حروف الكتابة اللاتينية كان يأخذ العهد أن يعلّمها لعشرة ، وهكذا انتشرت دعوة هؤلاء النساء فكل واحدة تعلِّم عدداً لا يتجاوز أصابع الكف الواحد أو الكفين ثم مَن تعلّمت على أيديهن تقوم بتبليغ الدعوة إلى مثل ذلك ، فانتشرت الدعوة عن طريق معلمة واحدة وأصبح هناك تسلسل طبيعي كالمتوالية الهندسية ، فالواحدة علَّمت عشرة ، والعشرة علَّمن كل واحدة عشرة .

وتعتبر هذه الحركة الدعوية أنموذجاً فريداً في العصر الحديث ، فمنذ عصور الانحطاط وإلى اليوم ، كانت الدعوة الإسلامية أغلبها بزعامة الرجال ، وكانت المرأة المسلمة تابعة للرجل في أغلب الأحيان ، حتى جاءت الدعوة النسائية التي أسس لها الشيخ كفتارو ، والتي تستقل عن الذكور وأحد داعياتها الآنسة منيرة القبيسي ، وتكون فيه المرأة عنصراً فعّالاً في المجتمع ، وتحمل أهدافاً تربوية سهلة وواضحة ومقبولة تلتزم بمنهاج أهل السنة ، مما جعلها تتفوق وتتميز بعشرات المرات على أولئك الذين نادوا بتحرير المرأة في الشرق والغرب .

وهذه الدعوة أصبحت واسعة الانتشار ، تتجاوز القطرية ، فلها تواجد في سورية ولبنان والأردن ومصر ودول الخليج ، حتى أوربة وأمريكة .

وكل دعوات تحرير المرأة انطلقت في الغالب من الذكور أو تحت إشرافهم ، بينما هذه دعوة نسائية لا علاقة للذكور بها .

وهذه الدعوة أسّست أهدافها على قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات ٤٩/ ١٣] ، فلا فضل لذكر على أنثى إلا بالتقوى وقوله : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ . . . ﴾ [النساء ٤/ ٣٤] ، فالقوامة هنا إدارة البيت لإنفاق الرجل على البيت ، وما سوى ذلك فالمرأة تكمل الرجل ولها استقلاليتها عن الرجل : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ . . . ﴾ [التوبة ٩/ ٧١] .

وهذه الدعوة ليس لها أهداف سياسية ، ولا مطامع خاصة ، ولا تتدخل في السياسة لا من قريب ولا من بعيد ، فليس لها إلا هدف واحد وهو التربية الأخلاقية الإسلامية ، وأن المرأة نصف المجتمع بل صانعة المجتمع ، ونهضة المجتمع نفسه متوقفة عليها ، ويبتعدنَ عن المحاور الخلافية ، ويركّزنَ على الوحدة الإسلامية ، وعلى الجانب الروحي في الإسلام مع عدم إهمال الجانب العلمي والتربوي ، لأنهنَّ يعتقدنَ أن أهمَّ واجب عليهنَّ تربية المرأة ، كما قال شوقي :

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددْتَها أعددْتَ شعباً طَيِّبَ الأعْرَاقِ

ولهذا فهنَّ قوة وحصن لأي دولة ، لأن عملهنَّ يخدم المواطنة ومصالح الوطن .

ولهذه الدعوة منهج واضح ، فالدعوات والحركات والجماعات إما أن تتبع أشخاصاً أو أن تتبع مبادئ ، فإذا كانت المبادئ هي التي تُسيِّر الأشخاص كُتب لهذه الحركة الاستقرار والازدياد والانتشار وإذا كان بالعكس ، أي كانت الأشخاص تُسيِّر المبادئ ، فمصير هذه الحركة الفناء والفرقة والتقوقع والاندثار ، وهذه الدعوة قامت على مبادئ تربوية واضحة ، فمؤسِّسة هذه الدعوة ، لعلها لا تعرف ممن انتسب إليها وحمل اسمها إلا بنسبة واحد بالألف ، ولكن كلهنَّ على منهج متقارب ، فمرجعيتهن المبادئ لا الأشخاص .

وحاولت هذه الدعوة تأمين مصادر تمويل لها ، وليست هناك جمعيات تدعمهنَّ ، لأن كل الجمعيات لها أهداف وتحاول تحقيق أهدافها بإشراف وزارات ومديريات في دُوَلها ، وكذلك ليست هناك دولة تتبنى هذه الدعوة ، والأهمُّ من ذلك أنَّ هذه الدعوة غنية لتربية الجماعة على حب العمل وتقديسه والمشاركة في الحياة العامة ، والاستقلالية عن الرجل ، ودعم العائلة لهنّ ، ففتحنَ المدارس ، والمتاجر ، والمكتبات ، والملبوسات ، واستوديوهات التصوير الخاصة بالنساء ، وورشات العمل المنزلي كالخياطة والتطريز ، وعندما وجد الآباء والمربون على مختلف فئاتهم وطبقاتهم التربية والعلم والأخلاق في المدارس التي أنشأنها ، تزاحم الناس لتسجيل أطفالهم فيها ، ولاقت إقبالاً منقطع النظير ليس في سورية فقط بل وفي مصر والإمارات والكويت ولبنان والأردن وغيرها .

ويتَّهمها أعداؤها بأنها متكتمة جداً ، وتكتُّم هذه الدعوة ناتج عن عدة أسباب موضوعية :

١ـ لأن المرأة بصورة عامة تخاف (تخاف من الحياة ، من المستقبل ، من. . . .) .

٢ـ والمرأة مملكتها بيتها ، فهنّ يعلِّمن في البيوت .

٣ـ المساجد محدودة ولم يُتَح لهنَّ العمل في المساجد ، وعندما سُمح لهن بالتدريس في المساجد خرجنَ للتدريس ولمعاهد تحفيظ القرآن الكريم على مرأى الجميع .

٤ـ استطاعت منيرة أن تؤسس لجماعة خاصة بها ، فهي التي تربَّت منذ نعومة أظفارها عند الشيخ أحمد كفتارو ومع عائلتها ، وفيما بعد سلَّمها كفتارو رعاية النساء ثم أوكل إليها إدارة معهد بدر للإناث ، وكان كفتارو ينادي بحركة إصلاحية ، ومنها موضوع تحرير

المرأة من انغلاقها المتزمّت ، وضبط المرأة من تهوّرها وشذوذها ، وإعادة مكانتها الإسلامية ، وتمكينها من حرية الرأي والعمل والمشاركة في الحياة ، ضمن خط الوسطية والاعتدال ، فلا ينفع الحجاب المتزمّت المغلق ولا السفور الماجن ، وكان الشيخ كفتارو يدفع المرأة للتعلم والتعليم ، وأن تشارك في الحياة العامة مع المحافظة على عفتها وأنوثتها وأخلاقها ودينها .

تربت الآنسة منيرة على ذلك ، فقامت فتبنت هذه الأفكار ، واستقلت بالدعوة النسائية الإسلامية ، ورأت أن المرأة يجب أن يقودها ويربيها امرأة ، وأثبتت صحة عملها ، فمن حيث المنهج فمنهجها هو منهج الشيخ كفتارو ولكن صبغت عملها بصبغة نسائية وبما تملك من مواهب وإبداع وقدرات .

وكان المرحوم كفتارو يركِّز على تزكية النفس دائماً ، ويصرِّح بتجديد التصوف ، وإلغاء هذه المسميات ، والعودة بها إلى مصطلحات القرآن ، فكان يقول دائماً : ألغوا اسم التصوف والنقشبندية وضعوا بدلاً عنها التزكية والتربية .

وطبّقت منيرة هذه الأفكار فركزت على التزكية والتربية القرآنية المفسَّرة بسنة الرسول ﷺ ، وجعلتها في قواعد واضحة ومنهج متين ، وبهذه الأمور فهي على منهج الشيخ أحمد كفتارو التجديدي ولكن بأسلوب تتفرد به .

وأما بالنسبة للباسهنَّ : فعندما افتتح الشيخ كفتارو معهد بدر سنة ١٩٦٤ جعل لباساً للطالبات وهو (البانطو الكحلي والإشارب الأبيض) للمرحلة الإعدادية ، والسماوي الفاتح للمرحلة الثانوية ، وللمعلمات اللون الكحلي أو السماوي الغامق ، ثم انتهجت العديد من المدارس الشرعية فيما بعد هذا اللباس الوسطي ، وإلى الآن ، حتى أصبح مظهراً من مظاهر التديُّن الوسطي في سورية ، وفي العديد من المدارس الملتزمة في العالم ، هذا اللباس الذي يبتعد عن غطاء الوجه وستر الكفين والألوان الزاهية ، ويبتعد عن الحجاب المتزمّت الذي يكسو المرأة بالسواد من رأسها إلى أخمص قدمها ، حتى وجهها ويديها ، ويبتعد عن لباس الجلباب الذي يسدل طرفه الأسفل حتى يصل إلى الأرض الذي انتشر في الوطن العربي في الخمسينيات والستينيات ، والذي كان يروَّج له أنه اللباس الشرعي الوحيد فكان (البانطو الجديد) الساتر لفوق الكعبين وتحته جوارب لحمية داكنة ، والبانطو الكحلي أو الأسود كالمعطف الشتوي المستعمل في أغلب بلاد العالم ، والحذاء بدون كعب عال ، وحجاب الرأس (الإشارب) وتحته (قمطة) هو

اللباس الوسطي ، ولقد وجد هذا اللباس في البداية حرباً عليه من المتزمِّتين الذين يعتبرون أن كشف الوجه عورة من الكبائر ، مع العلم أن بعض القبيسيات يرتدين منديلاً أسود لغطاء الوجه .

ويجب أن تنتزع المرأة المسلمة حقها بإثبات شخصيتها ومقدراتها وحريتها عن طريق مشاركتها في الحياة وفي مهمتها التربوية ، بإبداعها وإخلاصها وتفوقها : (إن درست أو عملت أو توظفت فيجب أن تكون من الأوائل) .

ويجب تفجير مواهب المرأة المسلمة ومكنوناتها عن طريق العبودية لله تعالى أو ما يسمى بالتزكية ، فكلما حققت العبودية لله كلما تحررت من عبوديتها لشهوتها وملذاتها ، وبما أنها تحفظ القرآن وسنة الرسول ﷺ فتشعر هذه المرأة بمدة وجيزة بسعادة لا تماثلها سعادة ، وهذا هو الذي يحقق الالتزام والانتشار .

وأما في موضوع الزواج : فلقد قيل إن بعضهن لا يتزوَّجنَ أو لهنَّ رأي بعدم الزواج ، وهذا غير صحيح ، فكثير منهنَّ متزوجات وأنجبنَ أولاداً ، وكان الزواج أحد أسباب انتشار هذه الدعوة وزيادة نفوذها ، ولكن هناك مسألة تتعلق بالمنهج التربوي ، فهنَّ جماعة عقدية ، فكل شيء يتبع العقيدة وينطلق منها ، لا كما يفعل كثير من المسلمين اليوم يسخِّرون الإسلام وعقيدتهم لمصالحهم وشهواتهم .

فالزواج له أسس وقواعد وأهداف وكثير من المسلمين لا يتبعون ذلك ، فالمرأة عند بعض الآباء لا خيار لها ولا يؤخذ برأيها في موضوع الزواج ، ولو كانت كبيرة السن متعلمة ، ويُفرض في كثير من الأحيان على البنت الزواج من طرف أهلها ، كما أن الرجل دائماً يضع شروطه على المرأة من جمال وثقافة وغير ذلك ، وهدف الزواج عند الكثيرات الجاهلات غير واضح ، بينما يجب أن تكون العقيدة والمبدأ فوق كل شيء .

وهنَّ يركّزن على حفظ القرآن الكريم وتجويده ، وأخذنَ إجازات في ذلك من مشايخ القرآن كالجامع المرحوم الشيخ محمد سكر ، والشيخ كريّم راجح ، والشيخ عبد الرزاق الحلبي ، والشيخ محي الدين أبي الحسن الكردي ، ولكن الأغلب يأخذنَ إجازاتهنَّ في رواية حفص من الشيخ أبي الحسن الكردي لأنه لايشترط في إجازتهنَّ سماع كل الختمة من القرآن ، فكل من أُجِيز عنده يمكن أن يستمع للطالب ثم يجري الشيخ أبو الحسن الكردي سبراً وامتحاناً في جلسة واحدة ويشاهد على الإجازة مشاهدةً ، ولهذا انتشر حفظ القرآن الكريم بهذه الطريقة بالآلاف ، بينما الجامع المرحوم الشيخ محمد سكر يشترط سماع

ختمة كاملة بنفسه ، ولعله ولأول مرة تجاوز عدد المجازات في القرآن الكريم الآلاف أضعاف مضاعفة عن الذكور ، وعدد الجامعات للقراءات بالمئات .

لقد قامت المرأة السورية بدور مميز في الدعوة الإسلامية ، فاقت الكثير من الرجال ، مبتعدة عن السياسة والخلافيات ، ومركزة على الوحدة الإسلامية ، والجانب التربوي الروحي في الإسلام مع عدم إهمال الجانب العلمي ، وساعد الحاجة منيرة في دعوتها داعيات انتشرن في مساجد سورية ، وبالخصوص في دمشق ولبنان أمثال الآنسة : (أميرة جبريل ، وخير جحا ، ومنى قويدر ، ونهيدة طرقجي ، وفائزة الطباع ، وفاطمة الخباز ، ونبيلة الكزبري ، ورجاء تسابحجي ، والدكتورة سميرة الزايد التي ألفت موسوعة (الجامع في السيرة النبوية) في عشرة أجزاء ، وطبع طبعته الأولى في عام ١٩٩٤م ، وقدم مقدمة لهذا الجامع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، والذي أثنى عليها قائلاً : (هو جهد سبقت فيه بحمد الله الرجال في هذا العصر)[١] ، واختصرته بكتاب (مختصر الجامع) في جزأين ، وكذلك الآنسة سمر العشا التي ألفت موسوعة (البسط في القراءات العشر) من بستة أجزاء من القطع الكبير ، وقد قرّظ لهذه الموسوعة الشيخ محي الدين الكردي ، وذكر : (لم يسبق له مثيل) ، وقرظ أيضاً هذه الموسوعة الشيخ محمد كريم راجح شيخ قراء ديار الشام ، وقال : (هذا دليل من دلائل النهضة المباركة الفكرية الواسعة للمرأة المسلمة اليوم ، ولا سيما في ديار الشام المباركة ، هذه النهضة التي تعيد إلى الوعي ما كان عليه نساء الصحابة والتابعين وتابعيهم في القرون الأولى ، إيماناً وعقيدةً ، وفكراً نيراً ، وفهماً قرآنياً رفيعاً ، وعلماً وعملاً بناءً . . . وربما فاقت الرجال فيما يعود على العالم الإسلامي بالنفع الجم)[٢] ، وقرظ لهذه الموسوعة الدكتور أيمن رشدي سويد[٣] ، ومن جملة ما قال : (والحق أقول : لقد أتت الأستاذة الفاضلة في هذا

---

(١) **الجامع في السيرة النبوية ، سميرة الزايد** ، (المطبعة العلمية ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١ م) .

(٢) **البسط في القراءات العشر** ، سمر العشا ، (دار البشائر ، دمشق ، ٢٠٠٤م) ص (٧) .

(٣) هو الشيخ أيمن بن رشدي سويد بن الشيخ محمد أمين سويد ، ولد في دمشق سنة ١٩٥٥م ، درس في معهد الفرقان ، والتحق بالأزهر قسم اللغة العربية وتخرج منه سنة ١٩٨٢م ، وهو حاصل على شهادة البكلوريس في الهندسة الكهربائية من جامعة دمشق ، وفي مصر حصل على إجازة التجويد من معهد القراءات في القاهرة ، ونال شهادة الماجستير من جامعة أم القرى ، ثم الدكتوراه سنة ١٤١٩هـ ، قام بتدريس القرآن الكريم والقراءات في مدينة جدة واستفاد منه خلق كثير ، شيوخه في القرآن الكريم الشيخ أبو الحسن الكردي ، والشيخ محمد طه سكر والشيخ عبد العزيز عيون السود ، والشيخ أحمد عبد العزيز الزيات المصري ، وعدد كبير من مشايخ القراء في مصر والشام ، وسنده في حفظ القرآن الكريم من أعلى الأسانيد=

الكتاب بمالم تُسبق إليه فيما نعلم مع تطاول العصور والأزمنة)[١] ، وقرّظ الدكتور نور الدين العتر[٢] قائلاً : (. . . هذا العمل الضخم جزء من مهام المرأة المسلمة في تنمية الحضارة. . . توفقت كثيرات منهن ليكنَّ جامعات للقراءات ، وليكنَّ فقيهات متخصصات ، وليكنَّ محدِّثات حافظات. . . إن هذا العمل الكبير في خدمة هذا العلم الجليل يشق الصفوف ويتقدم العالم يدعو المرأة لأن تعي حقيقة نفسها وتكريمها ، وذلك بتقوى الله ربها ، واعتصامها بحبل الله المتين ودينه القويم)[٣] .

ويعتبرنَ الأسرة قصَّرت في تربية الجيل المسلم ، وإن أساس نجاح المجتمع تربية النشء تربية أخلاقية ، فهنَّ يركزن على الأطفال ، بل يعتبرنَ كل متعلمة منهن مهما عَلَت منزلتها وارتفع علمها ومكانتها يجب أن تعلِّم عدداً من الأطفال الصغار القرآن الكريم وأخلاقه ، فنجد الطبيبة والمحامية يذهبن إلى الأطفال في بيوتهم ليعلمنَهم القرآن الكريم والأخلاق ، بدون أجر ، بل يقدِّمن لهم الهدايا المشجعة .

وبما أن عملهن في مجال المرأة ، فقد استطعن جذب الكثير من النساء الملتزمات أو نساء رجال ملتزمين ، وأغلب الجماعات الدينية في سورية وغيرها وجدوا الاعتدال في المنهج فأيدوه ، وأرسلوا نساءهم ودعموا منهجهن إلا الوهابيين ، حيث سبق أن نشرت جريدة الجزيرة تحقيقاً في ثلاثة أعداد منها يكفرونهن ويفسقونهن .

وفي فترة الخمسينات والستينات كانت الدعوة الدينية يتزعمها في الغالب الإخوان المسلمون في العالم العربي ، فلما ظهرت دعوة كفتارو وتلميذته منيرة القبيسي في منتصف الستينات في سورية بدأت تستقطب النساء ، فكانت بعضهن زوجات لأولئك ، وخاصة في دول الخليج التي لا تزال جماعة الإخوان المسلمين تتزعَّم هذه الدعوات ، فاستطاعت

= في العالم ، وله الكثير من المؤلفات في علوم القرآن الكريم من تجويد وقراءات ، ومشارك في الكثير من البرامج الإذاعية والتلفزيونية ، والكثير من التسجيلات الصوتية ، ولا يزال يقرىء القرآن والقراءات ، حفظه الله وأمد في عمره .

(١) البسط في القراءات العشر ، سمر العشا ، ص (٩) .

(٢) فقيه حنفي ، وأحد كبار محدثي بلاد الشام أخذ العلم عن خاله الشيخ محمد نجيب سراج الدين ، والشيخ زاهد الكوثري ، مدرس في عدد من الجامعات والكليات ، وأهمها كلية الشريعة في دمشق ، وله أكثر من ستين مؤلفاً في علوم الحديث والفقه ، ومن أشهرها منهج النقد في علوم الحديث ، معجم المصطلحات الحديثية ، أصول الجرح والتعديل وغيرها .

(٣) البسط في القراءات العشر ، سمر العشا ، ص (٩) .

أن توجد استقلالية عن هذه الدعوات ، وتجنِّب دعوتها سلبيات الإخوان وهو العمل في السياسة ، وعاداها الكثير من الوهابيين والإخوان المتعصبين ، ولقد ضُيِّق عليها قبل الحركة التصحيحية فسافرت إلى السعودية ، وتوسطَّ لها الشيخ كفتارو لدى الرئيس الراحل حافظ الأسد ، فدخلت إلى سورية معززة مكرمة ، برعاية كفتارو والرئيس حافظ الأسد ، وبعد ذلك بدأت دعوتها في المساجد إلى جانب البيوت ومدارس الروضات الخاصة .

ولما توظفنَ عند الدولة أخلصنَ لعملهنَّ فبرعنَ به ، وعُهدت إلى الكثير منهنَّ مراكز هامة ، نتيجة إخلاصهنّ والتزامهنّ بالدوام ، وعدم قبول الرشاوى وغير ذلك .

ولما افتتحت المدارس الشرعية للإناث في جميع المحافظات السورية بعد سنة ١٩٨٤م ومعاهد تحفيظ القرآن الكريم ، لاقت إقبالاً من الجماهير المسلمة ، لأسباب تربوية وأخلاقية وتعليمية ، ولما كانت هذه المدارس بحاجة إلى كادر تربوي أخلاقي يتماشى مع المنهج الإسلامي الشرعي ، وبعد التجربة ، كانت نساء هذه الدعوة من أفضل من يوكَل إليها هذه التربية ، فاسُتعين بالكثير منهنَّ في هذه المدارس والمعاهد ، كما استطاعت هذه الدعوة تغيير بعض العادات الجاهلية في الحفلات والأعراس ، فالتزمنَ بحجابهنَّ من دون المكياج والزينة التي كانت عبئاً على المرأة المدعوَّة لهذه الحفلات ، كما أن هذه الدعوة جعلت زينة المرأة أخلاقها وعملها ، فلا تبرُّج لديهنّ ، ولا تشذيب للحاجب ووضع المساحيق على الوجه أو الخروج من بيتها متعطرة ، وأغلبهن لا يسترنَ الوجه .

إن هذه الدعوة لم تعد قاصرة على سورية والدول العربية فحسب ، بل باتت تدقّ أبواب أوربا ، وتصل إلى الولايات المتحدة الأميركية ، فكل امرأة قبيسية انتقلت إلى أماكن العالم المتفرقة ، نقلت هذه التجربة معها ، منهجاً وسلوكاً ولباساً ، ويتفاجأ الرجال بقوة إيمان هذه الدعوة وبغزارة ثقافتها ، مما جعل بعض الرجال يؤيدها ، وبعضهم يستفسر عنها وبعضهم يعاديها ويتَّهمها باتهامات باطلة دون تحرٍ للحقيقة ، ويكيل لها كأعداء الإسلام والمسلمين ، لأنهم وجدوا في هذه الحركة قوة للمسلمين وسداً منيعاً في وجه التحلل والسفور ، وجعل المرأة سلعة وهوىً للرجال واستعلاء الذكورية وتسلُّطها على النساء ، وأنها فشَّلت مخططات حكماء صهيون وأفعالهم ، فقام الأعداء والمغرضون بعداوة هذه الدعوة ونشرْ الإشاعات عليها ومحاربتها بالإعلام وغيره .

خامساً : داعيات مباركات في دمشق :

ظهرت عدة داعيات في غير جامع أبي النور ، وكان لهن تأثير واضح ومميز ، فظهرت في مجمع الفتح الإسلامي بدمشق ابنتا المرحوم صالح الفرفور الأستاذة فاطمة والأستاذة لطيفة وأشرفتا على القسم النسائي في الثانوية الشرعية والقسم التخصصي في مجمع الفتح ، وكذلك ظهرت في الميدان المرحومة الجامعة الحافظة الدكتورة روضة الحصري[١] التي درَّست في ثانويات دمشق وفي الثانويات الشرعية وفي معهد الفتح الشرعي ، وأجازت المئات في رواية حفص ، والعشرات جمعن القراءات العشر عليها .

سادساً : أسباب نجاح الدعوة النسائية في سورية :

في العقد الأخير من القرن الماضي ، ومنذ عام ١٩٩٠م كانت معاهد الأسد منتشرة في سورية ، والثانويات الشرعية ، ومجمَّعين هامَّين للدعوة والتعليم ، مجمع كفتارو ومجمع الفتح ، وقد أجيز للتدريس في دمشق لوحدها أكثر من مئة وخمسين مدرّسة في المساجد ، وإذا أضيف لهذا العدد المجازات في المحافظات لبلغ عددهنّ المئات ، ولقد تخرّج الآلاف من الداعيات من هذه المجمعات الإسلامية ، فهناك نهضة مباركة في سورية للإناث ، وبدأت تنتشر خارج دمشق بل خارج سورية .

وتدين هذه النهضة لداعيات صادقات عالمات عرفنَ عصرهنّ ، وتدين أيضاً لعلماء ربانيين أدركوا أنه يجب إعطاء المرأة حقها ، فإن تأخر المجتمع الإسلامي والضعف والخور والهزيمة والاستسلام والفرقة هو بسبب نتائج طبيعية لأسباب عديدة من أبرزها ظلم المرأة وجهلها وتكبيل حريتها ، وتحريم مشاركتها في شؤون المجتمع ، وإلغاء دورها الأساسي الفاعل في المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية حاضراً ومستقبلاً . . .

وتدين هذه النهضة الدعوية إلى موسرين خصصوا بعضاً من أموالهم في دعم هذه الدعوات ، وفتحوا أبواباً للخير ، فبنوا المدارس الشرعية ، ودعموا المؤسسات العلمية ، وأنشؤوا الجمعيات الخيرية . . .

وتدين هذه النهضة الدعوية إلى دعم الحاكم وتأييده والسماح لانتشار هذه الدعوات الخيرية ، ففي العديد من الدول الإسلامية أغلقوا الثانويات الشرعية ، وقلصوا ساعات

---

(١) قرأت على الشيخ حسين خطاب مشافهة ، فأجازها بعلم القرآن والقراءات ، ومن مشايخها الشيخ مصطفى الخن ، وألفت بعض الكتب ، توفيت في أيلول سنة ٢٠٠٥م .

تدريس العلوم الشرعية في المدارس ، ومنعوا تدريس الإناث في المساجد ، وغير ذلك الكثير الكثير ، بينما في سورية ، فتحت المئات من معاهد تحفيظ القرآن الكريم للإناث ، وفتحت الثانويات الشرعية في جميع المحافظات بالعشرات ، وسمح للإناث بالتدريس في المساجد وغيْرها الكثير ولا تزال إلى اليوم .

وأخيراً : يجب على المسلمة أن ترجع حقها المسلوب ، ومكانتها التي أعطاها اللهُ لها ، ولا يمكن نجاح المجتمع الإسلامي إلا بركيزتيه الرجالُ والنساء ، وكما يجب أن تفسح لها مكاناً لسماع خطب الجمعة والأعياد ، ولممارسة نشاطها الديني في بيوت الله . . .

فنجاح الدعوات يحتاج إلى دعاة صادقين يعرفون زمانهم ، وإلى علماء ربانيين يرشدونهم وإلى موسرين يدعمونهم ، وإلى حكام يتبنونهم ، وقبل هذا وبعده إلى توفيق من الله وفتح من عنده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٣٥] .

* * *



الخاتمة

بفضل الله وعونه تمَّ الانتهاء من كتاب المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة ، وقد حوى على مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث ثم خاتمة وفهارس .

التمهيد : وفيه تعريفات لمفردات العنوان (فالمنهج) هو الطريق الواضح والخطة المرسومة ، والقواعد المصوغة للوصول إلى الحقيقة ، (والدعوي) وهي دعوة الإسلام ، والمنهج الدعوي هي أن يتمثل الداعية خصائص الإسلام ، ويتخلق بها ، إيماناً وفكراً وعملاً ، ثم يقوم بعرضها على الناس ، والدعوة إليها بحكمة ودراية تامة بأسلوب يناسب حال المدعوين بالحكمة والموعظة الحسنة (والمسلمة المعاصرة) هي المسلمة المكلفة في هذا العصر التي ارتضت الإسلام ديناً ، والقرآن دستوراً ، ومحمداً نبياً ، فالتزمت بأحكامه وتخلقت بأخلاقه، ثم قامت لتبلغ دعوة الله ، وتأخذ دورها كما أمر الله .

المبحث الأول : تحدَّث عن المرأة قبل الإسلام في القصص القرآني ، فتحدث في المطلب الأول عن حواء وخلقها وسكناها مع آدم ، في الجنة ثم وسوسة الشيطان لهما ، فأزلهما الشيطان عن الجنة وأهبطهما الله إلى الأرض ، ثم ندمهما وتوبتهما ، فالمسؤولية مشتركة بين آدم وحواء .

كما ركز هذا المبحث على أهمية الزواج ، حيث لم تذكر حواء بالاسم ، بل ذكرت بكلمة « زوج » ، والزواج سنة من سنن الفطرة ، وهو آية كونية وإنسانية وسنة نبوية ، وأن الشيطان هو عدو الإنسان الأول ، وتحدث المبحث عن قتل قابيل أخاه هابيل من أجل أن يتزوج أخت توأم أخيه .

وأشار المبحث إلى صورة آدم وحواء في العهد القديم والجديد وما فيهما من تضارب وتناقضات وتحريفات ، وخاصة عندما ألقوا المسؤولية على حواء ، وليس فيهما أية إشارة لتوبة آدم وحواء، فالمرأة في اليهودية والنصرانية شيطان ، وهي حية ، وهي سبب البلايا .

ثم تحدث المطلب الثاني عن امرأة نوح التي ظلت على كفرها ، فلم ينفعها زواجها من نبي الله نوح فاستحقت مع ولده النار لكفرهما ، فلا رابطة إلا رابطة العقيدة والإيمان ، ثم

جاء الحديث في المطلب الثالث عن سارة وهاجر امرأتي سيدنا إبراهيم وبشارة الله لسارة العجوز العقيم ولسيدنا إبراهيم بولادة إسحاق ، وجاء الحديث عن هاجر وابنها إسماعيل وكيف خرج بهما إلى البلد الحرام وتركهما هناك ، وكيف كانت هاجر نموذجاً طيباً ومثلاً رائعاً للمرأة المؤمنة الواثقة بوعد الله ، ثم كان الحديث في المطلب الرابع عن قصة رؤيا إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل وكيف فداه الله بذبح عظيم ، ثم جاء الحديث عن امرأة لوط وابنتيه اللاتي لم يؤمنَّ بلوط ، وكيف نزل العذاب بقومه حتى امرأته ، فشملها العذاب ، وجاء الحديث عن انحراف الشهوة عن مهمتها في الزواج أو السكينة والمحافظة على النسل ، ومن هذا الانحراف اللواط والسحاق ويلحق بذلك إتيان المرأة في دبرها وإتيانها في حيضها وتحريم ذلك ، ثم جاء الحديث عن تشويه العهد القديم لقصة لوط ، ومن أفسد ما ذكر في قصة لوط التي ذكرها العهد القديم ، أن لوطاً عليه السلام فعل الفاحشة بابنتيه ، فكان نسل المؤابين والعمونين إلى اليوم ، ثم جاء الحديث في المطلب الخامس عن قصة امرأة العزيز ويوسف عليه السلام ، وكيف راودته امرأة العزيز ، حين فتنت بجماله ، واختار السجن على المعصية ، حتى أظهر الله براءته وعصمته ، بينما العهد القديم فيه اتهام ليوسف عليه السلام وطعن بعفته .

ثم جاء الحديث في المطلب السادس عن المرأة في قصة أيوب عليه السلام ، حيث صبرت على مرض سيدنا أيوب ، وقد حلف أن يضرب زوجته مئة ضربة إن شفاه الله ، ويقال لتأخرها عنه ، فأمره الله أن يضربها بحزمة من العيدان الرهيفة فيها مئة عود ضربة واحدة ، ليبرَّ بقسمه ، لأن زوجته كانت صالحة ، واستفيد من هذه القصة جواز الضرب عند النشوز بشروط ، ثم جاء الحديث في المطلب السابع عن المرأة في قصة موسى عليه السلام ، وتظهر مكانة المرأة فيها ، والعنصر الرئيسي في القصة المرأة الصالحة ، أم ، أخت ، زوجة ، وزوجة فرعون ، واحتلت المرأة في قصة موسى مكاناً كبيراً ، فجاء الحديث عن أم موسى ، وكيف خافت على ابنها موسى فألقته في اليم ، ثم أخذه فرعون ، ثم عادت إليه لترضعه ، ويتربى في بيت فرعون ، الذي كانت زوجته آسية بنت مزاحم مؤمنة موحدة ، وضرب الله بها مثلاً . . . ثم جاء الحديث عن أخت موسى ، ثم عن الفتاتين الصالحتين ابنتي شعيب ، ويذكر القرآن الكريم قصتهما مع موسى ، وزواج إحداهما بموسى ، واستُنتج من القصة عدة فوائد ، ثم جاء الحديث في المطلب الثامن عن بلقيس ملكة سبأ مع سيدنا سليمان ، ويخبر الهدهد بنبئها سيدنا سليمان ، ثم تأتي إلى

سليمان ، ويذكر قصة عرشها والصرح . . . ويُستفاد من القصة التأكيد على الشورى في الحكم والاستفتاء ، وتولي المرأة الولاية العامة أو القضاء وحكم تعدد الزوجات ، ثم جاء الحديث في المطلب التاسع عن قصة مريم عليها السلام في القرآن الكريم ، وسميت سورة باسمها وسورة باسم عائلتها ، وذكر عن صلاح عائلتها آل عمران وكفالة زكريا لها ، وذكر عن صلاحها واصطفائها ، وولادة سيدنا عيسى من غير أب ومعجزاته ، وكرامات أمه .

المبحث الثاني : المرأة بعد الإسلام في القصص القرآني ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : قصة السيدة عائشة وحادثة الإفك ، وفُصِّلَ في القصة ، وذكر تعرض الأنبياء إلى الابتلاءات والامتحانات ، ومنهم رسول الله محمد ﷺ في حديث الإفك وانسياق بعض الصحابة لإشاعة المنافقين ، وتأخر الوحي عن رسول الله ﷺ ، ثم تبرئة عائشة بآيات تتلى إلى يوم القيامة ، ثم إقامة حد القذف على مَن قذف عائشة . . .

المطلب الثاني : قصة زينب بنت جحش وما نزل فيها من القرآن ، حيث كانت هناك العديد من الفوائد والحكم مثل تحقيق المساواة بين البشر ، فتزوج زيد من زينب ذات الحسب والنسب ، وفيها تهديم لعادة من عادات الجاهلية ، وهي التبني ، حيث كان رسول الله ﷺ قد تبنى زيداً ، وصار زيد يدعى زيد بن محمد ، وكان النبي ﷺ قد تزوج من زينب بأمر إلهي ، وكان زواج النبي ﷺ من عدد من النساء له مقاصد كريمة ، وحكم بالغة ، وللأسف هناك روايات إسرائيلية حملت الكثير من الأعداء والجاهلين لينسجوا قصصاً كاذبة وخيالية وغرامية حول ذلك الزواج .

المطلب الثالث : خولة بنت ثعلبة وما نزل فيها من القرآن في سورة المجادلة ، فقد قال زوجها أوس لها : أنت عليَّ كظهر أمي ، وكان يسمى هذا بالظهار كالطلاق ، فأتت رسول الله تشتكي وتجادل ، فأنزل الله سورة المجادلة ، واستمع الله لمجادلتها ، وسطر ذلك القرآن الكريم بآيات تتلى إلى يوم القيامة .

المطلب الرابع : قصة أم جميل امرأة أبي لهب ، وهي تمثل المرأة السيئة التي وقفت في وجه الدعوة .

المبحث الثالث : تحدث عن القرآن والمرأة ، فاستعرض ذكر المرأة من قصص وأحكام وذكر في سور القرآن ، وما ورد في المبحثين السابقين من قصص حول المرأة التي وردت في القرآن أشير إليها واكتفيَ بذلك ، فهناك سور سميت باسم الإناث إعلاءً لشأنهن كسورة آل عمران وسورة مريم وسورة المجادلة ، وهناك سور خصصت لأحكام المرأة

كسورة النساء ، وسورة المؤمنون وسورة النور وسورة الطلاق وسورة الممتحنة ، وهناك سور فيها قصص للإناث وأحكامهن. . .

ففي سورة البقرة الكثير من الآيات التي تتحدث عن المرأة ، عن حواء زوجة آدم ، وقصتها في الجنة ، ووسوسة الشيطان لهما ، وفي السورة الحديث عن القصاص الذي يشمل الذكر والأنثى ، وأحكام شرعية عن علاقة الرجل بزوجته أثناء الصيام ، وأشارت إلى أهمية المرأة وقيمتها ومكانتها ، وإلى أحكام فقهية للصائمين من أجل المباشرة بين الأزواج والزوجات ، والأكل ، والحيض ، والإيلاء ، وعدة المطلقات ، وقواعد للطلاق والتسريح ، وأحكام تتعلق بالرضاع ، والعدة ، وكثير من الأحكام التي تتعلق بالمرأة ، ثم جاء الحديث عن سورة آل عمران ، وفيها قصة مريم عليها السلام وكراماتها ، وسيدنا زكريا عليه السلام ، وسيدنا عيسى عليه السلام ، وفيها آية تشير فيها للمساواة بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب ، وأن الجنسين متساويان لا تفاضل بينهما ولا يتميزان إلا بالعمل الصالح ، ثم جاء الحديث عن سورة النساء ، وذُكر أن الذكر والأنثى من نفس واحدة وفطرة واحدة ، وجاءت أحكام تتعلق بالأيتام وتعدد الزوجات ، وحق المرأة في المهر والإرث ، وأحكام عديدة تتصل بالمرأة من إرث وقوامة وغير ذلك ، ثم جاء الحديث عن سورة المائدة ، وجاء الحديث عن المحصنات العفيفات ، والمساواة بين الذكر والأنثى ، والعفو في حد السرقة ، وذكر للمسيح عدة مرات بأنه ابن مريم تعظيماً لها وتشريفاً ، ثم جاء الحديث عن سورة الأعراف ، وفيها قصة آدم وحواء وسكنهما في الجنة ، واشتراكهما بالمعصية ثم التوبة ، وعن حمل حواء ووصفها ، ثم الحديث عن قوم لوط وهلاكهم .

ثم جاء الحديث عن سورة التوبة والتي تحدثت عن المنافقين والمنافقات وعن المؤمنين والمؤمنات وصفات كل منهم ، ثم جاء الحديث عن سورة هود ، وفيها بشارة الملائكة لامرأة سيدنا إبراهيم عليه السلام سارة بإسحاق ، ثم الحديث عن قوم لوط وهلاكهم ، ثم جاء الحديث عن سورة يوسف ، وفيها الحديث مطولاً عن سيدنا يوسف ، وبالتفصيل ، وكيف تعرض لإغواء امرأة عزيز مصر ، ثم جاء الحديث عن سورة الرعد ، وفيها الحديث عن مكانة المرأة وصفات المؤمنين ، ولا فرق في الجزاء بين الرجال والنساء ، فكل حسب عمله ، ثم يرد على المشركين الذين يستنكرون على الرسول ﷺ تزوجه بالنساء ، ثم يأتي الحديث عن سورة إبراهيم ، وفيها قصة سيدنا إبراهيم وهاجر ، وابنها إسماعيل ، وتركهما بوادٍ غير ذي زرع ، ثم يأتي الحديث عن سورة الحجر ، وفيها

قصة هلاك قوم لوط وامرأته ، ثم يأتي الحديث عن سورة النحل ، وفيها هدم لعادة من عادات الجاهلية السيئة ، وهو التشاؤم من الأنثى ، وأنه لا فرق بين الذكر والأنثى ، وفي سورة الإسراء الوصية بالوالدين ، والنهي عن قتل الأولاد ، وعن الزنى ، وفي سورة مريم ، قصة مريم منذ كانت تحت رعاية خالها زكريا عليه السلام ، حتى ولادة السيد المسيح ، ومعجزة الله لولادته من غير أب ، وفي سورة طه ، تحدثت الآيات عن قصة موسى لما رأى ناراً ، ثم تتحدث عن أم موسى ، وقصة فرعون ، وكيف قذفته باليم ، فيظهر في القصة دور الأم الصالحة والبنت الصالحة ، وتذكر قصة حواء وآدم ، فاشتركا في المعصية ثم التوبة ، وفي آخر السورة وصايا للرسول ﷺ ولجميع المسلمين ، وفي سورة المؤمنون ، التركيز على أن المقصود بالمؤمنين هم الذكور والإناث ولا فرق بينهم إلا بالعمل الصالح ، وفي سورة النور غالبية الآيات تتحدث عن أحكام تتعلق بالنساء وأحكام مشتركة بين الرجل والمرأة ، ثم جاء الحديث عن سورة الفرقان ، وفيها أن الذكور والإناث خلقوا من أصل واحد ، وختمت السورة بصفات عباد الرحمن ، ثم جاء الحديث عن سورة النمل ، وفي مطلعها الحديث عن سيدنا موسى لأهله ، ثم قصة سليمان عليه السلام حين أتى مع جنوده إلى وادي النمل ، وسمع حديثاً لنملة ، وعن قصة الهدهد الذي جاء بخبر بلقيس ، ومجيء بلقيس وإسلامها وقومها ، ثم جاء الحديث عن قوم لوط وفاحشتهم ، ثم جاء الحديث في سورة القصص ، عن قصة موسى وفرعون ، ويبرز فيها دور أم موسى ، وزوجة فرعون ، وأخت موسى ، ثم عن قصة موسى في شبابه ، ثم زواجه من ابنة شعيب بعدما سقى لهم مواشيهم ، ثم ذهابه إلى طور سيناء ، وهناك كلمه الله ، ثم جاء الحديث في سورة العنكبوت بالوصية للوالدين وقصة هلاك قوم لوط وزوجته ، ثم جاء الحديث في سورة الروم ، أن أصل البشرية واحد ، وفي سورة لقمان الوصية بالوالدين وخاصة الأم ، وفي سورة الأحزاب أحكام كثيرة تتعلق بالنساء منها موضوع الظهار وإبطال عادة التبني ومضاعفة العذاب لنساء النبي ﷺ إن أتين بعمل غير صالح ، وثم عن توجيهات لأزواج النبي ﷺ وأحكام تتعلق بالمطلقة ، وعن لباس المرأة وحجابها ، وعن المساواة بين الرجل والمرأة في العقاب والثواب ، وفي سورة ص التركيز على قصة سيدنا أيوب مع أهله ، وفي سورة الزمر التأكيد على أن البشرية خلقت من أصل واحد ومن نفس واحدة ، ثم الحديث عن مراحل الخلق ، وفي سورة غافر التأكيد على المساواة بين الرجل والمرأة بدعاء الملائكة ، وفي سورة الشورى ، أن الله هو الذي يقدر الذكور والإناث للرجل ، وفي سورة محمد ، توجه إلى الرسول ﷺ أن يستغفر للمؤمنين

من ضلع أعوج » ، وأحاديث منسوبة للنبي ﷺ وهي موضوعة أو ضعيفة وأقوال لا سند لها ، ثم كانت المقارنة بين المرأة في الإسلام والمرأة في اليهودية والنصرانية ، ثم جاء الحديث عن شبهات تثار حول المرأة من أعداء الإسلام مثل ميراثها ، وشبهة تعدد الزوجات ، وموضوع الطلاق والقوامة والحجاب وحرية المرأة وتأديب المرأة عند نشوزها ، وشهادة المرأة .

المبحث السابع : وتحدث المبحث السابع عن صور من دور المرأة المسلمة في التاريخ الإسلامي بدءاً من زمن رسول ﷺ ، فتحدث المطلب الأول عن النساء المؤثرات والحاكمات ، وذكر هذا المطلب العديد من النساء اللاتي كان لهن التأثير والنفوذ وتسيير الأمور عن طريق زوجها الحاكم أو ابنها أو سيدها ، فهذا الشكل لا يحصى ، وقد كثر في الدولة العباسية خاصة بشكل كبير . . .

ويذكر التاريخ الإسلامي أن هناك أكثر من خمسين امرأة حكمن الأقطار الإسلامية على مرِّ التاريخ الإسلامي . . . منهن ست الملك ملكة الفاطميين (ولدت ٣٥٩هـ) والملكة أروى ملكة صنعاء (٤٤٠ـ٥٣٢هـ) وتركان خاتون ، ورضية بنت التمش سلطانة الهند (ت ٦٣٧هـ) وشجرة الدر ملكة مصر والشام (ت ٦٥٥هـ) والسلطانة خديجة سلطانة الهند (ت ٧٧٠ هـ) .

وتحدث المطلب الثاني عن النساء القاضيات مثل ثمل القهرمانة القاضية (ت ٣١٧ هـ) ، وتركان خاتون السلطان .

وتحدث المطلب الثالث عن بعض النساء المجاهدات والقائدات للجيوش ، وبدأ ذلك مع بداية الإسلام ، سمية زوج ياسر ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ودورها في هجرة النبي ﷺ ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم حرام بنت ملحان ، وأم الحارث الأنصارية ، والربيع بنت معوذ وعفراء ، وأم سنان الأسلمية ، وأم سليط ليلى الغفارية ، وكعيبة بنت سعيد الأسلمية ، وحمنة بنت جحش ، ورفيدة الأنصارية ، وأم زياد الأشجعية وغيرهن الكثير الذي لا يحصى .

ولقد شهدت غزوات الرسول من أحد وما بعدها حضوراً للنساء المجاهدات ، ومن ثم في عهد الخلفاء الأربعة ، وذكر في هذا المطلب بعضاً من النساء اللاتي ذكرهن التاريخ .

وتحدث المطلب الرابع عن بعض النساء المفتيات والعالمات وأنهن بالآلاف ، وتفوقت المرأة المسلمة في علم الحديث ومعرفة رواته على الرجل ، وذكر مقتطفات من

تاريخ نفيسة وكريمة راوية البخاري ، وأمة الواحد ، وشهدة الإبري ، وزين العرب بنت عبد الرحمن ، ودهماء بنت يحيى ، وفاطمة بنت أحمد ، وأسماء المروانية ، وزاهدة الطاهري ، وزينب الجرجانية .

وتحدث المطلب الخامس عن بعض نساء تولين الحسبة ، مثل سمراء بنت نهيك .

وتحدث المطلب السادس عن بعض الكتب التي حفظت نشاط المرأة وتراثها الفكري والأدبي .

وتحدث المطلب السابع عن بعض إسهام المرأة في العمارة في دمشق وخاصة المدارس والترب والرباطات والخوانق (بيوت الصوفية) والأبنية الاجتماعية كالخانات والفنادق ، ففي أقل من قرن واحد (٥٧١هـ /٦٥٨هـ) قد بنت النساء المسلمات في دمشق وحدها خمس عشرة مدرسة وستة رباطات وثلاث خوانق ، وحمامين وفندقاً ، وهذا دليل على الدور الفعال الذي لعبته المرأة المسلمة إلى جانب الآلاف منهن من تتلمذن على مشايخ عصرهن أو تتلمذ عليهن شيوخ وأساتذة .

وتحدث المطلب الثامن عن بعض جهود المرأة المسلمة في نشر الدعوة الإسلامية ، منذ بعثة النبي ﷺ وإلى اليوم ، وذكرت مقتطفات من أقوال سير توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام والذي يثبت دور المسلمة في نشر الإسلام .

المبحث الثامن : وتحدث المبحث الثامن عن المنهج الدعوي للمسلمة الداعية المعاصرة ، والذي يتوجّب على المرأة المسلمة في هذا العصر لتقوم بدورها في الدعوة إلى الله ، ويتوجب على الدعاة وضع مناهج دعوية للمرأة تبدأ بإيجاد الوسائل لتحقيق تكامل المرأة المسلمة علماً وتربية ، ثم توجيهها لأخذ مكانتها في الدعوة إلى الله وتبليغ دعوة الله ، وتحدث المطلب الأول عن بعض الملاحظات على بعض المتدينات ، كعزوف بعضهن عن الزواج أو المغالاة في بعض الأمور العبادية بالنسبة للعورة ومقدمات الجماع مع الأزواج ، والجهل بثقافة التعدد عند النساء ، وعدم التفريق بين الحجاب والاحتجاب ، واعتقاد البعض أن صوت المرأة عورة .

وتحدث المطلب الثاني عن إشراقات للعمل الدعوي المعاصر ، حيث تفوقت المرأة على الذكور في حفظ القرآن وجمع قراءاته وحفظن كتب الصحاح وغيرها ، وتخصصت مؤسسات دينية نسائية لتحفيظ القرآن والسنة النبوية وعلومهما ، وفتحت المدارس الشرعية الخاصة بهنَّ والتي زاد عددها على الذكور ، وكذلك معاهد لتحفيظ القرآن ، وظهر العديد

من المؤلفات بأقلامهن ، وأثبتت جدارتها بالتدريس في كل المراحل ، كما أصبحت المرأة تختار زوجها .

وتحدث المطلب الثالث عن معوقات أمام الداعيات ، كعدم فهم فقه الزواج من الداعية أو خطّابها ، وقد تكون هناك معوقات من الأسرة أو المجتمع أو من بعض الأنظمة التي تتبنى الأنظمة الوضعية والتي تخالف الشريعة الإسلامية في الزواج والطلاق والإرث والحجاب .

وتحدث المطلب الرابع عن مجالات المرأة الدعوية ، كالمدارس ، والمساجد ومعاهد تحفيظ القرآن ومناسبات الأفراح والأتراح والنزهات والرحلات ، وأفواج الحج والعمرة ، والعبادات الجماعية في المساجد أو البيوت ، ونجحت المرأة في التمريض والطبابة والتدريس والتعليم والكتابة والتأليف ، وظهرت في الإعلام وظهر دورها في الفن الملتزم ، كما ظهر دورها في الاقتصاد والتنمية ، وظهرت جمعيات اجتماعية طوعية للنساء أو شاركن في بعضها مع الرجال .

وتحدث المطلب الخامس عن المنهج الدعوي للمرأة المسلمة ، وأنه لابد من التركيز على أربعة مناهج ، على المنهج التعليمي ، والمنهج التربوي ، والمنهج التخطيطي والتنظيمي ، والمنهج التدريبي والامتحاني .

وتحدث المطلب السادس عن نماذج من الأسلوب الدعوي للمسلمة المعاصرة كدعوة الشيخ أحمد كفتارو والدعوة النسائية في سورية ، وممن تتلمذ على يديه كالداعية السيدة درية الخرفان ثم السيدة منيرة قبيسي ، كما ظهرت عدة داعيات مباركات في دمشق ، وذكر في آخر هذا المطلب أسباب نجاح الدعوة النسائية في سورية ، وذلك بفضل انتشار معاهد تحفيظ القرآن والمدارس الشرعية وعن وجود داعيات صادقات مخلصات ، وعن موسرين خصصوا بعضاً من أموالهم في دعم هذه الدعوات ، كما تدين هذه النهضة الدعوية في سورية لتأييد الحكم لها وقبوله لها .

وأخيراً : فقد تم بفضل الله وعونه الانتهاء من كتاب (المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة) .

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [يونس ١٠/١٠] .

* * *

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصحابي	الراوي	قوة الحديث	الصفحة
لما انقضت عدة زينب . . .	أنس بن مالك	مسلم، أحمد	صحيح	٦٩
لما كان يوم الحديبية . . .	المسور بن مخرمة	البخاري، أحمد	صحيح	١٧٠
لما نزل عذري من السماء . . .	عائشة	أبو داود، الترمذي	صحيح	٦٦
لما نزل قوله تعالى وأنذر . . .	عبد الله بن عباس	البخاري، أحمد	صحيح	٧٣
لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة	أبو بكرة	البخاري، الترمذي	صحيح	١٣٣ـ ١٩٢ـ٢٣٣
اللهم أحيني مسكيناً . . .	أنس	الترمذي، ابن ماجة	صحيح	١٥٥
اللهم رب هذه الدعوة . . .	جابر بن عبد الله	البخاري، أبو داود	صحيح	١٤
لو كنَّ عشراً لزوجتهن عثمان.	أبو هريرة	الطبراني، الهيثمي	فيه عبد الرحمن بن أبي زناد وهو لين وبقية رجاله وثقوا	١٦٤
لو كنت آمراً أحداً أن . . .	معاذ بن جبل	الترمذي، ابن ماجه	حسن صحيح	١٨٩
لولا النساء لعبد الله حقاً	عمر	المتقي الهندي	منكر	١٩٣
ما أبدلني الله خيراً منها . . .	عائشة	أحمد، المتقي الهندي	صحيح وهذا سند حسن بالمتابعات	١١٩
ما أبدلني الله خيراً منها . . .	عائشة	أحمد، الطبراني	صحيح	١٦٢
ما أشكل علينا حديث قط . . .	أبو موسى الأشعري	الترمذي	حسن صحيح	١٤٨
ما رأيت أحداً أكثر شورة . . .	أبو هريرة	الترمذي، ابن حبان	صحيح	١٢٠
ما رأيت امرأة أعلم بطب . . .	عروة	الطبراني، الهيثمي	إسناده حسن	١٦٦
ما رأيت امرأة كانت أعظم . . .	عائشة	أبو داود، أحمد	إسناده حسن	١٥٤
ما شبع آل محمد من طعام.	عائشة	البخاري، مسلم	صحيح	١٥٠
ما ضرب رسول الله امرأة . . .	عائشة	مسلم، أحمد	صحيح	٤٦
ما غرت على نساء النبي . . .	عائشة	مسلم، ابن حبان	صحيح	١١٩
ما غرت على امرأة للنبي . . .	عائشة	البخاري، مسلم	صحيح	١١٩
ما من عبد تصيبه مصيبة . . .	أم سلمة	مسلم، أحمد	صحيح	١٥٣
ما منكن امرأة تقدّم . . .	أبو سعيد الخدري	البخاري، مسلم	صحيح	١٢٦
ما يسرني أن لي أحداً . . .	أبو هريرة	مسلم، أحمد	صحيح	١٥٥
مثل المرأة الصالحة . . .	ـ	الهندي	ضعيف لا أصل له	١٩٦

طرف الحديث	الصحابي	الراوي	قوة الحديث	الصفحة
مثل المرأة الصالحة...	أبو أمامة	الطبراني، الهيثمي	ضعيف	١٩٧
المرأة راعية على مال زوجها...	ابن عمر	البخاري، مسلم	صحيح	٢٣٣
مرحباً رسول الله وأخبر...	أم سلمة	النسائي، أحمد	بعضه صحيح	١٦٩
من سلك طريقاً يطلب به...	أبو هريرة	مسلم، الترمذي	صحيح	١٢٥
من كان له ثلاث بنات...	عقبة بن عامر	ابن ماجه، أحمد	إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي عشانة	١١٥
من كان يؤمن بالله واليوم...	أبو هريرة	البخاري، مسلم	صحيح	٥٦
من كانت له أنثى فلم يئدها...	عائشة	أبو داود، المتقي الهندي	ضعيف	١١٥
من يرد الله به خيراً...	معاوية	البخاري، مسلم	صحيح	١٢٥
النار خلقت للسفهاء...	أبو أمامة	الطبراني، الهيثمي	متروك	١٩٦
نام رسول الله في بيتها...	أنس	البخاري، مسلم	صحيح	٢٢٢
النساء خلقن من ضعف...			متروك لا أصل له	١٩٧
النساء شقائق الرجال	عائشة	أبو داود، الترمذي	صحيح	٥٥ـ ١١١
النساء مصابيح البيوت...		العجلوني	موضوع	١٩٦
نعم النساء نساء الأنصار...	عائشة	البخاري، مسلم	صحيح	١٢٦
هلكت الرجال حين أطاعت النساء	أبو بكرة	الحاكم، الطبراني	ضعيف	١٩٣
والذي نفسي بيده لو أن فاطمة...	عائشة	البخاري، مسلم	صحيح	١٥٩
ولما أراد أن ينصرف...	ابن عباس	البخاري، البيهقي	صحيح	٣١
ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها	أبو هريرة	البخاري، مسلم	صحيح	١٩٤
يا رسول الله أتخذه إذا دنا...	أنس	مسلم، أحمد	صحيح	٢٢٢
يا رسول الله ألا أسمع الله...	أم سلمة	الحاكم، أبو يعلى	صحيح على شرط البخاري	٨٤
يا رسول الله أنا برة...	عائشة	البيهقي	صحيح	١٧٣
يا رسول الله أنت خير لي...	عائشة	النسائي، الطبراني، الهيثمي	رجاله رجال الصحيح	١٤٣
يا عائشة أما إنه قد بلغني...	عائشة	البخاري، مسلم	صحيح	٦٥

* * *

فهرس الأعلام

(* الأعلام المترجم لها)

فهرس المسائل الفقهية

فهرس المصادر والمراجع

١ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ، الإمام أبو السعود ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) .

٢ـ أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩) .

٣ـ الأساليب الحديثة من مواجهة الإسلام ، سعد الدين صالح ، (دار الأرقم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ) .

٤ـ الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله ، تحقيق علي بن محمد البجاوي ، (مصر ، ١٩٦٠م) .

٥ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير عليّ بن محمد ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت) .

٦ـ الأسرة تحت رعاية الإسلام ، الشيخ عطية صقر ، (مؤسسة الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

٧ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الجواد وآخرون ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م) .

٨ـ الأعلاق الحظيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، عز الدين بن شداد (ت : ٦٨٤هـ) ، (قسم دمشق) ، تحقيق : د . سامي الدهان ، (المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ١٩٥٦م) .

٩ـ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م) .

١٠ـ أعلام النساء ، عمر رضا كحالة ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م) .

١١ـ الأعمال الكاملة ، للإمام محمد عبده ، دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢م) .

١٢ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

١٣ـ إمتاع الفضلاء بتراجم القراء ، إلياس بن أحمد البرماوي ، (دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ) .

١٤ـ أمهات المؤمنين وبنات الرسول ، وداد سكاكيني ، (دار الفكر ، دمشق ، ط٤ ، ١٩٦٦م) .

١٥ـ الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب ، (مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، د . ت) .
١٦ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الإمام البيضاوي عبد الله بن عمر ، (دار الجيل ، بيروت ، د . ت) .
١٧ـ البحر الرائق ، زين الدين بن نجيم ، (دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٠م) .
١٨ـ بدائع الصنائع ، علاء الدين الكاساني ، (طبعة الجمالية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٠م) .
١٩ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد القرطبي ، (مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، د . ت) .
٢٠ـ البداية والنهاية ، ابن كثير ، (مكتبة المعارف ، بيروت ، د . ت) .
٢١ـ البداية والنهاية في التاريخ ، ابن كثير ، (مطبعة دار السعادة بمصر ، د . ت) .
٢٢ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد علي الشوكاني ، (مكتبة الحلبي ، القاهرة ، د . ت) .
٢٣ـ بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة : عجاج نويهض ، (دار طلاس ، ١٩٨٩م) .
٢٤ـ بعض أضواء جديدة على ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، كتاب مؤتمر ابن عساكر ، (دمشق ، ١٩٧٩م) .
٢٥ـ بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي .
٢٦ـ تاريخ الإسلام ، د . حسن إبراهيم حسن ، (مصر الجيزة ، ط٧ ، ١٩٦٤م) .
٢٧ـ تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ، محمد بن جرير الطبري ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ) .
٢٨ـ تاريخ بغداد ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت) .
٢٩ـ تاريخ دمشق ، ابن عساكر الحسين بن وهبة (ت : ٤٩٩هـ) ، تحقيق : محي الدين العمروي ، (دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م) .
٣٠ـ تاريخ دمشق (تراجم النساء) ، ابن عساكر علي بن الحسن ، تحقيق : سكينة الشهابي ، (مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٢م) .
٣١ـ التبشير والاستعمار ، د . مصطفى الخالدي ، د . عمر فروخ ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م) .
٣٢ـ تذكرة الموضوعات ، محمد بن طاهر بن علي الهندي الفنتي (ت : ٩٨٦هـ) ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٥م) .

٣٣ـ تحرير المرأة في عصر الرسالة ، عبد الحليم أبو شقة ، (دار القلم للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

٣٤ـ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، (دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، د . ت) .

٣٥ـ تحفة الأحوذي المباركفوري ، (المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٣هـ) .

٣٦ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة) ، محمد بن علي اللواتي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت) .

٣٧ـ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، ابن كثير عماد الدين أبو الفداء ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت) .

٣٨ـ تفسير آيات الأحكام ، د . محمد علي الصابوني ، (مكتبة الغزالي ، دمشق ، ط٣ ، ١٩٨٠م) .

٣٩ـ تفسير صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠١م) .

٤٠ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧م) .

٤١ـ تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ، (دار الصفوة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ) .

٤٢ـ التفسير المنير ، د . وهبة الزحيلي ، (دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١م) .

٤٣ـ التفسير الوجيز ، د . وهبة الزحيلي ، (دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٦هـ) .

٤٤ـ تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوامة ، (دار الرشيد ، دمشق ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

٤٥ـ التكملة لوفيات النقلة ، المنذري عبد العظيم ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤م) .

٤٦ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ) .

٤٧ـ تهذيب الكمال ، يوسف بن الزكي المزي ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

٤٨ـ الثقات ، محمد بن حبان البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، (دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م) .

٤٩ـ ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، يوسف بن عبد الهادي ، (ت : ٩٠٩هـ) ، تحقيق : د . أسعد طلس ، (مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٤٣م) .

٥٠ـ الجامع في السيرة النبوية ، سميرة الزايد ، (دار البشائر ، دمشق ، ٢٠٠٤م) .

٥١ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ) .

٥٢ـ حياة محمد ، محمد حسين هيكل ، (دار النهضة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٧م) .

٥٣ـ خصائص الدعوة الإسلامية ، محمد أمين حسن ، (مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٣م) .

٥٤ـ خطط دمشق ، صلاح الدين المنجد ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٤٩م) .

٥٥ـ الدارس في تاريخ المدارس ، عبد القادر النعيمي (ت : ٩٢٧هـ) ، تحقيق : الأمير جعفر الحسني ، (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٨٨م) .

٥٦ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت) .

٥٧ـ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد عبد الرحيم ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م) .

٥٨ـ الدعوة إلى الإسلام ، أرنولد ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، (مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٠م) .

٥٩ـ الدعوة الإسلامية ، أحمد أحمد علوش ، (دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧م) .

٦٠ـ دعوة الأنبياء الرسل في القرآن الكريم ، د . بسام الصباغ ، (نشر دار الإيمان ، دمشق ، ٢٠٠٢م) .

٦١ـ الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف ومجتمعات عربية معاصرة ، د . بسام الصباغ ، (نشر مكتبة الإيمان ، دمشق ، ط٢ ، ٢٠٠٢م) .

٦٢ـ دلائل النبوة ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م) .

٦٣ـ ذيل على الروضتين ، أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت : ٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م) ، (دار الجيل ، بيروت ، د . ت) .

٦٤ـ رد المحتار إلى الدر المختار ، ابن عابدين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) .

٦٥ـ روضة الطالبين ، يحيى بن شرف الدين النووي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م) .
٦٦ـ الروضتين في أخبار الدولتين ، أبو شامة ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٢٨٧هـ) .
٦٧ـ السبط في القراءات العشر ، سمر العشا ، (دار البشائر ، دمشق ، ٢٠٠٤م) .
٦٨ـ السلسلة الضعيفة ، محمد ناصر الدين الألباني ، (مكتبة المعارف ، الرياض ، د . ت) .
٦٩ـ سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد (ت : ٢٧٣هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) .
٧٠ـ سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) ، مع تعليقات كمال يوسف الحوت ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
٧١ـ سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، (مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٩٩٤م) .
٧٢ـ سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق : محمد شاكر وآخرون ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت) .
٧٣ـ سنن النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، (مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط٢ ، ١٩٨٦م) .
٧٤ـ سنن النسائي الكبرى ، أحمد بن شعيب ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري وآخرون ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م) .
٧٥ـ سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٩ ، ١٩٩٣م) .
٧٦ـ السيرة النبوية ، ابن هشام ، (نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٥م) .
٧٧ـ شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) .
٧٨ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي عبد الحي ، (دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د . ت) .
٧٩ـ شعب الإيمان ، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق : محمد السعيد البسيوني زغلول ، (دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٠هـ) .
٨٠ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

٨١ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م) .

٨٢ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ابن إبراهيم الحنبلي (ت : ٨٧٦هـ) تحقيق : ناظم رشيد ، (وزارة الثقافة ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٨م) .

٨٣ـ الشيخ أحمد كفتارو ومنهجه في التجديد والإصلاح ، د . محمد حبش ، (نشر دار الشيخ أمين كفتارو ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م) .

٨٤ـ الشيخ أمين كفتارو ، د . محمد الحبش ، (دار المحبة ، دمشق ، ١٩٩٩م) .

٨٥ـ صحيح ابن حبان ، معمر بن حبان البستي (ت : ٣٥٤هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ) .

٨٦ـ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تدقيق وترقيم : د . مصطفى البغا ، (دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٩٣م) .

٨٧ـ صحيح مسلم ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تدقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م) .

٨٨ـ ضرب المرأة ، د . عبد الحميد أحمد أبو سلمان ، (دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٢م) .

٨٩ـ الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، تحقيق : إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨م) .

٩٠ـ العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري ، فتحي يكن ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ) .

٩١ـ العرب وحقوق الإنسان ، د . جورج جبور ، (دار المعرفة ، دمشق ، ١٩٩٠م) .

٩٢ـ العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت : ٣٢٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩م) .

٩٣ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، أبو الفرج بن الجوزي ، تحقيق : خليل الميس ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ) .

٩٤ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، (دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، د . ت) .

٩٥ـ فتحي يكن رائد الحركة الإسلامية المعاصرة في لبنان ، د . علي لاغا ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٤م) .

٩٦ـ فتح القدير ، الشوكاني محمد بن علي ، (مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، د . ت) .

٩٧ـ فتوح الشام ، الواقدي أبو عبد الله محمد بن عمر ، تحقيق : هاني الحجاج ، (الناشر عبد الحميد أحمد حنفي ، القاهرة ، د . ت) .
٩٨ـ الفقه الإسلامي وأدلته ، د . وهبة الزحيلي ، (دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٤م) .
٩٩ـ فقه السنة ، سيد سابق ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت) .
١٠٠ـ فقه السيرة ، د . محمد سعيد رمضان البوطي ، (دار الفكر ، دمشق ، ط٧ ، ١٩٧٨م) .
١٠١ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ) .
١٠٢ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ١٩٦٧م) .
١٠٣ـ القاموس المحيط ، الفيروزأبادي ، (مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧١هـ) .
١٠٤ـ القرآن والمرأة ، الشيخ محمود شلتوت ، (دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٠م) .
١٠٥ـ قصتا آدم ويوسف عليهما السلام ، عبد الكريم الخطيب ، (دار الفكر العربي ، ومطبعة المدني في القاهرة ، ١٩٧٤م) .
١٠٦ـ قصص الأنبياء ، ابن كثير ، (دار الأرقم ، بيروت ، د . ت) .
١٠٧ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، شمس الدين محمد بن طولون (ت : ٩٥٣هـ) تحقيق : محمد أحمد دهمان ، (مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٤٩م) .
١٠٨ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، الذهبي ، تحقيق : محمد عوامة ، (دار القبلة للثقافة ، جدة ، ١٩٩٢م) .
١٠٩ـ كبرى اليقينيات الكونية ، د . محمد سعيد رمضان البوطي ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٢م) .
١١٠ـ الكتاب المقدس ويضم العهدين القديم والجديد ، (طبع دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ١٩٨٧م) .
١١١ـ الكشاف ، الزمخشري ، محمود بن عمر ، (دار الريان للتراث ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ) .
١١٢ـ كشف الخفاء ، العجلوني ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨م) .
١١٣ـ كنز العمال ، المتقي الهندي ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩م) .
١١٤ـ لسان العرب ، ابن منظور ، (دار صادر ، بيروت ، د . ت) .

١١٥ـ لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦م) .

١١٦ـ ماذا عن المرأة ، نور الدين العتر ، (مكتبة الهدى ، حلب ، ط١ ، ١٩٧١م) .

١١٧ـ مجمع البيان ، الفضل بن حسن الطبرسي ، (دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ) .

١١٨ـ مجمع الزوائد ، نور الدين الهيثمي ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ) .

١١٩ـ المحلى ، علي بن محمد بن حزم ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) .

١٢٠ـ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧م) .

١٢١ـ مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس ، العلموي ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (مطبوعات مديرية الآثار العامة ، دمشق ، ١٩٤٧م) .

١٢٢ـ مدارس دمشق ودور حديثها وخوانكها وربطها وجوامعها ، أحمد بن زفر الأربلي ، تحقيق : محمد أحمد دهمان ، من كتاب (في رحاب دمشق) ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨١م) .

١٢٣ـ مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، (دار الشروق ، مصر ، ط٦ ، ١٩٩٢م) .

١٢٤ـ مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، (دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، د . ت) .

١٢٥ـ المرأة بين البيت والمجتمع للبهي الخولي ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د . ت) .

١٢٦ـ المرأة بين الشرع والقانون ، محمد مهدي الحجوي ، (مطابع دار الكتاب ، المغرب ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧م) .

١٢٧ـ المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ، د . محمد سعيد رمضان البوطي ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦م) .

١٢٨ـ المرأة في الإسلام ، د . محمد معروف الدواليبي ، (دار المنارة ، جدة ، ط٤ ، ١٩٩٤م) .

١٢٩ـ المرأة في جميع الأديان والعصور ، محمد عبد المقصود ، (مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣م) .

١٣٠ـ المرأة في عالمي العرب والإسلام ، عمر رضا كحالة ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م) .
١٣١ـ المرأة في القرآن والسنة ، محمد عزة دروزة ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٠م) .
١٣٢ـ المرأة في القصص القرآني ، د . محمد الشرقاوي ، (دار الإسلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١م) .
١٣٣ـ المرأة في الميزان ، أمين سلامة ، (دار النشر المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م) .
١٣٤ـ المرأة والدين والأخلاق ، د . نوال السعداوي ، (دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م) .
١٣٥ـ المرأة والشرائع السماوية : إنجيل المرأة ، كارين آرمسترونج ، (مطبوعات ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٩م) .
١٣٦ـ مركز المرأة في الشريعة اليهودية ، محمد عاشور ، (دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، د . ت) .
١٣٧ـ المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م) .
١٣٨ـ مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي أبو يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، (دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٤م) .
١٣٩ـ مسند الإمام أحمد ، (مؤسسة الرسالة القاهرة ، مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤووط ، د . ت) .
١٤٠ـ المصباح المنير ، الفيومي أحمد بن محمد علي ، (المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ت) .
١٤١ـ مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ) .
١٤٢ـ المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة) ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، (مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ) .
١٤٣ـ المطلع على أبواب المقنع ، محمد بن أبي الفتح البعلي ، تحقيق : محمد بشير الأدلبي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م) .
١٤٤ـ المعجم الأوسط ، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد ، تحقيق : طارق بن عوض ، وعبد المحسن الحسيني ، (دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ) .

١٤٥ـ المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد الحميد السلفي ، (مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ١٩٨٣م) .
١٤٦ـ معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩م) .
١٤٧ـ المغني ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٣م) .
١٤٨ـ مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، محمد الشربيني الخطيب ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م) .
١٤٩ـ مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (ت : ٥٠٠هـ) ، تحقيق : صفوان داوودي ، (دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ) .
١٥٠ـ مكانة المرأة ، أحمد عبد الوهاب ، (مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م) .
١٥١ـ منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، عبد القادر بن بدران ، (نشر زهير الشاويش ، دمشق ، ١٩٦٠م) .
١٥٢ـ مناهج البحث العلمي ، عبد الرحمن البدوي ، (دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٨م) .
١٥٣ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن علي الجوزي ، (دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٥٨هـ) .
١٥٤ـ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، محمد بن عبد الرحمن الحطاب ، (دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م) .
١٥٥ـ موسوعة أمهات المؤمنين ، د . عبد الصبور شاهين ، إصلاح عبد السلام الرفاعي ، (الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١م) .
١٥٦ـ الموسوعة الفقهية الكويتية ، (نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٨م) .
١٥٧ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الذهبي محمد بن أحمد ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، (دار المعرفة ، بيروت ، د .ت) .
١٥٨ـ النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني ، (مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥م) .
١٥٩ـ النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي ، (وزارة الثقافة ، مصر ، ط١ ، د .ت) .

١٦٠ـ النساء شقائق الرجال ، د . محمد عمر حاجي ، (دار المكتبي ، دمشق ، ٢٠٠٢م) .

١٦١ـ نساء النبي ، د . عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطىء ، (دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٣م) .

١٦٢ـ هذا حلال وهذا حرام ، عبد القادر أحمد عطا ، (دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٥م) .

١٦٣ـ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، د . ماجد عرسان الكيلاني ، (دار الفرقان ، الأردن ، ط٣ ، ٢٠٠٣م) .

١٦٤ـ الوافي بالوفيات ، الصفدي صلاح الدين بن أيبك ، (مطبعة فرانزشناينز ، ألمانيا ، ١٩٦٢م

١٦٥ـ وفيات الأعيان ، ابن خلّكان أحمد بن أبي بكر ، تحقيق : إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م) .

١٦٦ـ ولادة دمشق في العهد السلجوقي (نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر) ، د . صلاح الدين المنجد ، (دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م) .

المجلات

١٦٧ـ جريدة السعودية ، عدد (٨١٥١) .

١٦٨ـ مجلة الجيل ، عدد آب ، ١٩٩٨م .

* * *

الفهرس العام

الفهارس

كتب المؤلف د . بسام الصباغ

١ـ **المنهج العلمي في كتابة حلقة بحث جامعية** البحث محاولة لتدريب الطالب الجامعي وتعليمه على كتابة حلقة بحث بقواعد علمية ومنهجية تكشف مواهبه وتنمي إبداعه وابتكاره ، وترتقي بأسلوبه (دار العصماء بدمشق/ ١٩٩٩) .

٢ـ **الدعوة الإسلامية في بلدان غالبيتها من غير المسلمين** البحث محاولة لدراسة واقع المسلمين في هذه البلدان وهمومهم وتوضيح أسلوب الدعوة في هذه البلدان وتفعيل دور المسلمين بما يتناسب مع ظروف عصرنا الحاضر (دار الحكمة بدمشق/ ٢٠٠٠) .

٣ـ **الدعوة والدعاة ومجتمعات عربية معاصرة** يتحدث الكتاب عن الدعوة والدعاة في العصر الحديث وأم المشكلات والعقبات التي تعترض الدعوة ، والأسلوب الناجح للدعوة (دار الإيمان بدمشق/ ١٩٩٩) .

٤ـ **مشكلة الخمر في العالم** يبحث عن مشكلة الخمر في العالم ، ومعجزة الإسلام في تحريم الخمر ، والأحكام التي تتعلق بالخمر ، والإثباتات القاطعة على تحريمه في جميع الأديان السماوية (دار الفكر بدمشق/ ١٩٩٤) .

٥ـ **دعوة الأنبياء الرسل** يتحدث عن دعوة كل رسول ، ويستعرض أهم الأحداث التي تتعلق بالرسل التي ذكرها القرآن ويتوصل لأهم النتائج التي تفيد الدعاة اليوم (دار الإيمان بدمشق ٢٠٠٢) .

٦ـ **الأقليات المسلمة في المجتمعات العربية مشكلات ومقترحات** البحث هو محاولة لدراسة الأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية ، ودراسة مشكلاتهم وهمومهم ، وتبيان مسؤوليتهم وتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله (دار الإيمان بدمشق ٢٠٠٢م) .

٧ـ **الدعوة بين المغالين والمفرطين** يتحدث عن التيارات الدعوية المتطرفة تشدداً أو تساهلاً ويرصد معالمهم ويبرز صفاتهم وينبه لمخاطرهم ويرسم منهج الوسط للدعاة (دار الإيمان بدمشق ٢٠٠٥م) .

٨ـ **الدعوة والجهاد** (**بالاشتراك**) يتحدث عن صلة الدعوة بالجهاد وأحكامها (دار بيروت المحروسة ، بيروت ٢٠٠٧م) .

٩ـ **قبسات من الدعوة والدعاة** يتحدث عن الدعوة ووجوبها ومشكلاتها (دار الإيمان دمشق ط٢ ٢٠٠٧م) .

١٠ـ **بلاء التكفير** يعالج أخطر بلاء ومرض أصيبت به بعض الجماعات الإسلامية (دار البشائر دمشق ٢٠٠٨م) .

١١ـ **دور المسجد في تكوين الرأي العام الصالح** هل المسجد يأخذ دوره في تكوين المجتمع وهل استطاع أن يحل مشاكلهم؟ (دار الإيمان ، دمشق ، ٢٠٠٦م) .

١٢ـ **المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة (دار البشائر ، دمشق ، ٢٠٠٩م)** .

١٣ـ **شارك في كتابة موسوعة الأديان الميسرة (دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠١م)** .

١٤ـ **يصدر التقويم الإسلامي (أبو النور) منذ ١٩٧٧** .